



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْعَمْرُو بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْعَمْرُو بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم

كاتب:

سيد جعفر مرتضى حسيني عاملی

نشرت في الطباعة:

سحرگاهان

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٣	الصحيح من سيره النبي الاعظم صل الله عليه و اله المجلد ٢
١٣	اشاره
١٤	اشاره
١٨	ايضاحات ضروريه
٢٥	القسم الأول: ما قبل البعثة
٢٥	اشاره
٢٧	الفصل الأول: ما قبل الميلاد
٢٧	اشاره
٢٨	البدايه الطبيعيه:
٢٨	الوضع الجغرافي لشبه جزيره العرب:
٣٠	الحضر في شبه جزيره العرب:
٣٠	الحاله الاجتماعيه عند العرب:
٣٢	المرأه في الجاهليه:
٣٣	شواهد عن حاله العرب في الجاهليه:
٣٤	علوم العرب:
٣٧	مميزات و خصائص:
٣٨	من امتيازات العرب:
٤١	الإسلام و تلك الصفات:
٤٤	متى كان بناء مكه:
٤٤	اشاره
٤٤	ألف: بناء الكعبه:
٤٤	ب: دعاء إبراهيم:
٤٤	ج: تقديس الكعبه:

٤٩	الأصنام، و الكعبه:
٥١	ولايه الكعبه:
٥٣	مكانه قريش:
٥٥	أنا ابن الذبيحين:
٥٦	من هو الذبيح:
٥٩	خلاصه و بيان:
٦٠	أهل الكتاب هم الداء الدوى:
٦١	ملاحظات هامه:
٦٧	النسخ فى قصه إبراهيم:
٦٨	البداء عند الشيعة:
٧٠	التوضيح و التطبيق:
٧١	إشكال .. و جوابه:
٧٣	اليهود، و البداء:
٧٥	الفصل الثانى: عهد الطفوله
٧٥	اشاره
٧٦	نسب النبى «صلى الله عليه و آله و سلم»:
٧٧	مولد النبى صلى الله عليه و آله وسلم :
٧٨	تعقيب هام و ضرورى:
٧٩	قصه كاذبه:
٨١	مصير الدار التى ولد فيها النبى صلى الله عليه و آله وسلم :
٨١	رضاعه «صلى الله عليه و آله و سلم»:
٨٢	لماذا الرضاع فى البدايه؟!:
٨٤	أخو النبى «صلى الله عليه و آله و سلم» من الرضاعه:
٨٤	رضاع ثوبيه للرسول «صلى الله عليه و آله و سلم» لا يصح:
٨٧	مع أبى عمر فى ترجيحه للقول الثانى:
٨٨	توجيه غير وجيه:

- ٨٩ مناقشه غير موفقه: -
- ٩١ عدد أولاد عبد المطلب:
- ٩١ أبو لهب و عتق ثوبه:
- ٩٤ شرك أبي لهب:
- ٩٥ تنازع الظئر في رضاعه:
- ٩٦ حديث شق الصدر:
- ٩٧ توجيه غير وجيه:
- ٩٨ رأينا في الروايه:
- ١٠١ المسيحيون و حديث شق الصدر:
- ١٠٢ أصل الروايه جاهلي:
- ١٠٣ فقد النبي صلى الله عليه و آله وسلم لأبويه:
- ١٠٤ كفيل النبي صلى الله عليه و آله وسلم :
- ١٠٦ الرحله الأولى إلى الشام، و بحيرا:
- ١٠٦ روايه مكذوبه:
- ١٠٨ سر الوضع و الإختلاق:
- ١٠٩ إشارات خاطفه في قصه بحيرا:
- ١١٠ رعيه صلى الله عليه و آله وسلم الغنم:
- ١١٢ ملاحظه:
- ١١٧ الفصل الثالث: خديجه في بيت النبي صلى الله عليه و آله وسلم
- ١١٧ اشاره
- ١١٨ السفر الثاني إلى الشام:
- ١٢٠ زواجه صلى الله عليه و آله وسلم بخديجه:
- ١٢٣ خطبه أبي طالب (رحمه الله):
- ١٢٣ نظره في كلمات أبي طالب:
- ١٢٤ و دين شائع:
- ١٢٥ مهر خديجه:

- ١٢٧ عمر خديجه حين الزواج:
- ١٣٠ يتيم قريش، أكذوبه مفضوحه: -
- ١٣٢ هل تزوج صلى الله عليه و آله وسلم خديجه طمعا فى مالها؟! ..
- ١٣٣ خديجه مثل أعلى: ..
- ١٣٤ خديجه بين نساء قريش: ..
- ١٣٤ هل تزوجت خديجه بأحد قبل النبى صلى الله عليه و آله وسلم؟! ..
- ١٣٩ زوجتا عثمان، هل هما بنات النبى صلى الله عليه و آله وسلم؟! ..
- ١٤٢ هل زينب بنت الرسول صلى الله عليه و آله وسلم أم ربيته؟! ..
- ١٤٤ منافسون لعلى: ..
- ١٤٥ خؤوله هند بن أبى هاله للامام الحسن (ع): ..
- ١٤٩ الفصل الرابع: حتى البعثة -
- ١٤٩ اشاره ..
- ١٥٠ حضور النبى صلى الله عليه و آله وسلم حرب الفجار: ..
- ١٥٢ سر التلاعب فى الروايات هنا: ..
- ١٥٣ حلف الفضول: ..
- ١٥٤ سبب هذا الحلف: ..
- ١٥٥ بنو أميه و حلف الفضول: ..
- ١٥٨ ملاحظه: ..
- ١٥٩ ملاحظات هامه على حلف الفضول: ..
- ١٦٩ تاريخ ولاده أمير المؤمنين (ع): ..
- ١٧١ أول هاشمى ولد من هاشميين: ..
- ١٧٢ ولاده أمير المؤمنين (ع) فى الكعبه: ..
- ١٧٤ لماذا حكيم بن حزام؟! ..
- ١٧٥ تجديد بناء الكعبه أعزها الله تعالى: ..
- ١٧٧ وضع الحجر الأسود: ..
- ١٧٨ ملاحظات هامه: ..

- ١٨٠ خرافه انحلال الازار:
- ١٨٢ طريق جمع فاشل:
- ١٨٥ ثوبى حجر!!
- ١٨٧ حياء عثمان:
- ١٨٩ أهل الكتاب، و تعزى الانبياء:
- ١٩٠ ولاده فاطمه بنت الرسول صلى الله عليه و آله وسلم :
- ١٩١ القول الحق:
- ١٩٧ الفصل الخامس: بحوث تسبق السيره - - - - -
- ١٩٧ اشاره
- ١٩٨ البحث الأول: إيمان آباء النبي صلى الله عليه و آله وسلم إلى آدم (ع):
- ١٩٨ اشاره
- ٢٠٠ بعض الأدله على إيمانهم:
- ٢٠٢ استغفار ابراهيم (ع) لايه:
- ٢٠٤ ان أبى و أباك فى النار:
- ٢٠٧ غريبه:
- ٢٠٧ ملاحظه:
- ٢٠٨ البحث الثانى بماذا كان يدين النبي صلى الله عليه و آله وسلم قبل البعته:
- ٢٠٨ اشاره
- ٢١١ مله ابيكم ابراهيم:
- ٢١٣ و وجدك ضالا فهدى:
- ٢١٣ أولوا العزم:
- ٢١٤ من الأساطير:
- ٢١٧ استلام الاصنام:
- ٢١٨ البحث الثالث: شروط النهضه:
- ٢٢٣ البحث الرابع: العوامل المساعده على انتصار الاسلام و انتشاره:
- ٢٢٣ اشاره

- ٢٢٣ - منطلق الدعوه: مكه:
- ٢٢٤ - خصائص شخصيه الرسول صلى الله عليه و آله وسلم :
- ٢٢٩ - حاله الاجتماعيه:
- ٢٣٠ - نوع معجزته «صلى الله عليه و آله و سلم»:
- ٢٣٢ - بشائر اليهود و النصارى به صلى الله عليه و آله وسلم :
- ٢٣٢ - اشاره
- ٢٣٥ - مناطق سكنى أهل الكتاب:
- ٢٣٥ - اهل الكتاب و هيمنتهم العلميه على العرب:
- ٢٣٨ - الفراغ العقائدى و السياسى: أ: الفراغ العقائدى:
- ٢٤٢ - الحياه الصعبه، و التضحيه بالنفس:
- ٢٤٣ - بقايا الحنيفيه فى العرب:
- ٢٤٤ - الخصائص و العادات العربيه:
- ٢٤٦ - ١٠- دور أبى طالب، و على (ع) و أموال خديجه «عليها السلام»:
- ٢٤٨ - تنبيه هام و ضرورى:
- ٢٥٠ - القسم الثانى من البعته حتى الهجره
- ٢٥٠ - اشاره
- ٢٥٣ - الباب الأول: من البعته الى الاعلان بالدعوه
- ٢٥٣ - اشاره
- ٢٥٥ - الفصل الأول: البعته و المعجزه
- ٢٥٥ - اشاره
- ٢٥٦ - عمر النبى «صلى الله عليه و آله و سلم» حين البعته:
- ٢٥٧ - تاريخ البعته، و كيفيه نزول القرآن:
- ٢٦٤ - بدء الوحي و أول ما أنزل:
- ٢٦٦ - إعجاز القرآن:
- ٢٦٨ - لماذا الأخير فقط:
- ٢٧٠ - بلاغه القرآن:

- ٢٧٠ البلاغه:
- ٢٧١ الإعجاز بالبلاغه كيف؟ و لماذا؟! ..
- ٢٧٢ التوضيح و التطبيق:
- ٢٧٩ ترجمه القرآن و تفسيره:
- ٢٧٩ للقرآن ظهر و بطن:
- ٢٨٢ التقوى تعين على فهم القرآن:
- ٢٨٣ المحكم و المتشابه:
- ٢٨٤ لا بد من وجود المتشابه فى القرآن:
- ٢٨٥ التأويل:
- ٢٨٨ الحروف المقطعه فى القرآن ..
- ٢٨٩ فقد قال هذا المحقق الذى رمز لنفسه ب «أبو محمد»: -
- ٢٩٧ آخر ما نقوله حول الحروف المقطعه:
- ٢٩٩ الفصل الثانى: روايات بدء الوحي ..
- ٢٩٩ اشاره ..
- ٣٠٠ ما روى فى بدء الوحي:
- ٣٠٥ مناقشه روايات بدء الوحي:
- ٣١٠ إشاره:
- ٣١٧ و ثمه أسئله أخرى:
- ٣١٨ و من الطعن فى النبوه أيضا: -
- ٣٢٠ ما هو الصحيح فى قضيه بدء الوحي:
- ٣٢٢ لماذا الكذب و الافتعال إذن؟! ..
- ٣٢٧ النتيجة:
- ٣٢٩ الفصل الثالث: الدعوه فى مراحلها الاولى ..
- ٣٢٩ اشاره ..
- ٣٣٠ أول من أسلم:
- ٣٣١ بعض ما جاء فى سبق على الى الإسلام:

- ٣٣٣ تصريحات أمير المؤمنين «عليه السلام» في ذلك:
- ٣٣٤ دليل آخر:
- ٣٣٦ خاتمه المطاف:
- ٣٣٦ القول بأن خديجه أول من أسلم:
- ٣٣٧ أبو بكر، و سبقه إلى الإسلام:
- ٣٤٤ طريق جمع فاشل:
- ٣٤٦ هدف الورعين من الجمع بين الروايات:
- ٣٤٧ مقارنه، و هدف:
- ٣٤٨ من أسلم بدعايه أبي بكر:
- ٣٥٣ سر التأكيد على دور أبي بكر:
- ٣٥٤ هل عمير بن أبي و قاص من السابقين؟!:
- ٣٥٤ اسلام أبي قحافه:
- ٣٥٥ الدعوه في مراحلها، التي اجتازتها:
- ٣٥٦ المرحله السريه:
- ٣٥٧ دخول النبي «صلى الله عليه و آله و سلم» دار الأرقم:
- ٣٥٩ قريش لا تهتم لمرحله ما قبل الإعلان:
- ٣٥٩ اسلام ابي ذر رحمه الله:
- ٣٦١ ما استفاد من حديث اسلام أبي ذر:
- ٣٦٧ الفهارس
- ٣٦٧ اشاره
- ٣٦٨ الدليل الاجمالي للكتاب:
- ٣٧٠ الدليل التفصيلي للكتاب:
- ٣٨٤ تعريف مركز

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم / جعفر مرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحر گاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افسست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹ع/ ۲ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

ص: ۱

اشاره

ايضاحات ضروريه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، إهدنا الصراط المستقيم.

و الصلاة و السلام على محمد المصطفى، خاتم الأنبياء و المرسلين، و آله الكرام البرره الطيبين الطاهرين.

و اللعنه على أعدائهم أجمعين، من الأولين و الآخرين، إلى يوم الدين.

و بعد ..

فإننى إذ أقدم إلى القراء الكرام هذا الكتاب: (الصحيح من سيره النبى الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم) أو (المصطفى من سيره المصطفى) أرى لزاما على أن أشير- باختصار- إلى الامور التاليه:

١- لقد اعتمدت- بالدرجه الأولى- فيما كتبتة هنا على مؤلفات القدماء. أما مراجعتى لمؤلفات المعاصرين، فلا تكاد تذكر؛ لأن ما راجعته منها، رأيت أنه- عموما- يكرر ما كتبه أولئك، إلا فى كيفية التنسيق و التبويب و الإخراج، ثم التبرير و التوجيه له. بزياده: أنهم يظهرون

براعتهم و تفوقهم فى ترصيف الكلمات البراقه، و صياغه الجمل و العبارات الرنانه فى تأييده و تأكيده. من دون أى تحقيق له، أو تدقيق فيه، صحه و فساد؛ حتى ليخيل إليك: أن تلك النصوص جزء من الوحي الإلهي، الذى لا يتطرق إليه الشك، و لا يرقى إليه الريب، مهما كانت متناقضه و متنافره؛ إذ لا بد من الجمع بينها، و تمحل الوجوه لها، و لو كانت مما يباه كل عقل، و لا يقره وجدان، و لا يرضاه ضمير، حتى إذا لم يمكن ذلك فلا بد من السكوت عنها، و الاعتراف بالعجز عن فهم حقيقه الحال فيها، و ذلك هو أضعف الإيمان.

٢- لقد انصبَّ اهتمامى فى هذا الكتاب على الناحيه التحقيقيه حول صحه، و عدم صحه الكثير مما يدعى أنه سيره نبيه، أو تاريخ إسلامى. و لكن بالمقدار الذى يتناسب مع كتاب كهذا، يريد أن يعطى صورته متقاربه الملامح، قدر الإمكان عن فتره زمنيه ثريه بالاحداث و المواقف الحساسه، و قد كانت و لا تزال محط النظر - بشكل رئيسى - لأهل المطامح و الأهواء السياسيه، و المذهبيه، و غيرها.

بل هى أخطر و أهم مرحله تاريخيه على الإطلاق؛ لأنها غيرت جذريا، و ليس فقط أصلحت كل الأسس و المنطلقات الخاطئه لكل قضايا و شؤون الإنسان و الإنسانيه جمعاء.

و قد كانت المهمه فى الحقيقه شاقه و صعبه للغاية. و لكننى رضيت بتحمل ذلك، لأننى أدركت مدى حاجه المكتبه الإسلاميه إلى جهد كهذا، مهما كان ناقصا و محدودا؛ ليكون النواه و الخطوه الأولى على طريق اعتماد المنهج التحقيقى العلمى فى التعرف على قضايا التراث، بصوره شموليه، و مستوعبه.

٣- و قد يلاحظ القارىء لهذا الكتاب بعض الفجوات فيه، أو مدا و جزرا فى الشموليه و الاستقصاء.

و له أن يرجع ذلك إلى أن هذا الكتاب قد أعدّ في فترات زمنية متباعدة، فرضها واقع الظروف التي تمنع الإنسان من الاستفادة من عنصر الوقت على النحو الأفضل و الأمثل.

كما أنه لا- يمكن استبعاد حالات النشاط و الخمود الفكرى التي تعترى الانسان تبعا لتفاوت حالات الهدوء و الاستقرار، الأمر الذى يؤثر بشكل واضح على طبيعه ما يكتب، و يظهر فيه شيئا من التفاوت و الاختلاف فى مستوى التعرض لبحوثه و قضاياها.

٤- حيث إن التاريخ الاسلامى - كما سنرى- قد تعرّض لمحاولات جادّه للتلاعب فيه من قبل أصحاب الأهواء السياسيه و المذهبيه و غيرها، و تسرّبت إليه بعض الترهات و الأباطيل من قبل أهل الكتاب و غيرهم، ثم حاولت الأيدي الأثيمه و الحاقده أن تعبت به تحريفا، أو تزييفا، فقد أصبح البحث، و الوصول إلى الحقائق فيه على درجه كبيره من الصعوبه، إن لم يصل إلى حد التعذر أحيانا، فقد كان لا بد لنا من أخذ الأمور التاليه بنظر الاعتبار:

أ: إن الاعتماد على نوع معين من المؤلفات و المؤلفين ربما يتسبب فى حرمان القارىء من الاطلاع على نصوص تناثرت هنا و هناك، و استطاعت أن تخترق الحجب، و تقفز فوق الحواجز الثقيله، و تصل إلينا سليمه- إلى حدّ ما- من التحريف، حين لم ير فيها السياسيون المحترفون خطرا، و لا رأى فيها المتمذهبون المتعصبون ضررا؛ فتركها هؤلاء و أولئك، ليتلقفها عشاق الحقيقه القليلون جدا؛ بعيدا عن غوغائيه المتعصبين، و فى مأمن و منأى من جبروت و تعنت الأشرار المحترفين.

ب: إننا رأينا- و حاله هذه- أن البحث فى الاسانيد، و الإعتماد عليها كمقياس و معيار نهائى فى الردّ و القبول، إنما يعنى: أن علينا أن نقتنع بنصوص قليله جدا، لا تكاد تفى حتى بالتصور العام، و بالفهرسه

الإجمالية لسيره النبويه المباركه، فضلا عن تفصيل أحداث تاريخ صدر الإسلام.

و لسوف نخسر كثيرا من النصوص الصحيحه، التي لم توفق لسند تتوفر فيه أدنى شرائط القبول.

هذا بالإضافة إلى أن الباحث سوف يفقد حريه الحركه، و الربط و الاستنتاج، و لسوف لن يكون لفهمه العميق للأجواء و الظروف و للإتجاهات السياسيه و الفكرية و غيرها الذى اكتسبه من الممارسه الطويله، أيه فعاليه تذكر فى استخلاص الحقائق، التي أريد لها- لسبب أو لآخر- أن تبقى طى الكتمان، و رهن الإبهام و الغموض.

هذا عدا عن المشكلات الكبيره التي تواجه الباحث، و لا- بد له من التغلب عليها، ليتمكن للبحث السندى، أن يكون مقبولا و معقولا لدى أرباب الفكر، و أساطين العلم و المعرفه.

و أهم هذه المشكلات هي مشكله المعايير و المنطلقات و الضوابط للبحث السندى، و موازين القبول و الرد فيه. و التي يركز بعضها على أسس عقائديه أوليه، يتطلب البحث فيها وقتا طويلا و جهدا عظيما. إن لم ينته إلى الطريق المسدود، و يعود ممجوجا و عقيما فى أكثر الأحيان؛ حيث يَصِير البعض على اتخاذ منحى لا يتسم بالنزاهه و لا بالموضوعيه، خصوصا فى النواحي العقائديه. و لا نملك إزاء هذا النوع من الناس إلا أن نقول:

قاتل الله الأهواء، و العصبيات، و المصالح الشخصيه و الفئويه.

و على هذا الأساس نقول: إننا إذا كنا قد بحثنا- أحيانا- فى الاسانيد، فقد اعتمدنا فى ذلك الطريقه المعقوله و المقبوله، المبتنيه على قاعده: الزموم بما الزموا به أنفسهم. ثم الطرق التي يتوافق عليها إن لم يكن كل فأكثر أهل الفرق، و تؤدى إلى نتیجه مقبوله لدى الجميع، و إن

كان منشأ هذا القبول يختلف بين هؤلاء و أولئك فى أحيان كثيره.

ج: لقد حتم علينا ذلك المنهج، بالإضافة إلى ما تقدم: أن نتخذ من المبادئ الإسلاميه، و من القرآن، و من شخصيه و خصائص، و أخلاق الرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) أساسا لتقييم كثير من النصوص المعروضه، و الحكم عليها بالرد أو القبول من خلال انسجامها مع ذلك كله، أو عدم انسجامها معه.

و ذلك ينسحب على كل شخصيه استطعنا الحصول على فهم عام لسيرتها، و لخصائصها و أخلاقها، و مواقفها، و اتجاهاتها.

د: هذا بالاضافه إلى الكثير من أدوات البحث، التى توفرها الممارسه الطويله فى هذا الاتجاه، كتناقض النصوص، و الامكانيه التاريخيه، من خلال المحاسبات التاريخيه الدقيقه. و غير ذلك من وسائل استفدنا منها فى بحوثنا هذه، مما سوف يقف عليه القارئ الكريم لهذا الكتاب.

٥- و بعد، فإن الكل يعلم: ان المسلمين قد اهتموا بتدوين تاريخ الإسلام، بشكل لا نظير له لدى أى من الأمم الأخرى، فهو بحق و برغم كل المحاولات أثرى تاريخ أمه و اغناه على الإطلاق.

و حيث إن البحث فى جميع جوانبه أمر متعسر، بل متعذر علينا، فقد آثرنا الاكتفاء بالبحث فى جانب يستطيع أن يهيئ لنا تصورا عاما، و هيكله متقاربه الملامح و السمات، عن حياه نبينا الأكرم محمد (صلى الله عليه و آله و سلم).

٦- لسوف يجد القارئ لهذا الكتاب أننى حاولت الإقتصار على أقل قدر ممكن من الشواهد و الدلائل و مصادرها المأخوذه منها. مع علمى بأن بالامكان حشد أضعاف ذلك فى تأييد و تأكيد الحقائق التى أوردتها بشكل عام.

٧- اننى قد نسبت كل شىء استفدته أو استشهدت به إلى قائله، أو كاتبه و ناقله، فأما الافكار التى لا مصدر لها، فهى جهد شخصى، لم أعتد فيه على أحد.

٨- و أخيراً، فقد كانت الفرصه تسنح أحياناً، فى فترات الاحساس بشىء من النشاط الفكرى لتسجيل بعض الملاحظات أو الإلتفاتات أو التفسيرات لبعض المواقف أو القضايا و الأحداث.

و هى و إن كانت لا تصل فى الأكثر إلى مستوى البحث الكامل و الشامل؛ لأنها جاءت على الأكثر بصورة عفويه، و مرتجله، لم يسبقها إعداد، و لا- مراجعه، و لا- مطالعه. إلا- أنها تعتبر- على الأقل- بمثابة استراحات للقارئ الكريم، كما كانت استراحات للكاتب نفسه من قبل.

و للقارئ الخيار بعد هذا فى أن يحكم لها أو عليها. و إذا كان حكمه لها فهو بالخيار أيضاً فى أن يتلمس فيها شيئاً من العمق، أو بعضاً من الجمال.

و فى الختام، فإننى أرجو من القارئ الكريم أن يتحبنى بآرائه، و مؤاخذاته و لسوف أكون له من الشاكرين.

و الحمد لله، و الصلاه و السلام على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطيبين الطاهرين.

ايران- قم المشرفه ١٦ / ١٢ / ١٤٠٠ هـ. ق.

جعفر مرتضى الحسينى العاملى

ص: ١٢

القسم الأول: ما قبل البعثه

اشاره

ص: ١٤

الفصل الأول: ما قبل الميلاد

اشاره

البدايه الطبيعيه:

إن من البديهي: أن البدايه الطبيعيه و المعقوله لتاريخ الإسلام، و أعظم ما فيه و هو سيره النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم) تحتم علينا اعطاء لمحه خاطفه عن تاريخ ما قبل البعثه، و ما اتصل بها من احداث سبقتها، لتعرف على الأجواء و المناخات التي انطلقت فيها دعوه الدين الحق، و هو دين الإسلام فنقول:

الوضع الجغرافي لشبه جزيره العرب:

هى شبه جزيره مستطيله يحدها شمالا: الفرات، و آخر قطعاتها باديه الشام و السماوه، و فلسطين، و شرقا خليج فارس، و جنوبا خليج عدن، و المحيط الهندي، و غربا: البحر الأحمر (١).

و لا يعنينا الوضع الجغرافي هنا إلا فى النواحي التاليه:

الأولى: إنه لم يكن فى جزيره العرب حتى نهر واحد، بالمعنى الصحيح للكلمه (٢)، و أكثرها جبال، و أوديه، و سهول جرداء، لا تصلحها.

١- راجع: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ١ ص ١٤٠ فما بعدها.

٢- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: ج ١ ص ١٥٧ فما بعدها.

للزراعة والعمل. و من ثم فهي لا تساعد على الإستقرار، و تنظيم الحياه.

و من هنا فقد كان أكثر سكانها، بل قيل: خمسه أسداسهم من البدو الرحل، الذين يمسون فى مكان، و يصبحون فى آخر.

الثانيه: إن هذا الوضع قد جعل هذه المنطقه فى مأمن من فرض السيطره عليها، من قبل الدولتين العظميين آنئذ: الرومان، و الفرس، و غيرهما؛ فلم تتأثر المنطقه بمفاهيمهم و أديانهم كثيرا. بل لقد هرب اليهود من حكامهم الرومان إلى جزيره العرب، و احتموا فيها فى يثرب (المدينه) و غيرها.

و قد نشأت عن هذا الوضع للجزيره العرييه، ظاهره الدويلات القبليه، فلكل قبيله حاكم، و كل ذى قوه له سلطان.

الثالثه: إن هذه الحياه الصعبه، و هذا الحكم القبلى، و عدم وجود روادع دينيه، أو وجدانيه قويه، قد دفع بهذه القبائل إلى ممارسهالإغاره و السلب ضد بعضها البعض، كوسيله من وسائل العيش أحيانا، و أحيانا لفرض السيطره و السلطان، و أحيانا أخرى للثأر و إدراك الأوتار، إلى آخر ما هنالك، فتغير هذه القبيله على تلك؛ فتستولى على اموالها، و تسبى نساءها و أطفالها، و تقتل أو تأسر من تقدر عليه من رجالها. ثم تعود القبيله المنكوبه لتتربص بهذه الغالبه الفرصه لمثل ذلك، و هكذا.

و من هنا، فإن من الطبيعى أن يكون شعور أفراد كل قبيله بالنسبه لأبناء قبيلتهم قويا جدا، بدافع من شعورهم بالحاجه إلى بعضهم البعض للدفاع عن الحياه، و الكفاح من أجلها، مما كان سببا قويا لزياده حدّه التعصب القبلى، الذى لا يرثى، و لا يرحم، و لا يلين، حيث لا بد من الوقوف إلى جانب ابن القبيله، سواء أكان الحق له، أو عليه، حتى لقد قال شاعرهم يتمدحهم بذلك:

لايسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

و من الجبهه الأخرى، فإن القبيله تتحمل كل جنايه أو جريمه يرتكبها أحد أبنائها، و تحميه من كل من أراده بسوء. بل يكون أخذ الثأر من غير الجانى إذا كان من قبيلته كافيا و شافيا للموتورين، الذين يريدون شفاء ما فى نفوسهم، و إدراك أوتارهم.

الحضر فى شبه جزيره العرب:

أما الحضر فى جزيره العرب، و هم الذين يسكنون المدن، و يستقرون فيها، فإنهم و إن كانوا فى حياتهم أرقى من العرب الرحل، إلا أن رقيهم هذا لم يكن بحيث يجعل الفارق بينهما كبيرا.

و من هنا، فإننا نلاحظ تشابها كبيرا فيما بينهما فى العقليه، و فى المفاهيم، و فى العادات و التقاليد، و أساليب الحياه، و بدائيتها. هذا إن لم نقل: إن العرب الرحل كانوا أصح أبدانا، و أفصح لسانا، و أقوى جنانا، و أصفى نفسا، و فكرا و قريحه.

و لكن امتياز هؤلاء و أولئك فى بعض الأمور لم يكن إلى الحد الذى يحتم على الباحث فصل الحديث عنهما، و لا سيما بالنسبه الى أولئك الحضريين الذى يسكنون الحجاز.

و الخلاصه: إننا إذا كنا لم نجد فى تاريخ ما قبل الإسلام ما يبرر نسبه التفوق إلى أحد الطرفين على الآخر، كما يتضح من كلمات أمير المؤمنين الآتية و غيرها، فليس فى فصل الحديث عنهما كبير فائده، و لا جليل أثر.

الحاله الإجتماعيه عند العرب:

و إن من يطالع كتب التاريخ سيرى بوضوح إلى أى حد كانت الحاله الإجتماعيه مترديه فى العصر الجاهلى. و قد قدمنا: ان السلب و النهب و الإغاره، و التعصب القبلى، و غير ذلك قد كان من مميزات الإنسان

العربي، حتى إنه إذا لم تجد القبيلة من تغير عليه من أعدائها أغارت على أصدقائها، و حتى على أبناء عمها، يقول القطامي:

و كن إذا أغرن على قبيل و أعوزهن نهب حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال (١) و ضبه إنه من حان حانا

و أحيانا على بكر أحيانا إذا ما لم نجد إلا أاخانا

و لقد رأينا: أن تلك الظروف الصعبة، و الفقر و الجوع، و الخلافات التي كانوا يعانون منها، و المفاهيم الخاطئة التي كانت تعيش في أذهانهم - و خصوصا عن المرأة -.

و كذلك ظروف الغزو و الإغارة، التي تعنى سبي النساء و الأطفال، قد دفعتهم إلى قتل أو وأد أولادهم، و لا سيما البنات. و كان ذلك في قبائل تميم، و قيس، و أسد، و هذيل، و بكر بن وائل (٢).

بل إننا نستطيع أن نعرف مدى شيوع الوأد بينهم من تعرض القرآن لهذه المسألة، و ردعه لهم عنها، و إدانتها، قال تعالى: وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ (٣).

و قال أيضا: وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٤).

كما أننا نجده (صلى الله عليه و آله و سلم) قد نص على ذلك في بيعة العقبة و قد قال محمد بن إسماعيل التيمي، و غيره - تعليقا على هذا:

خص القتل بالأولاد؛ لأنه قتل و قطيعه رحم؛ فالعناية بالنهي عنه أكد؛ ٩.

١- الضباب إسم قبيلة. و الحلال: المجاور.

٢- راجع شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ١٧٤.

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

٤- سورة التكوير، الآيات: ٨ - ٩.

ولأنه كان شائعا فيهم، وهو وأد البنات و قتل البنين، خشيه الإملاق إلخ (١).

و يقول البعض: (كان هذا الوأد- على رأى بعض الباحثين- فى عامه قبائل العرب) يستعمله واحد، و يتركه عشره؛ أو كان على الأقل معروفا فى بعض القبائل كربيعة، و كنده، و تميم (٢).

المرأه فى الجاهليه:

و قد كانت حياه المرأه فى الجاهليه أصعب حياه؛ حيث لم يكن لها عندهم قيمه أبدا، و قد كتب الكثير عن هذا الموضوع؛ و لذا فلا نرى حاجه كبيره للتوسع فيه، و يكفى أن نذكر هنا قوله تعالى:

وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْمَأْتِي ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، أَيْمَسِّكُهُ عَلَى هُونٍ، أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٣).

و سياق الآيه الكريمه يشير إلى كثره ذلك و شيوعه فيهم.

و من ذلك نعرف ان الخضرى قد حاول تكذيب القرآن، حينما ادعى: أن العربى قبل الإسلام كان يحترم المرأه و يجعلها (٤).

نعوذ بالله من الخذلان، و من وساوس الشيطان.

كما أن فيه تكذيبا للخليفه الثانى عمر بن الخطاب، الذى يقول:

(و الله، إن كنا فى الجاهليه ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، ٢٠

١- فتح البارى ج ١ ص ٦١.

٢- راجع: النظم الإسلاميه ص ٤٤٢ / ٤٤٣.

٣- النحل: ٥٨ - ٥٩.

٤- محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميه للخضرى ص ١٧ - ٢٠

و قسم لهن ما قسم (١).

شواهد عن حاله العرب فى الجاهليه:

و عن حاله العرب فى الجاهليه يكفى أن نذكر بعض ما قاله سيد الخلق بعد الرسول على أمير المؤمنين (عليه السلام) فمن ذلك قوله (عليه السلام) (بعثه و الناس ضلال فى حيره، و حاطبون فى فتنه، قد استهوتهم الأهواء، و استزلتهم الكبرياء، و استخفتهم الجاهليه الجهلاء، حيارى فى زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل) (٢).

و قال (عليه السلام): (و أنتم معشر العرب على شر دين، و فى شرّ دار، تنيخون بين حجاره خشن، و حيات صم، تشربون الكدر، و تأكلون الجشب، و تسفكون دماءكم، و تقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبه، و الآثام فيكم معصوبه) (٣).

و قال (عليه السلام): (فالأحوال مضطربه، و الأيدى مختلفه، و الكثره متفرقه، فى بلاء أزل، و أطباق جهل، من بنات مؤؤوده، و أصنام معبوده، و أرحام مقطوعه، و غارات مشنونه) (٤).

و كلمات أمير المؤمنين هنا حجه دامغه على كل مكابر متعصب.

و هناك كلمات كثيره له (عليه السلام) فى هذا المجال؛ فمن أرادها فليراجع نهج البلاغه و غيرهه. ٧.

١- صحيح البخارى ط سنه ١٣٠٩: ج ٣ ص ١٣٣.

٢- نهج البلاغه الذى بهامشه شرح الشيخ محمد عبده الخطبه ٩١. و الإمامه و السياسه: ج ١ ص ١٥٤.

٣- نهج البلاغه، عبده، الخطبه ٢٥.

٤- نهج البلاغه، عبده، الخطبه ١٨٧.

و يقال: إن المغيرة بن شعبه قد قال ليزدجرد: (.. و أما ما ذكرت من سوء الحال، فما كان أسوأ حالا منا، و أما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس و الجعلان، و الحيات، و نرى ذلك طعامنا. أما المنازل فإنما هي ظهر الأرض. و لا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل، و أشعار الغنم؛ ديننا أن يقتل بعضنا بعضا، و أن يبغى بعضنا على بعض، و ان كان أحدنا ليدفن إبنته و هي حيه، كراهيه أن تأكل من طعامه) (١).

و لابن العاص أيضا كلام يشير إلى بعض ذلك؛ فمن أراد فليراجعه في مصادره (٢).

علوم العرب:

لقد أوضح لنا الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلماته المتقدمة حاله العرب، و مستواهم العلمى و الثقافى، و أنهم كانوا يعيشون فى ظلمات الجهل، و الحيرة، و الضياع.

و هذا يكذب كل ما يدعيه الآخرون- كالألوسى و غيره- من أن العرب كانوا قد تميزوا ببعض العلوم، كعلم الطب، و الأنواء، و القيافه، و العيافه، و السماء، و نحو ذلك ..

و قال بعضهم: (خصت العرب بخصال: بالكهانه، و القيافه، و العيافه و النجوم، و الحساب) (٣).

فإن ما كان عندهم من ذلك هو مجرد ملاحظات بسيطه ساذجه،٣.

١- البدايه و النهايه ج ٧ ص ٤٢ و الطبرى ج ٣ ص ١٨. و حياه الصحابه ج ١ ص ٢٢٠ و لكلامه هذا نص آخر ذكره فى الأخبار الطوال ص ١٢١.

٢- مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٣٧، عن الطبرانى و حياه الصحابه ج ٣ ص ٧٧٠ عن المجمع.

٣- الموفقيات ص ٣٦٢ / ٣٦٣.

مبنيه على الحدس و التخمين، متوارثه عن مشايخ الحى و عجائزه.

و هذا هو رأى ابن خلدون أيضا، الذى كان يرى: أن علم الطب عندهم لا يتعدى معلومات أوليه، و ملاحظات بسيطه، لا تستحق أن تسمى علما، و لا شبه علم.

و مثل هذا يقال عنهم فى علم الانواء و السماء؛ فضلا عما يسمى بالقيافه، و العيافه. هذا عدا عن أن بعض هذه الأمور، لا تستحق أن يطلق عليها إسم (علم).

و يكفى أن نذكر هنا: أنهم كانوا أميين، لا يعرفون القراءه و الكتابه أصلا، إلا من شذ منهم، حتى ليزكرون: انه (صلى الله عليه و آله و سلم) أرسل رساله إلى قبيله بكر بن وائل؛ فلم يجدوا قارئاً لها فى القبيله كلها.

و قرأها لهم رجل من بنى ضبيعه فهم يسمون: بنى الكاتب (١).

و يروى البلاذرى: أن الاسلام قد دخل، و فى قريش سبعة عشر رجلا فقط، و فى الأوس و الخزرج فى المدينه اثنا عشر رجلا يعرفون القراءه و الكتابه (٢).

و قال ابن عبد ربه: (جاء الإسلام و ليس أحد يكتب بالعرييه غير سبعة عشر إنسانا). ثم عددهم فذكر عليا (عليه السلام) أولا (٣). ٧.

١- مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٠٥، و قال: إن رجاله رجال الصحيح، عن أحمد، و البزار، و أبى يعلى، و الطبرانى فى الصغير، عن أنس، و مرثد بن ظبيان. و راجع: كشف الأستار، عن مسند البزار ج ٢ ص ٢٦٦. و المعجم الصغير ج ١ ص ١١١.

٢- فتوح البلدان ط أوروبا ص ٤٧١ فما بعدها، و ص ٨٠ فى القسم الثالث من الطبعة التى حققها صلاح الدين المنجد. و إن كنا نناقش فى بعض من عددهم فى من يكتب أو يقرأ كعمر بن الخطاب، الذى سيأتى فى قضيه إسلامه: أنه لم يكن يعرف حتى القراءه.

٣- العقد الفريد: ج ٤ ص ١٥٧.

و يرى ابن خلدون: أن أكثرهم كان لا يتقنها، بل كان بدائيا، و ضعيفا فيها بشكل ملحوظ.

و يلاحظ من أسمائهم: أن أكثرهم قد تعلمها بعد ظهور الإسلام، و ذكر إسم علي (عليه السلام) يدل على ذلك.

بل ربما كانوا يعتبرون القراءه و الكتابه عيبا؛ فقد قال عيسى بن عمر: (قال لى ذو الرمه: إرفع هذا الحرف. فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه، أى أكتب على؛ فإنه عندنا عيب) (١).

و فى حديث أبى هريره: تعربوا يا بنى فروخ، فإن العرب قد أعرضت، أى عن العلم (٢).

هذا، مع أن قريشا كانت أعظم قبيله شأننا و خطرا، و نفوذا فى الحجاز كله.

و مع أن التجاره تتطلب مثل ذلك عاده، و كان الأوس و الخزرج أيضا فى المرتبه الثانيه بعد قريش، تحضرا و نفوذا فى الحجاز.

فإذا كان مستواهم الثقافى هو هذا، فمن الطبيعى ان يصير لليهود عموما و للنصارى - و لو بصوره أضعف - هيمنه فكرية كبيره، و أن ينظر إليهم العرب نظره التلميذ إلى معلمه، و لربما نشير إلى ذلك فيما يأتى إن شاء الله تعالى.

هذا، و من الأمور الجديده بالملاحظه هنا: أن أميه العرب كانت هى السر فى قوه الحافظه عندهم. و لكنها عادت إلى الضعف التدريجى، ٦.

١- الشعر و الشعراء لابن قتيبه ص ٣٣٤. و التراتيب الإداريه: ج ٢ ص ٢٤٨.

٢- مشكل الآثار: ج ٣ ص ٥٦.

حسب نسبه اعتمادهم على الكتابه فى العصور المتأخره، إبتداء من عصر التدوين.

و لسوف نشير إن شاء الله تعالى فى غزوه بدر من هذا الكتاب، الى مدى الأهميه التى اولها الاسلام لمحو الأميه، حتى لقد ورد أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد جعل فداء الأسير فى غزوه بدر تعليم عشره من أطفال المسلمين القراءه و الكتابه كما سيأتى. و قد كانت بدر أدق مرحله يمر بها الإسلام و المسلمون فى دعوتهم الى الله، و حربهم مع المشركين.

و خلاصه القول: إن جهل العرب كان هو الحاكم المطلق، و لا نلاحظ أى ظاهره للنبوغ فيهم قبل الإسلام، بل على العكس من ذلك يمكن ملاحظه الكثير مما كان يزيدهم إمعانا فى الجهل و الحيره و الضياع

مميزات و خصائص:

لقد امتاز العرب قبل الإسلام ببعض الصفات التى تمدحهم الناس و أثنوا عليهم لأجلها. و هى صفات قليله بالنسبه الى ما يقابلها من صفات و عادات ذميمه. و لكننا إذا دققنا النظر فيها فإننا لا نجد فيها ما يوجب مدحا بل ربما كانت فى كثير من الاحيان موجبه لعكس ذلك تماما.

لأن ما يعطى للشىء قيمته الحقيقه من أى نوع كانت هو دوافعه و منطلقاته، و أهدافه. و نحن لا نجد فى تلك الأمور المنسوبه الى العرب ما يبرر تمدحهم من أجلها؛ لا من حيث المنطلقات و الدوافع، و لا من حيث الأهداف و الغايات، كما سنرى.

ولكن حين جاء الإسلام، و تغيرت تلك الدوافع و الأهداف، أصبحت تلك الصفات ذات قيمه، و صاروا يستحقون عليها التكريم و التقدير.

من امتيازات العرب:

لقد امتاز العرب بالصفات التاليه:

١- بالكرم و حسن الضيافه- و هذا هو الأمر الوحيد الذى احتج به أبو سفيان على صحه دينه!! حيث قال لكعب بن الأشرف: (أديننا أحب إلى الله أم دين محمد و أصحابه؟ و أينأ أهدى فى رأيك، و أقرب الى الحق؟ إنا نطعم الجزور الكوماء، و نسقى اللبن على الماء، و نطعم ما هبت الشمال.

فقال له إبن الأشرف: أنتم أهدى منهم سيلا ((!!!)) (١).

ولكن ذلك فى الحقيقه لا- يمكن أن يعد فضليه للعرب، إلا- إذا ثبت أن بذلهم للمال كان نابعا من إيمان العربى بمثل أعلى، يدفعه إلى البذل و العطاء، أو أنه كان نابعا من عاطفه إنسانيه، مصدرها رؤيا حاجه الآخرين، و التفاعل معها، بحيث يندفع إلى العطاء و البذل بنفسه، و من دون سؤال او تحريك.

مع أننا نجد أن الدافع لذلك كان فى كثير من الاحيان ليس هو المثل العليا، و لا- العاطفه الإنسانيه، و إنما هو إبعاد العار، و التحرز من هجاء الشعراء، و حتى لا يسير ذكرهم فى البلاد فى اللؤم و الخسه، و لا تتعرض أعراضهم و كراماتهم للهدر، أو أملا بحسن الذكر، و طيب الاحدوثة؛ أو طمعا بزعامه قبيله او منافسه قرين. و الشواهد على ذلك فى التاريخ غير قليله و الإستثناء لا يلتفت إليه.

بل نجد ان زيد الخيل حين يريد ان يعطى البعض، قد وعده بالعطاء بعد أن يشن الغاره، فلما شن الغاره على بنى نمير بالملح و أصابه.

١- البدايه و النهايه: ج ٤ ص ٦، و السيره النبويه لابن كثير: ج ٣ ص ١١. و مصادر ذلك كثيره ستأتى فى أول غزوه الخندق إن شاء الله.

مائه بعير، أعطاه إياها (١).

مع ان شن الغاره معناه التسبب فى قتل الرجال و حتى الاطفال و النساء و الشيوخ و سبيهم، و الإستيلاء على أموالهم، و هدر كراماتهم.

و زيد الخيل هو من رجال العرب المعروفين، و يضارع حاتم الطائي فى الشهره و السؤدد.

هذا، و لا بد من الإشارة أخيرا الى ان عجز البدوى تجاه قوى الطبيعه القاسيه، التى تستولى على الصحراء، من شأنه أن يولد فيه الشعور بضروره الضيافه، و ضروره البذل، حيث لا يمكنه حمل قوته فى سفره الشاق الطويل، الذى يمتد عشرات الأيام. و هو مضطر الى السفر بين حين و آخر بحثا عن الماء و الكلاء، و لغير ذلك من أمور.

٢- حميتهم و عصبيتهم، و هذه فى الحقيقه صفه ذميمه، إذ أنهم يرون أن النصر لا بد أن يكون لذوى قرابتهم، و لابن قبيلتهم، و أن العون لا بد أن يمحص له، طالما كان أو مظلوما.

و قد نعى القرآن عليهم ذلك، و عبر عنها ب (حميه الجاهليه) (٢)، لأنها مبنيه على الجهل، و عدم التثب.

و قد تقدم ما يشير إلى سر نشوء ذلك فيهم، فلا نعيد.

٣- الشجاعه: و إنما يستحق صاحبها المدح و الذم بملاحظه الأهداف فى الموارد التى يستعملها فيها، فإذا استعملت فى مورد حسن؛ إستحق صاحبها مدحا، و إلا فذما. و لهذا فليس هناك أشجع من الأسد، ولكن ذلك لا يعتبر فضيله له.

و نحن إذا دققنا النظر فإننا نجد: أن سر شجاعه العرب هو أنهم ٦.

١- الأغاني ط دار إحياء التراث العربى (بيروت): ج ١٧ ص ٢٥٥.

٢- سورة الفتح / ٢٦.

بحكم بيئتهم و حياتهم فى الصحراء، بلا حواجز و موانع طبيعيه أو غيرها.

و مواجهتهم الخطر المستمر من الحيوان، و من بنى الإنسان على حد سواء، يشعر كل فرد منهم: أنه مسؤول عن حمايه نفسه، و الدفاع عنها بنفسه، و لا يرد عنه إلا يده و سيفه، ما دام أنه فى كل حين عرضه للغزو، و النهب، و السلب، و أخذ الثارات منه.

هذا بالإضافة إلى أنه لا يأكل فى كثير من الاحيان إلا من سيفه و يده، و إلا فإنه هو نفسه يكون عرضه لأن يؤكل، فمن لم يكن شجاعا فاتكا أكل، أو على الأقل لم يستطيع أن يأكل، فكأنهم يتعاملون بمنطق؛ إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب، و بعد فهل يمدح الذئب على فتكه بفريسته، و تمزيقه لها؟! إلا إذا كان هذا الفتك من منطلق الدفاع عن المثل أو القيم، أو عن الضعيف الذى يحتاج إلى الناصر، أو ما إلى ذلك.

٤- النجده و الإقدام: و لا يختلف الكلام فى ذلك عن الكلام فى الشجاعه، إلا أننا نشير هنا إلى أن ذلك يرجع لإطمئنانه إلى أنه غير مسؤول عما يعمل، بل هو منصور من قبل قبيلته على كل حال، طالما كان او مظلوما.

يضاف إلى ذلك: أن حياه البادية و الغزو المفاجئ، و عمليات الإغتيال ثارا، و غير ذلك من أخطار كانت تتهددهم باستمرار، كل ذلك يستدعى سرعه الإقدام، و مباشره العمل فورا، فإذا أضيف الى ذلك شعورهم بعدم المسؤوليه عن كل ما يحصل، فإن الإقدام بلا ترو و لا تريث؛ لا بد أن يصبح هو الصفه المميزه لهم، و الطاغيه على تصرفاتهم.

و لا بد ان نشير هنا: إلى أن قدرتهم على الانتقام فورا من شأنها أن تجعل فيهم حساسيه متناهيه؛ و لذا قل أن تجد فيهم حلما، إلا من بعض المسنين، أو أصحاب الهمم العاليه، او الجبناء، الذين يتخذون الحلم و سيله لتغطيه إنهماميتهم.

٥- الأنفه و العزه، و الإعتداد بالنفس، و النزوع الى الحريه، و قوه الإراده و الفصاحه، و قوه البيان؛ و الجوار.

و الكلام فيها لا يختلف كثيرا عما تقدم، فإن هذه الصفات لا تستحق مدحا أو ذما إلا بملاحظه الدوافع و الأهداف التي تكون من أجلها، أو تستعمل فيها.

و منشأ هذه الصفات فيهم بالإضافه الى ما تقدم، هو عدم تعرضهم للخضوع الى سلطه مركزيه، تحاول الهيمنه عليهم، و فرض النظام فيهم، و لو بالإذلال، و القهر، مما من شأنه أن يعطيهم حريه في التصرف، و الحركه، و القول، و ما الى ذلك.

٦- و أخيرا، الوفاء بالعهد: و هو أمر حسن في نفسه و لا بأس به، إلا أن يكون عهدا مضرا بالمجتمع.

و هذا الوفاء أيضا أمر قد فرضته عليهم طبيعه حياتهم التي أشرنا إليها آنفا.

و أما حلف الفضول، الذي هو أشرف حلف في العرب، فمصدره في الحقيقه بنو هاشم، و كذا حلف عبد المطلب مع خزاعه، فلا يعبر ذلك عن خليات سائر العرب.

و قد اتضح من كل ما تقدم: أن كل تلك الصفات ليست جديره بأن تعتبر فضائل أخلاقيه، و صفات إنسانيه، إلا حينما كانت تصدر عن خلق فاضل، و إنسانيه كريمه، أو عن تقوى و شعور ديني، و إلا- فقد تكون على العكس من ذلك، إذا عبرت عما يناقص ذلك و ينافيه.

الإسلام و تلك الصفات:

لقد حاول الإسلام أن يضع تلك الصفات في خطها الصحيح، و أن

يجعلها تنطلق من قواعد إنسانيه، و عواطف صافيه و حقيقه، و فضائل أخلاقيه، و بالأخص من إحساس دينى صحيح، و ليستفيد منها- من ثم- فى بناء الأمه على أسس صحيحه و سليمه.

أماما كان منها لا يصلح لذلك، فقد كان يهتم بالقضاء عليه، و إستئصاله بالحكمه، و الموعظه الحسنه، كلما سنحت له الفرصه، و واتاه الظرف.

فمثلا نلاحظ: أنه قد حاول أن يجعل المنطلق للكرم، و بذل المال، هو العاطفه الإنسانيه، و الشعور بحاجه الآخرين، كما يظهر من كثير من النصوص، هذا بالاضافه إلى طلب الأجر و المغفره من الله تعالى، و ذلك هو صريح قوله تعالى: **وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (١)** بل لقد تعدى ذلك و تخطاه إلى تمدح الإيثار على النفس، حتى فى موقع الخصاصه و الحاجه الملحه، فقال تعالى: **وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (٢)**.

أما العصبية القبيله، فقد حاول أن يوجهها وجهه بناءه و يقضى على كل عناصر الشر و الانحراف فيها، فدعا إلى بر الوالدين، و إلى صله الرحم، و جعل ذلك من الواجبات، حينما يكون سببا فى تلاحم و ربط المجتمع بعضه ببعض.

و لكنه أدان كل تعصب لغير الحق، و نددبه، و عاقب عليه، و اعتبر ذلك من دعوات الجاهليه المنتنه، كما هو صريح بعض النصوص التى سنشير إليها فى السيره النبويه، إن شاء الله تعالى. ٩.

١- سورة الإنسان، الآية ٨- ٩.

٢- الحشر ٩.

و كذلك فإنه قد حاول أن يوجه الشده و القسوه إلى حيث تكون فى صالح الدين و الإنسان. و مثمره للحق و الخير، و الحفاظ عليهما.

و النصوص الداله على ذلك كثيره جدا، و يكفى أن نشير إلى قوله تعالى:

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (١) و قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ (٢) و قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً (٣) و الآيات و الروايات فى هذا المجال كثيره جدا، فهو يريد الشده فى دفع الظلم و الإنحراف. و الحفاظ على الحق، و أن لا تأخذ المؤمن فى الله لومه لائم. و يريد أن تتحول هذه الشده إلى رحمه و حنان و سلام فيما بين المؤمنين أنفسهم.

و هكذا يقال بالنسبه إلى سائر الصفات المتقدمه، فإن من يراجع النصوص القرآنيه، و الاحاديث الوارده عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و عن آله المعصومين (عليهم السلام)، لا يبقى لديه أدنى شبهه فيما ذكرناه من أن الإسلام قد صب كل اهتمامه على توجيه الصفات الحسنه، و التصرف فى دوافعها و أهدافها، و جعلها تصب فى مصلحه الدين و الأمه، و القضاء على الصفات الذميه، التى تقضى على سعادته البشر، و تهدم بناء الحق الشامخ.

و لسوف يأتى فى الفصل الثالث، حين الكلام عن العوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام و انتصاره، أن هذه المميزات و الخصائص قد أدت دورا هاما فى ذلك، فإلى هناك. ٣.

١- الفتح ٢٩.

٢- التوبه ٧٣.

٣- التوبه ١٢٣.

متى كان بناء مكة:

إشاره

لا نستطيع أن نحدد بدقة تاريخ بناء مكة، و اتساعها حتى صارت جديره باسم: (أم القرى). و قد يقال: إن بدء بنائها كان قبل بناء ابراهيم (عليه السلام) للبيت، حسبما تشير إليه بعض الروايات، بل و يدل عليه قول الله تعالى حكاية عن إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا (١).

و عليه، فما يحاول البعض إثباته، من أن قصيا هو أول من بنى مكة، و كان البيت وحيدا فى الصحراء، و كان الناس يتركونه ليلا، و يعودون إليه نهارا، بدليل أن قصيا سمي (مجمعا)؛ لأنه جمع القبائل حول البيت:

لا يصح، بل هو لا يدل أيضا؛ لأن تاريخ مكة قبل قصى خير شاهد على أنها كانت آهلة بالسكان، معموره، و معروفه و مشهوره. نعم ربما يكون قصى قد نظم سكن القبائل فى مكة بالشكل المناسب.

و مهما يكن من أمر، فإن تحديد ذلك لا يهمنا كثيرا الآن. و ما يهمنا هو التعرف على المكانه الدينيه لمكة، و مدى ارتباط قبائل العرب، بل و غيرهم بها. و الحديث عن ذلك لا ينفصل عن الحديث عن البيت العتيق، الذى تحتضنه مكة. ثم عن قريش التى كان لها شرف خدمه ذلك البيت؛ فنقول:

ألف: بناء الكعبه:

الكعبه هى أول بيت وضع للناس بيكه، مباركاً، و هدى للعالمين، كما هو صريح القرآن (٢)، و المعروف المشهور هو: أن واضعه هو شيخ الأنبياء إبراهيم (عليه السلام). ٦.

١- سوره ابراهيم ٣٥.

٢- راجع: آل عمران / ٩٦.

و لكننا نجد فى كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يدل على أن البيت قد كان من لدن آدم أبى البشر (عليه السلام). أما إبراهيم فهو رافع قواعده و مشيد بنيانه و أركانه.

قال (عليه السلام): (ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم، صلوات الله عليه، و إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضر و لا تنفع، و لا تبصر و لا تسمع، فجعلها بيته الحرام، الذى جعله للناس قياما. ثم وضعه بأوعر بقاء الارض حجرا، و أقل نتائق الدنيا مدرا، و أضيق بطون الأودية قطرا، بين جبال خشنه، و رمال دمهته، و عيون و شله، و قرى منقطعه، لا يزكو بها خوف و لا حافر، و لا ظلف. ثم أمر آدم و ولده:

أن ينشوا أعطافهم نحوه، فصار مثابه لمنتجع أسفارهم، و غايه لملقى رحالهم، تهوى إليه الأفئده من مفاوز سحيقه إلخ .. (١)

و يدل على ذلك أيضا: روايات وردت من طرق الخاصه و غيرهم؛ فمن أرادها فليراجعها فى مظانها (٢).

و لعل ظاهر القرآن لا يابى عن هذا أيضا؛ حيث جاء التعبير فيه عن تجديد بناء إبراهيم للبيت بقوله: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ (٣)

و هذا لا- ينافى أن تكون الأسس و القواعد قد وضعت قبل ذلك، و إبراهيم هو الذى رفع هذه القواعد، و شيد على تلکم الأسس. و هذا موضوع يحتاج إلى بحث و تحقيق، نسأل الله يوفقنا لمعالجته فى فرصه أخرى إن شاء الله تعالى. ٧.

١- نهج البلاغه بشرح عبده، الخطبه المعروفه بالقاصعه رقم ١٨٧.

٢- راجع على سبيل المثال: تفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٢٦-١٢٩، و الطبرى، و الدر المنثور، و شرح النهج، و أخبار مکه للأزرقي: ج ١ ص ٣-٣٠، و تفسير البرهان: الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢ ٣٢ ألف: بناء الكعبه: ص: ٣١ ج ١ ص ٣٠٠ و غير ذلك.

٣- البقره ١٢٧.

ب: دعاء إبراهيم:

و مهما يكن من أمر، فإن إبراهيم (عليه السلام) قد لاحظ: أن البيت الذي اختبر الله الناس به قد وضع في بقعه تكون الحياه فيها صعبه و شاقه، كما يظهر من كلمات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقدمه؛ و لذلك فقد دعا ربه فقال:

رَبَّنَا إِنِّي أَسِيكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ، لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (١).

و لقد استجبت دعوه إبراهيم (عليه السلام)، و أصبحت مكه قبله الآملين، و مهوى أفئده الصفوه من العالمين.

ج: تقديس الكعبه:

لقد كانت الكعبه مقدسه و معظمه عند جميع الأمم، فيذكر العلامة الطباطبائي قدس سره:

أن الهنود يعتقدون: أن روح سيفا، و هو الأقنوم الثالث عندهم قد حلت في الحجر الأسود، حينما زار هو و زوجته بلاد الحجاز. و الصابئه من الفرس و الكلدانيون يعدون الكعبه أحد البيوت السبعه المعظمه (٢)، و ربما قيل: إنها بيت زحل لقدم عهدها، و طول بقائها ..ن.

١- ابراهيم ٣٧.

٢- البيوت السبعه هي: الكعبه، و مارس: على رأس جبل بأصفهان. و هندوستان: ببلاد الهند. و نوبهار: بمدينه بلخ. و بيت غمدان: بمدينه صنعاء. و كاوسان: بمدينه فرغانه من خراسان، و بيت بأعلى بلاد الصين.

و اليهود أيضا كانوا يعظمونها، و يدعون أنهم يعبدون الله فيها على دين إبراهيم (عليه السلام). و يقولون: إنه كان فيها تماثيل و صور، منها تمثال إبراهيم و إسماعيل، و بأيديهما الألام، و أن فيها صورتا العذراء و المسيح، و يشهد على ذلك تعظيم النصارى لأمرها كاليهود.

و كانت العرب أيضا تعظمها كل التعظيم، و تعدها بيتا لله تعالى.

و كانوا يحجون إليها من كل جهه (١) ..

و ستأتى كلمات أبى طالب حول هذا الأمر حين الكلام عن زواج النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بخديجه أم المؤمنين (عليها السلام) و قد حكى الله سبحانه هذا الأمر حينما قال: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَ يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ (٢).

فالكعبة إذن، كانت مقدسه عند جميع الأمم و الطوائف، و بالأخص عند العرب، و ظلت على ذلك مددا متطاولة فى العصر الجاهلى، و يزيد ذلك قوه و رسوخا: أن العربى كان يعتبرها مصدر عزته، و موضع أمله، و كيف لا تكون كذلك، و هو يرى ان الأمم الأخرى تنظر اليه- لأجلها- بعين الحسد و الشنآن. و تعمل على انتزاع هذا الشرف منه، أو على التقليل من خطره و أهميته، حتى لقد:

١- أقام الغساسنه بيتا فى الحيره فى مقابلها (٣).

٢- و فى نجران أيضا: أقيمت كعبه أخرى لتضاهى كعبه مكه، يقول الأعشى: يخاطب ناقته: ٥.

١- راجع الميزان ج ٣ ص ٣٦١، ٣٦٢. و ما ذكره يحتاج إلى تحقيق، و إثبات بالأدله و الشواهد.

٢- العنكبوت / ٦٧.

٣- حياه محمد لمحمد حسين هيكى ص ٦٣. و راجع: الأصنام ص ٤٥.

و كعبه نجران حتم عليك حتى تناخى بأعتابها و كعبه نجران هذه يقال: إنها بيعه بناها بنو عبد الممدان بن الديان الحارثي، على بناء الكعبه، و عظموها مضاهاه للكعبه، و سموها: كعبه نجران (١).

٣- و فى الشام كانت الكعبه الشاميه (٢).

٤- و فى اليمن الكعبه اليمانيه (٣).

و كان رجل من جهينه قال لقومه: هلم نبني بيتا نضاهى به الكعبه، و نعظمه، حتى نستميل به كثيرا من العرب، فاعظموا ذلك و أبوا عليه (٤).

و يكفى أن نذكر: أن أبرهه بن الأشرم أقام فى اليمن بيتا، و دعا الناس إلى تعظيمه، و الحج إليه. و كتب إلى ملك الحبشه: (إنى قد بنيت لك كنيسه لم بين مثلها أحد قط. و لست تاركا العرب حتى أصرف حجهم عن بيتهم الذى يحجونه إليه) (٥).

و رغم أنه زخرفه و فرشاه بأفخر ما يقدر عليه، إلا أن ذلك لم ينفع فى صرف الناس حتى اليمينيين عن الكعبه إليه، فضلا عن أن يصرف غيرهم أو أهل مكه عن كعبتهم، و استمر الناس، و أهل اليمن على الحج إلى مكه.

و بعد أن تغوط أحد بنى كنانه فى كنيسه أبرهه، غضب، و اندفع إلى ٧.

١- معجم البلدان لياقوت الحموى ج ٥ ص ٢٦٨. و راجع: الأصنام ص ٤٤ / ٤٥.

٢- البدايه و النهايه ج ٢ ص ١٩٢.

٣- البدايه و النهايه ج ٢ ص ١٩٢.

٤- الأصنام: ص ٤٥.

٥- الأصنام: ص ٤٧.

مكة فى عام الفيل و قال لعبد المطلب: إنه لا يقصد إلا هدم البيت، فأجابه إن للبيت ربا سيمنعه، و جرى ما جرى لأبرهه و جيشه و أنزل الله فى ذلك:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (١).

٥- و يقولون: إن تبع بن حسان كان قبل ذلك، قد حاول أن يهدم البيت و يحول حجارته إلى اليمن، فبنى بها بيتا هناك تعظمه العرب، فدفع الله عن البيت شره و كيده (٢).

الأصنام، و الكعبة:

و يقولون: إن عمرو بن لحي، كبير خزاعه، عند ما كان يتولى أمر البيت، سافر إلى الشام، و حمل معه منها الصنم المسمى ب (هبل) و وضعه على الكعبة. و كان أول صنم وضع عليها، ثم أتبعه بغيره، و فى ذلك يقول شحنه بن خلف الجرهمي:

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهشتى بمكة حول البيت أنصابا

و كان للبيت ربا واحدا أبدا فقد جعلت له فى الناس أربابا ١.

١- سورة الفيل راجع فى هذه القضية البحار: ج ١٥ ص ١٤٠ و ١٣٦ و ١٣١ و ٧٢ و ٦٩ و ٦٦، و أمالى الطوسى: ص ٧٨ / ٧٩، و أنساب الأشراف: ج ١ ص ٦٨، و تاريخ ابن الوردى: ج ١ ص ١٢٧، و السيره النبويه لابن كثير: ج ١ ص ٣٤، و السيره النبويه لابن هشام: ج ١ ص ٥١، و البدايه و النهايه: ج ٢ ص ١٧٢، و تاريخ الخميس: ج ١ ص ١٨٩، و السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش الحلييه): ج ١ ص ٣١، و السيره الحلييه: ج ١ ص ٥٩ - ٦١.

٢- ثمرات الأوراق ص ٢٨٧ و راجع: تاريخ الخميس: ج ١ ص ١٩١.

قالوا: (و كان قوله- أى عمرو بن لحي- فيهم كالشرع المتبع؛ لشرفه فيهم، و محلته عندهم، و كرمه عليهم) (١).

فشاعت عباده الأصنام بين العرب، و أصبحت كل قبيله تضع لها صنما على الكعبه، تختلف إليه من جميع الأقطار، حتى صار بها أكثر من (٣٠٠) صنما، او تنصبه فى الموضع المناسب لها، فإذا أرادوا الحج وقفوا عند الصنم، و صلوا عنده، ثم يلبون حتى يصلوا إلى مكه (٢).

و اتخذ أهل كل دار صنما يعبدونه فى دارهم، فإذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب، و إذا قدم تمسح به أول ما يصل قبل أن يصل إلى أهله.

و كان ذلك هو حجه من قال: إن العرب لم تكن تعبد الأصنام قبل عمرو بن لحي (٣).

و ثمة رأى آخر يقول: إن بنى إسماعيل كانوا لا- يفارقون مكه حتى كثروا، و ضاقت بهم مكه، و وقعت بينهم الحروب و العدوات، و أخرج بعضهم بعضا، فاضطروا إلى التفرق فى البلاد، و ما من أحد منهم إلا حمل معه حجرا من حجاره الحرم تعظيما للحرم؛ فحيث ما نزلوا، وضعوه فطافوا به، كطوافهم بالكعبه، حتى أدى بهم ذلك إلى عباده تلك الحجاره. ثم جاء من بعدهم؛ فسوا ما كان عليه آباؤهم من دين إسماعيل، فعبدوا الأوثان (٤) و فيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم.

١- البدايه و النهايه ج ص ١٨٧ و السيره الحلييه: ج ١ ص ١٠ و ١١، و راجع: الأصنام ص ٩.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٥٥.

٣- راجع: السيره الحلييه: ج ١ ص ١٠ و ١١.

٤- راجع: البدايه و النهايه ج ٢ ص ١٨٨، و المستطرف ج ٢ ص ٧٥ عن ابن إسحاق، و الأصنام ص ٦ و غير ذلك.

و إسماعيل يتنسكون بها، من تعظيم البيت و الطواف به، و الحج و العمره، و الوقوف على عرفه و مزدلفه، و إهداء البدن، و الإهلال بالحج و العمره، مع إدخالهم فيه ما ليس منه (١).

و نحن نرجح أن هذا الأخير هو سر عبادتهم للأوثان. و أما عمرو بن لحي، فالظاهر أنه أول من وضع الأصنام على الكعبه، أو حولها، و تبعه غيره. و ربما يشهد لذلك أن مجيئه بالصنم من الشام لا بد أن يسبقه - بحسب العاده - نوع قبول للأصنام، و تعظيم لها، هذا، إن لم نقل: إنه يعنى: أنه كان يعبد الأصنام قبل أن يذهب إلى الشام.

و ما يهمننا هنا هو الإشارة إلى ما كان للكعبه من مكانه لدى الإنسان العربى، فضلا عن غيره، سواء فى الوقت الذى كان يعبد فيه الأوثان و يعظمها، أو فى تلك الظروف التى بدأ يشعر فيها بعض الناس بسخافه عباده الأوثان، و عدم معقوليتها.

و بالنسبه للمراد من الصنم فإنهم يقولون: (إذا كان معمولا من خشب أو ذهب، أو من فضه صوره إنسان، فهو صنم، و إذا كان من حجاره فهو وثن) (٢).

ولاية الكعبه:

كانت ولاية الكعبه أولا فى يد ولد إسماعيل، ثم خرجت من يدهم إلى أخوالهم الجرهميين (٣) و يقال: إلى العماليق، ثم عادت إلى جرهم.ن.

١- الأصنام: ص ٦.

٢- الأصنام: ص ٥٣.

٣- يقال: إن زوجه إسماعيل كانت جرهميه. و هم فى الأصل يمنيون قحطانيون، لا من عدنان.

ثم لما كثر ولد اسماعيل؛ و أصبحوا ذوى قوه و منعه، حاربوا الجرهميين بقياده كبير خزاعه، و انتزعوا منهم ولايه البيت، و استمرت فى الخزاعيين إلى أن أخرجها منهم قصى بن كلاب، الجد الرابع للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم).

و كانت الولايه بيد حليل الخزاعى أبى زوجه قصى، فجعل الولايه بعد موته لابنته، التى كانت تحت قصى، و لكنه جعل مفتاح البيت مع رجل يقال له أبو غبشان فيقال: إن قصيا إشتهر منه بزق خمر، و بذلك يضرب المثل (أخسر من صفقه أبى غبشان)، و قال فى ذلك بعضهم:

أبو غبشان أظلم من قصى و أظلم من بنى فهر خزاعه

فلا تلحوا قصيا فى شراه و لوموا شيخكم إذ كان باعه (١)

و من أجل ذلك فقد جرت بين قريش و خزاعه حرب كان النصر فيها لقريش، و هم أولاد فهر بن مالك (٢)، هكذا يقولون.

و لكن ذلك ليس هو الرأى النهائى هنا؛ إذ أننا نرى البعض الآخر يقول:

إن قصيا قد استعاد البيت من خزاعه بعد حروب جرت بينه و بينهم، ثم تحاكموا إلى عمرو بن عوف، فحكم لقصى (٣).

و ثمه قول آخر يفيد: أن حليلا أوصى عند موته بولايه البيت لصهره قصى. و هذا ما تزعمه خزاعه (٤). ق.

١- راجع تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٣٩ و ٢٤٠.

٢- البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢١٠، و غيره.

٣- تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٤٠ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٠٧ عن ابن إسحاق.

٤- تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٣٩ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٠٥ عن ابن إسحاق.

و إذا كانت خزاعه تزعم ذلك فما هو المبرر لحربها، إلا الحسد له، و البغى عليه؟! و الظاهر أن حليلا قد أوصى إليه به فحاربتة خزاعه حسدا و بغيا، (١) ثم تحاكموا إلى يعمر بن عوف، فحكم له.

و حكم يعمر بن عوف له يقرب وصيه حليل بالولاية إليه، و كان يعمر قد اطلع على هذه الوصيه، إن لم يكن لقصى حجج أخرى في المقام جعلت الحكم يكون في صالحه (٢).

و على كل حال فقد جدد قصى بناء البيت في القرن الثاني قبل الهجره (٣) و بنى إلى جانب الكعبه دار الندوه، التي كانت تجتمع فيها قريش للحكومه، و القضاء، و الشورى (٤) و هذا من مآثره الجليله، الداله على درايتة و حكمته، و بعد نظره.

مكانه قريش:

و واضح أن سدانة قريش للبيت العتيق، و هو الذى يعظمه الكثيرون ثم اتصال نسبها بإسماعيل و إبراهيم (عليهما السلام)، و العربى - بطبعه يحترم نسباً كهذا، إنطلاقاً من اهتمامه بالأنساب، و إذعانه لها على أنها مصدر شرف و سؤدد و لا سيما بملاحظه تعرض العربى للغارات و السبى الأمر الذى يجعل لديه حساسيه خاصه تجاه هذا الأمر.

و أيضاً، لأن قريشا كانت أقرب إلى الحنيفيه من غيرها، و شعائره٩.

١- راجع السيره الحلبيه: ج ١ ص ٨ و تاريخ الخميس: ج ١ ص ١٥٥، و تاريخ الأمم و الملوك: ج ٢ ص ١٦.

٢- السيره الحلبيه: ج ١ ص ٩، و راجع: تاريخ الأمم و الملوك: ج ٢ ص ١٧.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ١٩.

٤- راجع: السيره الحلبيه: ج ١ ص ١٢ و ١٥، و راجع: تاريخ الخميس: ج ١ ص ١٥٥، و تاريخ الأمم و الملوك: ج ٢ ص ١٨ /

الحج إنما هي من بقاياها كما هو معلوم. و الحنيفيه هي الدين الذي يحترمه العربي و يقدسه و يعنوله- إن كل ذلك، و غيره من أمور قد أكسب قريشا شرفا، و منحها مكانه، و نفوذا و خطرا، و أصبح الناس عامه ينظرون إلى قريش نظره فيها الكثير من الإحترام و التقديس و الإكبار.

و الشواهد على هذا كثيره، و يكفي أن نذكر قول قصي لقريش: (قد حضر الحج، و قد سمعت العرب ما صنعتم، و هم لكم معظمون) (١).

و قول أبي طالب حين تزويج خديجه من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): (الحمد لرب هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم و ذريه إسماعيل و أنزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكام على الناس، و بارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه) (٢).

و عليه، فإنه إذا كانت قريش من نسل إسماعيل، و تحترم دين الحنيفيه.

و إذا كانت مكة تعتبر حتى من العرب، أهل الحرب و الغاره، حرما يأمن من لجأ إليه، و قد يلتقى العربي فيها بقاتل ولده، أو أبيه؛ فلا يؤذيه، و لا يستطيع أن يثأر منه.

و إذا كان تقديس مكة قد بلغ عندهم هذا الحد؛ فإن من الطبيعي أن يكون لساده مكة نصيب وافر من هذا التقديس. و أن يتميزوا على سائر الناس باحترام خاص. أضف إلى ذلك سدانتهم للبيت الذي تفد إليه العرب من جميع الأقطار و الأنحاء.

و إذا كانت قريش و خصوصا الهاشميون ترى: أن شرفها، و سؤدها، و مجدها، و حتى إقتصادها، مرتبط بالبيت و متصل به اتصالا وثيقا؛ فمنه.

١- تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٣٩.

٢- ستأتى بعض المصادر لذلك إن شاء الله تعالى حين الكلام عن زواج النبي صلى الله عليه و آله و سلم بخديجه.

الطبيعي أن تدرك أن انتهاك حرمة ليس من مصلحتها. لأن ذلك يقلل من تقديس البيت، و من احترام سدنته و يفقدهم - من ثم - أعز و أغلى ما لديهم.

و من هنا فإنه و إن كان في قريش جماعات شريره، لا ترجع إلى دين، و هم أصحاب حلف الأحلاف (لعقه الدم). لكن قد كان في مقابلهم رجال أشرف كرام لا يرضون بما يصدر من أولئك، و يحاولون إرجاع الحق إلى نصابه ما أمكنهم ذلك، و من هنا كانت المبادرة إلى عقد حلف المطيبين، و بعده حلف الفضول، الذي ينص على أن تردّ كل مظلمه إلى صاحبها، لا فرق بين قرشي و غيره، و على التأسى بالمعاش (١).

أنا ابن الذبيحين:

و يذكرون هنا: أنه حين لقي عبد المطلب - و هو يحفر زمزم - من قريش ما لقي: من مخاصمتها إياه في شأن تلك البئر، و شدتها عليه، حلف لئن ولد له عشره نفر لينحرن أحدهم. فلما ولدوا له دعاهم إلى الوفاء لله بالندرة؛ فأجابوه، فضرب القداح فخرجت على ولده عبد الله أصغر بنى أبيه، على حد تعبير ابن هشام.

و نقول:

الصحيح: بنى أمه، و إلا فإن الحمزه و العباس كانا أصغر منه.

إلا أن يقال: إنهما لم يكونا قد ولدا بعد.

و الظاهر: أن المقصود بالعشره: ما يشمل أولاد اولاده. و قد ذكروا:

أنه كان للحرث بن عبد المطلب ولدان؛ هما أبو سفيان و نوفل، بل ذكر بعضهم: أن أعمامه صلى الله عليه و آله وسلم كانوا إثني عشر، بل قيل: ثلاثة عشر. و أنه.

١- سيأتى الحديث عن ذلك مفصلاً في فصل: من الميلاد إلى البعثة.

عبد الله ثالث عشرهم. و عليه فلا إشكال، لأن الحمزه و العباس، كانا من أم أخرى كما أشرنا إليه (١).

كما أننا نشك في قولهم إن ضرب القداح كان عند هبل، و أراد التنفيذ عند إساف و نائله؛ لأن عبد المطلب كان على دين الحنيفيه كما سيأتي عن قريب، و لم يكن يحترم الأصنام آنئذ.

و مهما يكن من أمر فقد أراد عبد المطلب ذبح ولده عبد الله، فأطاعه ولده؛ فمنعوه من ذلك؛ فضربت القداح عليه، و على عشره من الإبل - مقدار ديه رجل - من جديد فخرجت عليه، فزادها عشره، و ضربت القداح فخرجت عليه، و هكذا إلى ان بلغت مئه؛ فخرجت على الإبل فنحرت: و لذلك يقال: إن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) كان يقول:

أنا ابن الذبيحين، أى إسماعيل، و عبد الله (٢).

من هو الذبيح:

و يقول البعض: إن المراد بالذبيحين هابيل، و عبد الله .. على اعتبار أن المراد بالذبيح هو إسحاق، كما جاء في بعض الروايات (٣).

١- راجع: السيره الحلبيه: ج ١ ص ٣٨ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٨.

٢- السيره الحلبيه: ج ١ ص ٣٥-٣٨ و راجع المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٧ و السيره النبويه لدحلان ط دار المعرفه ج ١ ص ١٦.

٣- راجع ابن إسحاق، و السهيلي و به جزم ابن سلام الجمحي في كتاب طبقات الشعراء ص ١٠٧، و حكاه عن: عمر، و العباس، و ابن مسعود، و مسروق، و عكرمه، و سعيد بن جبير، و مجاهد، و عطاء، و الشعبي، و مقاتل و عبيد الله بن عمر، و أبى ميسره، و زيد بن أسلم، و عبد الله بن شقيق، و الزهرى، و القاسم، و ابن أبى برده، و مكحول، و عثمان؟ و السدى، و الحسن و قتاده، من السلف و غيره قالوا بذلك كل ذلك في البدايه و النهايه ج ١ ص ١٥٩. و البحار: ج ١٢ ص ١٣٢، و تاريخ

و لإجماع أهل الكتاب على ذلك (١) على اعتبار أن العرب تجعل العم أبا (٢).

و هذا لا يصح؛ أما:

أولاً: فإنه (صلى الله عليه و آله و سلم) ليس من ولد هاويل إجماعاً.

إلا أن يقال: إن العم بمنزله الأب.

و يرده:

ألف: أن أبوه الذبيح الآخر في قوله: أنا ابن الذبيحين؛ لا بد أن لا تختلف عن أبوه عبد الله له، لأنه ذكرهما في كلام واحد، فأراد هذا المجاز البعيد في أحدهما؛ و الحقيقة في الآخر غير معقول، حتى لو جوزنا استعمال اللفظ المشترك في أكثر من معنى، كما هو الصحيح، بدليل وجود التورية في كلام العرب.

ب: إن الذى بمنزله الأب - لو سلم أنه عرفاً كذلك - إنما هو العم القريب، لا العم الذى يأتى بعد عشرات الآباء و الأجداد.

ثانياً: كون الذبيح هو إسحاق لا يصح. و ذلك لما يلى:

ألف: إنه قد ذكر فى سورة الصافات قضيه الذبيح، ثم عقبها ٧.

١- البحار: ج ١٢ ص ١٣٤.

٢- المواهب اللدنية ج ١ ص ١٧.

بالبشارة باسحاق فقال: وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١) مما يشعر بأن اسحاق قد ولد بعد قضيه الذبح، لأن هذه بشاره بالميلاد بقريته قوله تعالى فى آيه أخرى: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) (٢) و لو كان الذبح لإسحاق لم يحسن الإتيان بإسمه، بل كان المناسب إيراد ضميره. و تكون البشارة بنوته مكافأه على صبره على الذبح، و ليست بشاره به نفسه كما هو ظاهر الآيه.

و قد روى الإستدلال بالآيات عن الإمام الصادق (عليه السلام)، و عن محمد بن كعب القرظى أيضا (٣).

و يشير إلى هذا أيضا: الترتيب الذى جاء على لسان إبراهيم (عليه السلام) حيث قال: (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل و إسحاق).

كما أن الله قد ذكر إسماعيل و إسحاق فى القرآن معا فى ست آيات، و فى كلها يقدم ذكر إسماعيل على إسحاق.

و فى ذلك إشاره إلى ما ذكرناه:

٢- و لو أغمضنا النظر عن ذلك فإننا نقول: إن من غير المعقول أن يبشر الله تعالى نبيه بـغلام سيكبر، و يكون نبيا و يتزوج، و يولد له ولد اسمه يعقوب ثم يأمره بذبذ ذلك الولد الكبير و النبى نفسه، فإنه لا يرتاب حينئذ بأن الأمر بالذبح ليس حقيقيا و إنما هو صورى و هذا يفقد قضيه الذبح كل قيمتها. فلاحظ قوله تعالى: وَ بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا و قوله: وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ. ٩.

١- الصافات ١١٢.

٢- هود / ٧١.

٣- راجع: الميزان ج ١٧ ص ١٥٥ و البدايه و النهايه ج ١ ص ١٦١ و ١٥٩.

إلا أن يدعى: أن النبوه و البشاره بيعقوب ليست داخله فى البشاره الأولى.

و لكن ذلك خلاف الظاهر. و الذين يصرون على ان الذبيح هو إسحاق لا يقولون بالبداة ليمكنهم التشبث به فى الإجابة هنا.

أو يدعى: أن الذبيح قد يكون بعد أن ولد له يعقوب.

و يردده: أنهم يقولون: إن قضيه الذبيح قد حصلت حينما كان عمره ثلاث عشرة سنه (١).

٣- و قد روى: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أوضح أن كونه ابن الذبيحين إنما هو بنذر عبد المطلب، و بذبح إسماعيل (عليه السلام) (٢).

٤- و أخيرا .. فقد أنكر أبو عمرو بن العلاء أن يكون إسحاق هو الذبيح، على اعتبار أن الذبيح كان بمكه، و إسماعيل هو الذى كان بمكه و بنى البيت مع والده. و كذا قال ابن القيم (٣).

خلاصه و بيان:

و نستخلص مما تقدم: أنه قد كان هناك بشارتان:

إحدهما بولاده إسماعيل (عليه السلام)، فولد، ثم أمر بذبحه، و جرى ما جرى. ثم جاءت البشاره الأخرى بولاده إسحاق بملاحظه: أن أمه لم تكن ولدت، رغم أنها كان قد كبر سنها فبشرها الله بذلك - كما ٩٥

١- راجع: الدر المنثور للعاملى ج ١ ص ١٦١.

٢- البحار ج ١٢ ص ١٣٢ و مفاتيح الغيب ج ٢٥ ص ١٥٣.

٣- المصدران السابقان و مجمع البيان ج ٨ ص ٤٥٣ و الدر المنثور للعاملى ج ١ ص ١٦١ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٨ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٩٥

ذكرته سورة هود- فتعجبت: أن تلد و هي في هذا السن.

و عدم ذكر إسماعيل في سورة الصافات، و الاكتفاء بذكر إسحاق و يعقوب لعله يشير إلى ذلك أيضا على اعتبار أن الأمر بالنسبة لإسماعيل كان قد مضى و انقضى.

أهل الكتاب هم الداء الدوى:

و بعد هذا. فإن السؤال الذى يلح فى طلب الإجابة عليه هو: من أين جاء هذا الأمر الغريب: أن الذبيح هو إسحاق؟

و الجواب: هو ما قاله ابن كثير و غيره: (إنما أخذوه- و الله أعلم- من كعب الاحبار، أو من صحف أهل الكتاب. و ليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم، حتى نترك من أجله ظاهر الكتاب) (١) فاليهود إذن قد أرادوا ترويح عقيدتهم بين المسلمين، و تخصيص هذه الفضيله بجدهم إسحاق حسب زعمهم.

و لكن اليهود أنفسهم قد فاتهم: أن التوراه المتداوله نفسها متناقضه فى هذا الأمر؛ فإنها فى حين تقول: (خذ إبنك، و حيدك، الذى تحبه إسحاق. و اذهب إلى أرض المريا، و أصعده هناك محرقة على الخ ..) (٢).

فقد عبرت هنا بكلمه: (و حيدك) الداله على أن إسحاق هو أكبر ولد إبراهيم. و لكنها تعود فتكذب نفسها، و تنص على أن إسحاق لم يكن وحيدا و إنما ولد و عمر إسماعيل أربعة عشر سنه (٣). ده

١- البدايه و النهايه ج ١ ص ١٦١ و ١٥٩ و راجع السيره الحلييه ج ١ ص ٣٨ عن ابن تيميه.

٢- سفر التكوين: الإصحاح ٢٢، الفقره ١-٣٣ و لتراجع سائر فقرات الإصحاح أيضا.

٣- سفر التكوين الإصحاح ١٦ الفقره ١٥/١٦ نص على أن عمر ابراهيم حين ولاده

بل لقد ذكر ابن كثير: أنه لا خلاف بين أهل الملل: أن إسماعيل أول ولد إبراهيم و بكره (١).

وقد اعترف أحد مسلميه أهل الكتاب بأن اليهود يعلمون: أن الذبيح هو إسماعيل، ولكنهم يصرون على خلافه حسدا منهم للعرب (٢).

ملاحظات هامه:

الأولى: إننا نلاحظ: أن إبراهيم قد رزق ولده إسماعيل الوحيد في شيخوخته، كما أشار اليه القرآن. و طبعى أن يكون تعلقه بهذا الولد أشد، و حبه له أعظم. و نلاحظ أيضا: أن أمر الله تعالى له بذبحه قد كان، و ولده في أروع أيام حياته، و في السن التي يزداد تعلق والديه به فيه، و حبهما له؛ حيث تمتزج المحبه بالعاطفه، و الرأفه بالإعجاب ..

و أيضا، لقد رزقه الله ولدا هو في أعلى درجات الكمال الإنساني، عقلا و درايه و سلوكا، و استقامه، إلى غير ذلك من فضائل و كمالات إنسانيه فاضله. و هذا أيضا ادعى إلى التعلق به، وازدياد المحبه له.

و بعد ما تقدم فإننا نجد: أن الله سبحانه يكلف هذا الأب بذبح طفل كهذا بيده. و إذا كان التخلي عن طفل كهذا في ظروف كهذه هو من أصعب الأمور، فكيف إذا كان يجب أن يتم هذا التخلي بيد نفس ذلك الأب؟! .. ٨.

١- البدايه و النهايه ج ١ ص ١٥٧، و راجع: البحار: ج ١٢ ص ١٣٤.

٢- البحار: ج ١٢ ص ١٣٤، و مجمع البيان: ج ٨ ص ٤٥٣، و السيره الحلييه: ج ١ ص ٣٨. و تاريخ الخميس ج ١ ص ٩٥ / ٩٦ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٨.

و يلبى إبراهيم، و يستجيب إلى أمر الله، دون أن يسأل عن السبب، و دون أن يبرمه أمر كهذا، و حتى دون أن يتحير فى ذلك؛ لأنه واثق بحسن ما يختاره له ربه، و بصلاح ما يأمره به.

يستجيب لهذا الأمر، و لا يندفع إلى تنفيذه بسرعه و بدون أن يعلم ولده بهذا الأمر، ليريح أعصابه، و يستريح من هذا الكابوس، الأمر الذى يخفى وراءه شيئاً من الضعف و الوهن، بل هو يخبر ولده بالأمر، و يطلب منه أن يتخذ هو نفسه أيضا القرار الحاسم فى الإستسلام لذلك أو عدمه و ذلك يدل على ثقته بحسن اختيار ولده. و يدل على أنه كان يحترم فيه كبر عقله، و سداد رأيه، و لا يعتبره طفلاً لا يمكن أن توكل إليه أية مسؤوليه.

و طبيعى أيضا: أن يكون توجه إسماعيل لذلك، و أن يتخذ هو نفسه القرار فى ذلك بقوله: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين. مما يزيد فى الآم أبيه.

و إسماعيل .. الذى أراد أبوه أن ينيله أجر الطاعه، و يتذوق حلاوه التسليم، لم يكن منه إلا التسليم لأمر الله سبحانه، و الإنصياع له بثقه و رضا ولكنه لا يعتبر هذا التسليم و الرضا شجاعه و بطوله منه، و إنما يعتبره خضوعاً لمشيئه الله تعالى و يرى: أن صبره مستمد منه، و منته إليه؛ و لذلك عبر الله تعالى عن حالتها هذه بقوله: (فلما أسلما)؛ فهما قد أسلما لله تعالى، و ليس لغيره من الشهوات، و لا للغرائز، و لم تقيدهما القيود الماديه، و لا الدنيويه فى شىء (١).

و لذلك فإن إبراهيم و ولده هما ممن يكون الله أحب إليه من كل شىء مما نصت عليه الآيه الكريمة التى تقول: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا، وَتِجَارَةٌ.

١- لقد أشار فى كتاب: فى ظلال القرآن إلى بعض ما ذكرناه أيضا.

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَ مَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، وَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرْبُّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١).

الثانية: إن من الواضح أن ذبح إسماعيل، وإراقه دممه لم يكن هو المقصود النهائي له تعالى؛ وذلك لقوله تعالى لإبراهيم: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا، وإنما كان المقصود هو البلاء و الإمتحان لإبراهيم و ولده؛ لقوله تعالى: إِنَّ هَذَا لَهَوُّ الْبَلَاءِ الْمُبِينِ.

و حكمه هذا البلاء هي: أن يزيد في تزكيه، و تصفيه نفس إسماعيل، في مراحل إعداده لتحمل مسؤوليه النبوه، و قياده الأمة. و كذلك فإن في ذلك تزكيه و تصفيه و امتحانا لنفس إبراهيم (عليه السلام) و لربما يكون ذلك من الكلمات اللواتي استحق إبراهيم بإتمامهن أن يجعله الله للناس إماما. قال تعالى: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (٢).

و كانت قضيه الذبح هي البلاء المبين كما نصت عليه الآية الكريمة.

و قد رأيت بعد أن كتبت هذا: أن العلامة الطباطبائي يذكر: أن البعض قد تنبه لذلك كالطباطبائي نفسه، و استدل له، بقوله تعالى: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي إِذْ لَا- معنى لقوله هذا إن لم يكن له ذريه بالفعل، كما أنه لم يكن يعلم، و لا يظن: أنه سيكون له ولد قبل تبشير الملائكة له بذلك، و إبراهيم لا- يتفوه بما لا علم له به، و لا يظنه، و لا يحتمله، و لا يخطر له على بال، و هو بهذه السن المتقدمه. و لو كان ذلك قبل ولاده إسماعيل؛ لكان اللازم أن يقول: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي إِنْ رَزَقْتَنِي ذَرِيه (٣). ٨.

١- التوبه ٢٤.

٢- البقره ١٢٤.

٣- راجع: الميزان ج ١ ص ٢٦٧ / ٢٦٨.

و قد أورد البعض على الفقرة الأولى بإمكان أن يكون هذا الطلب من إبراهيم قد حصل بعد تبشير الملائكة له بالذرية. فنزلها في كلامه منزله الأمر الحاصل و المحقق.

و بعد، فإن حكم هذا البلاء، هو أن يضرب بذلك المثل الأعلى للأجيال، في التضحية في سبيل المبدأ الحق، و لا يكتفى بمجرد رفع الشعارات، و الإعلان عن المواقف كلاميا فقط. فإسماعيل و إبراهيم ينبغي أن تكون القدوة لكل مؤمن و مؤمنة.

كما أن في إخراج فضائلهما من عالم القوه إلى عالم الفعل، و إظهارها للناس و التعريف بها تشجيع للفضائل الكامنه في غيرهم، و تحريك لها لتقوم بمحاولة الظهور على الصعيد العملي، أى أن في ذلك هزه عاطفيه مؤثره في كل من يملك عاطفه جياشه؛ تستطيع أن تستثير الفضائل الكامنه في نفس الإنسان؛ لتكون واقعا حيا و ملموسا، و لتقود عمليه التغيير الشامله في حياه الإنسان، و مستقبله بشكل عام.

هذا و من غير البعيد: أن يكون المجتمع الذى عاش فيه إبراهيم و إسماعيل، قد طغت عليه الماديه؛ فأراد الله تعالى تحويل هذا الإتجاه بصوره عمليه، دون الإقتصار على إسداء النصائح، و التوجيهات.

و لعل المتأمل في هذه القضية يكتشف الكثير، مما لم نذكره، أو لم نشر إليه، و الله هو الموفق و المسدد.

الثالثه: و يبقى أن نشير هنا إلى أن من المقطوع به: أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لا يريد أن يفتخر بقوله هنا: أنا ابن الذبيحين، و إنما لعله يريد من قوله هذا: أن يوجه الأنظار للإستفاده من هذين الحداثين الهامين جدا. و أيضا يريد أن يفهم الآخرين: أنه شخصا ليس غريبا عن هذا الجو، و أنه إذا كان أولئك قد بلغوا هذه المكانه فى القرب من الله، و التفانى فى سبيله و التسليم له، فلا يجب أن يتوقع منه موقف آخر،

يختلف عن هذا، أو يقل عنه. و إذن؛ فإن آمالهم فى أن يقف موقف المساوم- فى يوم ما إنما هى سراب فى سراب؛ فإن القضية
قضية مبدأ و عقيدة، و ليست قضية مصالح شخصيه، كما يتخيلون.

و قد اثبتت الوقائع صحه ذلك؛ حيث كان صلى الله عليه و آله وسلم يقدم أهل بيته فى الحروب، و قد ضحى بكل غال و نفيس
فى سبيل هذا الدين.

الرابعه: إن نذر عبد المطلب هذا ربما يقال فيه: إنه غير جائز؛ إذ كيف جاز له التصرف فى شخصيه غيره إلى هذا الحد؟! و هل
يمكن أن يعتقد أحد بوجود الوفاء بنذر كهذا، يكون الضحية فيه نفس محترمه أخرى، حتى و لو كانت ولدا مثل عبد الله بن
عبد المطلب؟!.

و الجواب: إننا نلاحظ: أن عبد المطلب قد سار فى إيمانه سيرا تكامليا (١) كما أشار إليه الحلبي حيث قال: و رفض فى آخر
عمره عباده الاصنام، و وحد الله سبحانه (٢).

و بهذا نفس كونه فى أول أمره يسمى أبناءه ب (عبد مناف) و مناف إسم صنم، و (عبد العزى) و العزى كذلك. و لكنه يترقى و
يتقدم حتى يبلغ به الأمر حدا من التسليم و الإيمان بالله، أن أربع إيمانه هذا أبرهه صاحب الفيل، كما يذكره المؤرخون.

و قد أشبه فى هذا الأمر نبى الله إبراهيم (عليه السلام) فإن إبراهيم على ما يظهر كان موحدا لإحساسه الوجدانى و الفطرى بوجود
إله واحد قادر، ١.

١- و هذا لا- ينافى ما سيأتى إن شاء الله، من أن جميع آبائه كانوا مؤمنين موخدين؛ فإن المهم هو وصولهم جميعا إلى درجه
الإيمان و لو بصورة تكاملية و تدريجية. إلا أن يقال: إنه لم يثبت تسميه آبائه بعبد العزى، و عبد مناف. و لعلها أسماء قد لحقتهم
بعد أن كبروا و ظهر شركهم بالله و اهتمامهم بالعزى و غيرها من الأصنام.

٢- السيره الحلبيه: ج ١ ص ٤، و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلبيه). ج ١ ص ٢١.

عالم حكيم إلخ .. ولكنه بعد أن بلغ سن الرشد أراد أن يدعم هذا الإيمان الوجداني بالدليل و البرهان؛ فدخل المختبر و جرب حتى وصل إلى النتيجة فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ: لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي. فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ: لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي، هَذَا أَكْبَرُ. فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.

هذا إن قلنا: إن كلام إبراهيم كان على سبيل الحقيقة و ليس على سبيل الإستدراج.

و كذلك كان حال عبد المطلب، فلعله كان يعتقد بالله الواحد القادر، الحكيم إلخ .. إستنادا إلى حكم الفطره و الوجدان. لكنه كان يحتمل اولاً أن يكون لهذه الأصنام شأن و شفاعه (مّا) من دون أن يؤثر ذلك على توحيده. ثم ترقى فى فهمه فأدرك أنها لا شىء.

و الفرق بينه و بين إبراهيم فى السرعة و البطء. والا فإن إبراهيم لم يعرف الله بالوحى، و إلا لم يمكن إثبات نبوته.

هذا بالنسبة لإيمانه أما بالنسبة لسلوكه و مواقفه فإنهم يقولون عنه:

إنه كان يقطع يد السارق، و يمنع من طواف العراه، و يوفى بالنذر، و يؤمن بالمعاد، و يحرم الزنا، و الخمر، و نكاح المحارم، و كان يأمر ولده بترك الظلم و البغى، و يحثهم على مكارم الأخلاق، و ينهاهم عن دنيا الأمور، و كان مجاب الدعوة و ترك الأصنام (١).

و قد ذكرت كتب التاريخ: أن بعض الأصنام قد كانت تماثيل ٧.

١- راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ٤، و السيره النبويه لدحلان (مطبوع بهامش الحلبيه): ج ١ ص ٢١. و مسالك الحنفا ص ٤١، عن الملل و النحل للشهرستانى. و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٧.

لأشخاص من أهل الخير و الصلاح، فراجع كتاب الأصنام لابن الكلبي، و سيره ابن هشام و غير ذلك.

و عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم): يا على، إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، و لا يعبد الأصنام، و لا يأكل ما ذبح على النصب؛ و يقول: أنا على دين إبراهيم (عليه السلام) (١).

و قد بلغ الحد الإيماني الأعلى بعد ولاده حفيده محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) حيث سمع و رأى الكثير من العلامات الداله على نبوته صلى الله عليه و آله و سلم بأمر عينيه. و شهد و عاين الكثير من الكرامات و الدلالات القطعيه فيه.

و بعد كل ما تقدم نقول: انه لا مانع من أن يكون اعتقاده أولاً انه يرى لنفسه الحق فى تصرف كهذا، و نذر كهذا و لم يكن ذلك مستهجنا لدى العرف آنئذ.

أضف إلى ذلك: أنه لم يثبت عدم جواز نذر كهذا فى الشرايع السابقه. فقد نذرت امرأه عمران ما فى بطنها محررا لخدمه بيوت الله.

و أمر الله تعالى نبيه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل.

النسخ فى قصه إبراهيم:

هذا، و قد ادعى البعض: أن قصه إبراهيم تدل على جواز النسخ قبل حضور وقت العمل.

و أجيب عن ذلك:

أولاً: إن إبراهيم (عليه السلام) لم يؤمر بالذبح الذى هو فرى الأوداج، بل أمر بالمقدمات، كما يدل عليه قوله تعالى: قَدْ صَدَّقْتَ ۚ ٤.

و لو كان ما فعله بعض المأمور به لكان مصدقا لبعض الرؤيا (١) فلا يصح قوله تعالى: قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا.

و ثانيا: إن وقت الفعل حاضر؛ فإن إبراهيم قد شرع في التنفيذ فعلا. فالنسخ لو سلم، فإنما هو قبل وقوع الفعل، لا قبل حضور وقت العمل.

و نقول: إن النسخ يمكن أن يكون مع كون الأمر بداعى الإمتحان أو غيره أولا، ثم يصدر أمر عن مصلحه واقعيه ثانيا فينسخه.

البداء عند الشيعة:

و يتفرع على مسأله النسخ مسأله البداء؛ التى هى موضع خلاف بين الشيعة و غيرهم، و قد صارت مصدرا للإفتراءات الكثيره على الشيعة.

و نحن نشير إلى توضيح هذه المسأله بما يسمح به المجال، فنقول:

قال آيه الله الحجه السيد عبد الحسين شرف الدين (رحمه الله):

(حاصل ما تقوله الشيعة هنا: ان الله عزوجل قد ينقص من الرزق، و قد يزيد فيه، و كذا الأجل، و الصحه و المرض، و السعاده و الشقاوه، و المحن و المصائب، و الإيمان و الكفر، و سائر الأشياء، كما يقتضيه قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٢).

و هذا مذهب عمر بن الخطاب، و أبى وائل، و قتاده. و قد رواه جابر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم). و كان كثير من السلف يدعون، ٩.

١- معالم الدين: ص ٢٠٨، و راجع: البحار ج ١٢ ص ١٣٧، و مفاتيح الغيب، ج ٢٥ ص ١٥٥.

٢- الرعد ٣٩.

و يتضرعون إلى الله أن يجعلهم سعداء لا أشقياء. وقد تواتر ذلك عن أئمتنا في أدعيتهم المأثوره. و ورد في السنن الكثيره: أن الصدقه على وجهها، و بر الوالدين، و اصطناع المعروف، يحول الشقاء سعادته، و يزيد في العمر إلخ... (١).

نعم، هذا هو البداء الذى تعتقد به الشيعة تبعا لائمتهم (عليهم السلام).

و أما البداء بمعنى ظهور رأى جديد له تعالى بعد ان لم يكن يعلم به أولا، أو بمعنى ان يعمل تعالى عملا ثم يندم عليه، حيث ظهر له أن المصلحه كانت فى خلاف ذلك. أما البداء بهذا المعنى فهو محال على الله، و لم يقل به الشيعة أبدا. كيف؟! و هم أتباع أمير المؤمنين على (عليه السلام) منشئ نهج البلاغه المشحون بالمعاني التى يعجز العقل البشرى عن إدراكها؛ على الذى تعلم الناس منه و من أبنائه المعصومين تنزيه الله تعالى عن كل نقص. و أخذوا عنه أدق المعارف حول الله و صفاته سبحانه و تعالى ..

و قد نقل عن الصادق (عليه السلام) قوله: من زعم أن الله يبدو له فى شىء، و لم يعلمه أمس، فابروا منه (٢).

و عنه (عليه السلام): من زعم أن الله بدا له فى شىء بداء ندامه؛ فهو عندنا كافر بالله العظيم (٣). ٥.

١- أجوبه موسى جار الله ص ٨٦ / ٨٧. و قد ذكر مصادر ما أشار إليه ثمه؛ فراجع. و نظير ذلك ما قاله المجلسى أيضا، فراجع: سفينه البحار: ج ١ ص ٦٢، و قد أوضحه أيضا بصوره جيده.

٢- البحار: ج ٤ ص ١١١، و الاعتقادات للصدوق، باب الاعتقاد بالبداء، و ميزان الحكمه ج ١ ص ٣٨٩.

٣- الاعتقادات للصدوق رحمه الله- باب الاعتقاد بالبداء، و راجع: هامش البحار: ج ٤ ص ١٢٥.

التوضيح و التطبيق:

و توضيح ذلك: أن الله عز و جل يقدر لزيد من الناس مثلا- رزقا معيناً، أو عمرا معيناً، بحسب ما تقتضيه طبيعته و سجيته، و استعداده الذاتى، و لكنه يعلم أنه سوف يتصدق فيكون ذلك سببا فى زياده رزقه المقدر له أولا بقطع النظر عن هذه الصدقه. أو سوف يبر بوالديه فيزيد عمره لذلك كذلك. و الله يعلم بذلك كله من أول الأمر.

و قد تقتضى المصلحه أن يطلع الله نبيه على المقتضى لوجود شىء، من دون أن يطلعه على ما سوف يجد فى المستقبل له من الموانع، أو ما سوف يفقده من شرائط. فيخبر النبى الناس عنه على تلك الصفه.

ثم بعد ذلك يطلع تعالى النبى على انه يوجد مانع، أو أن المقتضى يحتاج إلى توفر شرائط و مناخات معينه مفقوده فعلا. مع علم الله سبحانه بكل ذلك أولا و آخرا؛ فإن لله علما اختص به، و علما يطلع عليه نبيه أو يثبتته فى لوح المحو و الإثبات، و قد أشار إلى هذين العلمين، فى قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ فمثلا، لو بنينا بيتا، فإنه بحسب طبعه صالح للبقاء مئه سنه مثلا. و لكنه ربما ترد عليه عواصف، أو زلازل، أو سيول، أو نحوها؛ تمنع من بقائه هذه المده، و يتلاشى فى مده عشر سنوات مثلا.

فلو أخبرنا الناس: أن هذا البيت يبقى مئه سنه، مع علمنا بأنه سيتلاشى بسبب سيل يأتى من الناحيه الفلانيه يصل إليه بعد عشره أيام، ثم أخبرنا ثانيا بأن البيت سيهدم بعد عشره أيام؛ فإن كلا من الخبرين يكون صحيحا .. و قد يترتب على إخبارنا الأول مصلحه هامه لا غنى عن تحققها فى موطنها.

و قد يكون من هذا القبيل ما نجده يذكر في علامات الإمام صاحب الزمان (عليه السلام) حيث قد نص الأئمة (عليهم السلام) على أن بعضها: من المحتوم، و سكتوا عن البعض الآخر؛ فربما يتحقق الجميع، و لربما تفقد بعض الشرائط لبعضها أو توجد بعض الموانع عن تحقق بعضها، و يكون المخبر إنما أخبر عن السير الطبيعي للأمر بغض النظر عن العوارض و الطوارئ. و قد أوضحنا ذلك في كتابنا دراسته في علامات الظهور و الجزيره الخضراء، فراجع الفصل الثاني منه.

و يمكن أن تكون قضية إبراهيم و إسماعيل الذبيح من هذا القبيل أيضا، حيث إنه تعالى - لمصلحه يراها، كالإمتحان و الإبتلاء، و غير ذلك مما تقدم - قد أمر نبيه إبراهيم بذبح ولده ثم فدا ذلك الذبيح بذبح عظيم.

و قد أخبر تعالى: إبراهيم بأنه قد صدق الرؤيا.

و لعل قضية إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كانت من هذا القبيل، فقد اقتضت المصلحه أن تتوجه الأنظار نحو إسماعيل هذا، من أجل حفظ نفس الإمام الحق من الأخطار، ثم يموت إسماعيل، و يظهر أن الإمام الحقيقي هو أخوه موسى (عليه السلام).

إشكال .. و جوابه:

الإشكال: أن كلمه (بدا) معناها: ظهر (و ليس أظهر). و (بدا لله) لا بد أن يكون معناه ظهر له الأمر و علم به بعد أن كان يجهله. و ذلك محال عليه تعالى كما قتلتم. فكيف يمكن توجيه قوله (عليه السلام): (ما بدا لله في شىء كما بدا له في إسماعيل) و غير ذلك من كلمات عبرت ب (بدا له) أو (بدا لله)؟!.

و الجواب: أن قوله تعالى: وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا. ثم اعتبار قضية إسماعيل ابن الإمام الصادق (عليه السلام)

و صرف القتل عنه مرتين بسبب دعاء أبيه (عليه السلام) من البداء، حيث روى عن الإمام الصادق (ع) قوله: ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل (١) - إن ذلك - يشير إلى أن كلمه بدا لم تستعمل في معنى الإظهار أو الظهور. وإنما استعملت بمعنى: تحقيق ما علم في عالم الكون والوجود، نظير كلمه: (علم) في قوله تعالى: ثُمَّ بَعَثْنَاَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَّيْدًا (٢). و قوله تعالى: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣).

و قوله سبحانه: وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ (٤).

و المقصود: ليتحقق معلومنا، و يتجسد في عالم الوجود. هذا بالنسبة للتعبير ب (علم).

و كلمه بدا، أيضا كذلك؛ فبداله، أى تحقق ما علمه في الخارج و على صفحه الكون. و لعل قوله تعالى: وَ بَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا (٥)، قد استعمل في هذا المعنى أيضا: أى تحقق ذلك و تجسد في الخارج.

و لعل هذا المعنى أقرب من حمل (بدا) على معنى: أظهر للغير، لأن هذا المعنى لا يناسب التعديه باللام لنفس الذات الإلهيه. فلا يصح أن يقال: بدا لله، و يكون المعنى: أظهر للغير. بل هذا غلط ظاهر. ٨.

١- سفينه البحار: ج ١ ص ٦٢.

٢- الكهف: ١٢.

٣- محمد: ٣١.

٤- البقره: ١٤٣.

٥- الزمر: ٤٨.

اليهود، والبداء:

و بعد، فلو أننا لم نقل بالبداء، لكننا مثل اليهود الذين نعى الله عليهم اعتقادهم الفاسد، حيث أنكروا البداء. و قالوا: إن الله قدر الأرزاق والأشياء منذ الأزل، و لا تغيير و لا تبديل فيما قدر، فقد (جف القلم).

و قد قال تعالى مقبحاً قولهم هذا: وَقَالَتِ الْيَهُودُ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ، وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ (١).

و قال الشهرستاني عن اليهود: (و لم يجيزوا النسخ أصلاً قالوا: فلا يكون بعده شريعته أصلاً؛ لأن النسخ فى الأوامر بداء و لا يجوز البداء على الله تعالى) (٢).

فالإعتقاد بالبداء ضروره إسلاميه و عقيديه، و من لوازم و مقتضيات تنزيه الله و توحيده. و هو كذلك منسجم مع مفاد الآيات القرآنيه، و الأحاديث الشريفه.

و عن الصادق و الباقر (عليهما السلام)، قال: ما عبد الله تعالى بشىء مثل البداء (٣).

هذا و قد أورد المجلسى (رحمه الله) للبداء حكماً جليله، و فوائد جميله: فليراجعها من أراد (٤). ٢.

١- سورة المائده: ٦٤.

٢- الملل و النحل: ج ١ ص ٢١١.

٣- سفينه البحار: ج ١ ص ٦١.

٤- سفينه البحار ج ١ ص ٦٢.

ص: ٦٢

الفصل الثاني: عهد الطفوله

اشاره

نسب النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»:

هو أبو القاسم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بن عبد الله، بن عبد المطلب، شبيه الحمد، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب بن مره، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن نضر، بن كنانة، بن خزيمه، بن مدركه، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان.

قالوا: إن هذا هو المتفق عليه من نسبه الشريف، أما ما فوقه ففيه اختلاف كثير، غير أن مما لا شك فيه هو أن نسب عدنان ينتهي إلى اسماعيل (عليه السلام).

وقد روى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا) (١).

و نحن نمسك هنا إمتتالا لأمره صلى الله عليه وآله وسلم .

و أمه (صلى الله عليه وآله وسلم): هي آمنه بنت سيد بنى زهره، وهب بن عبد مناف، بن زهره، بن كلاب. ٥.

مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

ولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة عام الفيل على المشهور (١). أى قبل البعثة بأربعين سنة.

والمشهور عند الإماميه وبعض من غيرهم أنه ولد فى السابع عشر من شهر ربيع الأول. و المشهور عند غيرهم و وافقهم الكلينى: أنه ولد لاثنتى عشره ليله خلت منه (٢). و ثمه أقوال أخر لا مجال لذكرها.

و نصّ الطبرسى، و الكلينى على أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد ولد فى يوم الجمعة، و عند غير الإماميه: أنه ولد فى يوم الاثنين. و ورد: أن أمه قد حملت به فى أيام التشريق. و هى الحادى عشر، و الثانى عشر و الثالث عشر من ذى الحجه (٣).

و لا يخلو ذلك من إشكال، لأنها إن كانت ولدت فى تلك السنه، فإن حملها به صلى الله عليه وآله وسلم يكون ثلاثه أشهر، و تزيد قليلا، و إن كانت ولدت فى السنه الثانيه، فمده حملة تكون خمسه عشر شهرا، مع أن أقل مده الحمل ستة أشهر، و أقصاها سنه عند المشهور من الإماميه.

و أجيب: بأن ذلك مبنى على النسيء فى الأشهر الحرم عند العرب، فإنهم كانوا يقولون مثلا: إن الأشهر الحرم توضع بعد أربعه أشهر مثلا، ثم يستحلون القتال فى نفس الأشهر التى رفع الإعتبار عنها.

ولكن إن لم نقل بأن الحمل به (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعه أشهر قد كان من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم فلا يمكننا قبول تلك الروايه حتى و لو صح ٦.

١- راجع: سيره مغلطى ص ٧/٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ١٩٥، و غير ذلك و حكى الاتفاق عليه.

٢- أصول الكافى ج ١ ص ٣٦٤ ط المكتبه الإسلاميه بطهران سنه ١٣٨٨.

٣- أصول الكافى ج ١ ص ٣٦٤، و ليراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ١٩٦.

سندها، و ذلك لأن كون تلك الروايه وارده بناء على أشهر النسبى ء يحتاج إلى إثبات. إذ لم نعهد فى تعبيرات المعصومين بناء كلامهم على النسبى ء، الذى هو زياده فى الكفر، كما لم نعهد ذلك فى كلمات المحدثين و المؤرخين. و لا سيما مع عدم نصب قرينه على ذلك.

تعقيب هام و ضرورى:

لقد قال الإربلى (رحمه الله)، بعد أن أشار إلى الإختلاف فى تاريخ ولادته صلى الله عليه و آله وسلم: (إن إختلافهم فى يوم ولادته سهل؛ إذ لم يكونوا عارفين به، و بما يكون منه، و كانوا أميين لا يعرفون ضبط مواليد أبنائهم. فأما إختلافهم فى موته، فعجيب. و الأعجب من هذا مع إختلافهم فى الأذان و الإقامه، بل إختلافهم فى موته أعجب؛ فإن الأذان ربما ادعى كل قوم أنهم رووا فيه روايه، فأما موته فيجب أن يكون معيناً معلوماً) (١).

و كلام الإربلى (رحمه الله) ظاهر المأخذ؛ فهو يقول: إن إختلافهم فى تاريخ ولادته النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ربما تكون له مبرراته، و لكن ما يثير الدهشه حقا هو إختلافهم فى يوم وفاته (صلى الله عليه و آله و سلم)، مع أنهم كانوا قد عرفوا فيه (صلى الله عليه و آله و سلم) المنقذ و المخرج لهم من الظلمات إلى النور، و من الموت إلى الحياه، مع عدم وجود هوى سياسى أو مذهبى يقتضى إبهام ذلك، أو إجماله، أو التلاعب فيه.

و أغرب من ذلك كله، هو إختلافهم فى الكثير الكثير من الأمور التى كانوا يمارسونها مع النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) عدّه مرات يومياً، طيله سنين عديده، حتى إنك لتجدهم يروون المتناقضات عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) فى أفعال الوضوء و الصلاه، و هم كانوا يؤدونها معه (صلى ٥).

اللّٰه عليه وآله وسلم) خمس مرات في كل يوم. بل قد تجد بعضهم يقول:

إنهم إنما كانوا يعرفون أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ في صلاة الظهر والعصر، من اضطراب لحيته (١).

أمّا اختلافهم في الأذان الذي كانوا يترّبون على سماعه منذ صغرهم؛ فذلك ظاهر أيضاً، كما أشار إليه الإربلي (رحمه الله).

و إذن .. فما هو مدى معرفتهم بتلك الأحكام التي يقل الإبتلاء بها، والتعرض لها عادة يا ترى؟!.

و أيضاً .. هل يصح اعتبار أقوال هؤلاء وفعالهم سنه ماضيه، و شريعته متبعه،- كما هو عند بعض الفرق الإسلاميه- بل تجد

بعضهم ربما يرد الحديث الصحيح لقول صحابي، أو لقول حاكم. إن ذلك لعجيب! و أى عجيب!!

و إذا كانوا يختلفون حتى في مثل هذه الامور؛ فهل يعقل بعد هذا أن يصح قول البعض: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد

ترك الأمه هكذا هملاً، بلا قائد و لا رائد؟ و لا معلم، و لا مرشد؟ على اعتبار أن الأمه تكون مستغنيه عن الهدايه و الرعايه؟!.

و هذا موضوع هام جدا يحتاج إلى بحث و تمحيص بصوره مفصله.

قصه كاذبه:

و قد روى عن عبد الله بن عباس، أنه قال: سمعت أبي العباس ٧.

١- صحيح البخارى ط سنه ١٣٠٩ هـ ج ١ ص ٩٠ و ٩٣، و مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٣٩٥ و ج ٥ ص ٢٠٩ و ١٨٢ و ١١٢ و

جواهر الأخبار و الآثار (مطبوع بهامش البحر الزخار): ج ٢ ص ٢٤٧ عن الانتصار، و أبى داود، و الترمذى، و النسائى، و البخارى

و السنن الكبرى للبيهقى ج ٢ ص ٣٧ و ٥٤ عن الصحيحين و البحر الزخار ج ٢ ص ٢٤٧.

يحدث، قال: ولد لأبى عبد المطلب عبد الله فرأينا فى وجهه نورا يظهر كنور الشمس، فقال أبى: إن لهذا الغلام شأنًا عظيمًا.

قال: فرأيت فى منامى أنه خرج من منخره طائر أبيض .. إلى أن قال: فلما انتهت، سألت كاهنه من بنى مخزوم، فقالت: يا عباس، لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق و المغرب تبعًا له.

إلى أن قال: فلما مات عبد الله، و ولدت آمنه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أتيته، و رأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته، و تفرست فى وجهه ..

ثم تذكر الروايه ما رأته آمنه، ثم تقول: فهذا ما رأيت يا عباس.

قال- يعنى العباس-: و أنا يومئذ أقرأ، و كشفت عن ثوبه، فإذا خاتم النبوه بين كتفيه، فلم أزل أكنم شأنه و أنسيت الحديث، فلم أذكره إلى يوم إسلامى، حتى ذكرنى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) (١).

و أقول: إن هذا الحديث لا يصح، لأن العباس كان أكبر من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بستتين (٢)، فكيف يكون قد حضر ولاده أبيه عبد الله، و رأى ذلك المنام ثم ذهب إلى الكاهنه، ثم حين ولاده الرسول و أخذه و حمله إلخ ..

هذا بالإضافة إلى أن نسيانه لهذا الأمر الخطير جدا هو الآخر غير معقول.

و لو سلمنا أنه نسيه، فكيف لا يذكره حين بعثه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)، و يبادر إلى التصديق به، و إعلان إسلامه. بل يتأخر فى ١.

١- روضه الواعظين ص ٦٤ / ٦٥.

٢- الإصابه ج ٢ ص ٢٧١.

ذلك هذه السنين الطويله، بل إلى عام الفتح كما يقولون.

و الحقيقة هي أنهم يريدون من أمثال هذه الحكايات اثبات فضائل للعباس (رحمه الله)، مثل كونه أول من أسلم، بل أسلم قبل ولادة النبي نفسه، و ما إلى ذلك.

مصير الدار التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

و كانت ولادته (صلى الله عليه وآله وسلم)، في شعب بني هاشم؛ أو شعب أبي طالب، في الدار التي اشتراها محمد بن يوسف، أخو الحجاج من ورثه عقيل بن أبي طالب (رحمه الله) تعالى بمائه ألف دينار.

ثم صيرتها الخيزران أم الرشيد مسجدا، يصلى فيه الناس (١) و يزورونه، و يتبركون به. و بقى على حالته تلك، فلما: (أخذ الوهايون مكة فى عصرنا هذا هدموه، و منعوا من زيارته، على عادتهم فى المنع من التبرك بآثار الأنبياء و الصالحين، و جعلوه مربطاً للدواب) (٢).

رضاعه «صلى الله عليه وآله وسلم»:

و يقولون إن أمه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أرضعته يومين أو ثلاثه، ثم أرضعته ثويبه مولاه أبى لهب أياما (٣).

ثم قدمت حلیمه السعديه رحمها الله مكة مع رفيقات لها، بحثا عنى.

١- أصول الكافي: ج ١ ص ٢٦٤. و قيل: إن زيده قد فعلت ذلك. راجع التبرك: ص ٢٤٣ و ٢٥٥، و راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ١٩٨ و راجع أيضا الروض الأنف ج ١ ص ١٨٤ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٢٥، و تاريخ الأمم و الملوك: ج ١ ص ٥٧١، و الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٤٥٨ و أخبار مكة للأزرقي ج ١ ص ٤٣٣.

٢- أعيان الشيعة ج ٢ ص ٧.

٣- قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤١٧ ترجمه ثويبه، عن البلاذرى.

ولد ترضعه؛ لتستفيد من رعايه أهله، و معوناتهم؛ فعرض (صلى الله عليه و آله و سلم) عليها، فرفضته - فى بادية الامر - ليتمه. ولكنها عادت، فقبلته، حيث لم تجد غيره، فرأت فيه كل خير و بركة؛ فأرضعته سنتين.

ثم أعادته إلى أهله، و هو ابن خمس سنين و يومين - كما يقولون - ليكون فى كفاله جده عبد المطلب، ثم عمه أبى طالب.

و يقول العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني: إن قولهم: إنها رفضته فى أول الأمر ليتمه إنما يصح بالنسبة لبيتم ضائع، لا أهميه له. و أما بالنسبة لمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم) فإن كافله عبد المطلب سيد هذا الوادى. و أمه آمنه بنت وهب، من أشرف مكة. بل ثمه من يقول: إنه لم يكن حينئذ يتيما، و إن أباه قد توفى بعد ولادته بعده أشهر، قيل: ثمانية و عشرين شهرا. و قيل: سبعة أشهر. (١) انتهى كلامه.

لماذا الرضاع فى البادية؟!!

و على كل حال فقد كان إرسال الأطفال إلى البادية للرضاع، هو عادة أشرف مكة، حيث يرون أن بذلك ينشأ أطفالهم: أصح أبدانا، و أفصح لسانا، و أقوى جنانا، و أصفى فكرا و قريحه، و هى نظره صحيحة و سليمة، و ذلك لما يلى:

أما كونهم:

١- أصح أبدانا، فلأنهم يعيشون فى الهواء الطلق، و يواجهون مصاعب الطبيعه فتصير لديهم مناعه طبيعيه تجاه مختلف المتغيرات، فى مختلف الظروف.

٢- و كونهم أفصح لسانا، من حيث إنهم يقلّ اختلاطهم بأهل ٦.

١- صفه الصفوه ج ١ ص ٥١ و كشف الغمه للإربلى ج ١ ص ١٦.

الأقطار الأخرى، من الأمم الأخرى، على العكس من سكان المدن، ولا سيما مكة، التي كانت تقيم علاقات تجاريه بينها و بين سائر الأقطار و الأمم. و لها رحلتا الشتاء و الصيف، إلى البلاد التي تتاخم البلاد الاجنبيه، التي لا يبعد تأثرها بها- قليلا كان ذلك أو كثيرا-.

٣- و كونهم أقوى جنانا، لما قدّمناه في مطاوى كلماتنا في الفصل الأول.

٤- و أما أنهم أصفى فكرا و قريحه، فهو حيث يتعد الإنسان حينئذ عن هموم المدينه، و عن علاقاتها المعقده و المرهقه، حيث لا- يواجه في الباديه إلا العيش الساذج و البسيط، و الحياه على طبيعتها. و لا يتأثر فكره و عقله، بالمفاهيم و الأفكار التي تفرضها تلك الحياه المثقله بالعلاقات المنحرفه، ثم هو يجد الفرصه للتأمل و التفكير و التعرف على أسرار الطبيعه و الكون، و لو في حدود عالمه الناشئ المحدود، و مداركه الناشئه أيضا.

و ليكون من ثم ذا فكر مبدع خلاق، و قريحه صافيه و غنيه.

و لكن بشرط عدم الإستمرار في هذه الحياه طويلا؛ فإن الإستمرار في حياه الباديه من شأنه أن يجعل الإنسان يعاني من الجمود و الإنغلاق، ثم هو يكون لنفسه مفاهيم و أفكارا؛ يحولها الزمن إلى حقائق لا تقبل الجدل عنده، و يصير من الصعب عليه قبول أى رأى آخر يسير في غير اتجاه قناعاته و أفكاره، فإن تدرب الإنسان على أن يسمع النقد و المخالفه في الرأى يبعده عن الإستبداد الفكرى، و يجعله يبحث عن الدليل، و المبرر لكل فكره لديه. و إلا؛ فإنه يصير على استعداد للتخلي عنها إلى غيرها مما يستطيع أن يدافع عنه و يستدل عليه. و هذا أمر طبيعى يعرفه الإنسان بالمشاهده، و يستدل عليه بالتقصى و التجربه.

أخو النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» من الرضاعة:

و يقال: إن أبا سلمه كان أخا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرضاعة، وأخوهما منها أيضا حمزه بن عبد المطلب، أرضعتهم ثويبه، مولاه أبي لهب بلبن ولدها مسروح (١) وقد تقدم: قولهم: إن ثويبه قد أرضعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أياما. ونحن نشك في ذلك، ولا بد لنا في مجال توضيح ذلك من التوسع في البحث نسبيا فنقول:

رضاع ثويبه للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» لا يصح:

إننا نشك في أن تكون ثويبه قد أرضعت هؤلاء، ولا سيما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشكنا في ذلك ناشيء عن الأمور التالية:

أولا: تناقض الروايات، ويكفي أن نذكر:

بالنسبة للمدة التي أرضعتها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ٦.

١- راجع: أسد الغابه ج ٣ ص ٩٥ و ج ٢ ص ٤٦ و البدء و التاريخ ج ٥ ص ٨ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٩، و بهجه المحافل ج ١ ص ٤١ و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٦٧ و الإصابه ج ٤ ص ٢٥٨ و ج ٢ ص ٣٣٥ عن الصحيحين، و الاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٣٨ و ج ١ ص ١٦ و ٢٧١ و البحار ج ١٥ ص ٣٨٤ عن المنتقى للكارونى، و قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤١٧ و الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٤٥٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٠ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٨ و ١٩ و قسم المغازى ص ٢٠٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ و الوفاء ج ١ ص ١٠٧ و تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٣١ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ١١٣ و صفه الصفوه ج ١ ص ٥٦ و ٥٧ و زاد المعاد ج ١ ص ١٩ و ذخائر العقبى ص ٢٥٩ و ١٧٢ و اعلام الورى ص ٦ و كشف الغمه ج ١ ص ١٥ و الأنس الجليل ج ١ ص ١٧٦ و أنساب الأشراف (قسم السيره) ص ٩٤ و السيره الحليه ج ٣ ص ١٦٤ و فى الروض الأنف: ج ١ ص ١٨٦ لكن فيه بدل أبى سلمه. عبد الله بن جحش و راجع: المعجم الصغير ج ٢ ص ٨٦.

نجد: بعضها يقول: أرضعته أياما (١) من دون تحديده، وبعضها يقول:

أربعة أشهر تقريبا (٢).

و في حين نجد بعضها يقول: إن أمه أرضعته ثلاثه أيام (٣).

وقيل: سبعة (٤).

وقيل: تسعه (٥).

(و لعل أحدهما تصحيف للآخر، بسبب عدم النقط في تلك العصور، و تشابه رسم الكلمتين).

وقيل: سبعة أشهر (٦).

و بعضهم لم يحدد مده إرضاعها له (صلى الله عليه و آله و سلم) (٧).

نعم، إننا في حين نجدهم يقولون ذلك كله بالنسبه لإرضاع أمه له، فإننا نجدهم يذكرون: أن حليمه السعديه أرضعته (صلى الله عليه و آله و سلم).

١- الإصابه ج ٤ ص ٢٥٨ و البحار ج ١٥ ص ٣٣٧، و في هامشه عن المناقب ج ١ ص ١١٩ و كشف الغمه ج ١ ص ١٥ و نور الأبصار ص ١٠ و تهذيب الأسماء ج ١ ص ٢٤ و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٦٧ و الوفاء ج ١ ص ١٠٧ و ١٠٦ و الأنس الجليل ج ١ ص ١٧٦ و صفه الصفوه ج ١ ص ٥٦ و ٥٧ و زاد المعاد ج ١ ص ١٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٨ و الرصف ج ١ ص ٢٢.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ عن شواهد النبوه.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٨ و نور الأبصار ص ١٠.

٤- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ و نور الأبصار ص ١٠.

٥- السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٨.

٦- السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٨ عن الإمتاع.

٧- راجع: تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٩ و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ٨ و تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١١٣.

و سلم)؛ بعد سبعة أيام من مولده فقط (١) من دون تحديد من أرضعه مده الأيام السبعة نفسها، مع العلم: أنه بعد إرضاع حليمه له، لم يرتضع من غيرها، وإذا كانت أمه قد أرضعته فيها، فمتى أرضعته ثويبه يا ترى؟!.

و من جهة أخرى: فإن البعض يصرح بأن أول من أرضعته ثويبه (٢).

و بعضهم يصرح بأن أمه أول من أرضعته (٣).

ب- تناقض الروايات في وقت عتق ثويبه، هل كان ذلك حينما بشرت أبا لهب بولادته (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعتقها فأرضعته، أو كان بعد حوالي خمسين سنة، قبيل الهجرة، أو بعدها. كما سيأتي إن شاء الله تعالى؟!.

و ثانيا: لقد ذكرت الرواية: أن ثويبه، قد أرضعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و أرضعت معه حمزه، و أبا سلمه بلبن ولدها مسروح.

و نقول: إن ذلك لا يكاد يصح، لأن حمزه كان أكبر من النبي (صلي).

١- مختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٣٨.

٢- راجع: الأنس الجليل ج ١ ص ١٧٦ و صفه الصفوه ج ١ ص ٥٦/٥٧ و دلائل النبوه، لأبي نعيم ص ١١٣ و الكامل في التاريخ ج ١ ص ٤٥٩ و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٦٧ و أنساب الأشراف ج ١ (قسم حياه النبي صلى الله عليه وآله) ص ٩٤ و البحار ج ١٥ ص ٣٨٤ عن المنتقى للكازروني، و البدء و التاريخ ج ٥ ص ٨ و الإصابه ج ٤ ص ٢٥٨ و الوفاء ج ١ ص ١٠٦ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٨ و ٨٥ و ذكر عن ابن المحدث: ان أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وآله، هو لبن ثويبه.

٣- راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٨ عن الامتاع، و احتمال الحلبي: أن يكون المراد: أن ثويبه أول من أرضعه بعد أمه، و لكن قول ابن المحدث، أول لبن نزل جوفه صلى الله عليه وآله هو لبن ثويبه لا يناسب هذا الاحتمال.

اللّه عليه و آله و سلم) بأربع سنين (١) و قيل: كان أكبر منه بستين (٢).

و حتى على هذا القول الثاني، فإنه يبعد أن يكونا أخوين من الرضاعه بلبن مسروح.

و أما إذا أخذنا بالقول الأول، فإن القضيّه تصبح أكثر إشكالا، و أبعد منالا.

مع أبي عمر في ترجيحه للقول الثاني:

و يلاحظ، أن أبا عمر قد رفض القول الأول، و رجح الثاني، إستنادا إلى قضيّه الإرضاع، ثم استدرك على ذلك، قائلا: (إلا أن يكون أرضعتهما في زمانين) (٣).

و لكنه كلام لا يصح، لأن ما ذكره ليس بأولى من العكس، بحيث تكون زياده عمره أربع سنين دليلا على عدم صحه إرضاع ثويبه له بلبن مسروح.

و أما استدراكه المذكور، فيبعده: أن الروايه تقول: إنهما معا قد ا.

١- اعلام الوري ص ٧ و كشف الغمه ج ١ ص ١٥ و تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٦٨، بلفظ، قيل: و أنساب الأشراف ج ١ (قسم حياه النبي صلى الله عليه و آله) ص ٨٤ و ٧٩ و ذخائر العقبى ص ١٧٢ و السيره الحلييه ج ١ ص ٨٥ و الإصابه ج ١ ص ٣٥٤ كلاهما بلفظ قيل. و الاستيعاب بهامش الإصابه ج ١ ص ٢٧١ و أسد الغابه ج ٢ ص ٤٦ و ٤٩، بلفظ قيل: أيضا.

٢- تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٦٨ و الإصابه ج ١ ص ٣٥٤ و الاستيعاب بهامشه ج ١ ص ٢٧١ عن البكائي و اختاره في أسد الغابه ج ٢ ص ٤٦ و ٤٩ و السيره الحلييه ج ١ ص ٨٥ و ذخائر العقبى ص ١٧٢ بلفظ: قيل.

٣- الاستيعاب بهامش الإصابه ج ١ ص ٢٧١.

رضعا بلبن مسروح (١)، فلا يصح: أن يكون رضاعهما في زمانين.

توجيه غير وجيه:

و حاول محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبرى توجيه ذلك بأنه:

يمكن أن تكون أرضعت حمزه في آخر سنّيه، في أول رضاع ابنها، و أرضعت النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) في أول سنّيه، في آخر رضاع ابنها؛ فيكون أكبر بأربع سنين (٢).

و نقول: إن ذلك، و إن كان ممكنا في نفسه، ولكنه أمر بعيد الوقوع عادة، كما أن ذلك لا يلائم: أن تكون قد أرضعته أربعه أشهر، حسب ما تقدم عن بعض الروايات. و يزيده بعدا: أننا نجد في بعض النصوص ما يفيد: أن حمزه كان حين قضيه وفاء أبيه عبد المطلب بنذره بذبح أحد ولده؛ كبيرا، و راشدا.

بيان ذلك:

أن عبد المطلب رضوان الله تعالى عليه، كان قد نذر: لئن ولد له عشره نفر، ثم بلغوا معه، حتى يمنعوه، ليذبحنّ أحدهم لله، عند الكعبه.

فلما تكامل بنوه عشره، و عرف أنهم سيمنعونه، و هم:

الحارث، و الزبير، و حجل، و ضرار، و المقوم، و أبولهب، و العباس، و حمزه و أبو طالب، و عبد الله، جمعهم، ثم أخبرهم بنذره.٢.

١- راجع في ذلك: ذخائر العقبى ص ١٧٢ و ٢٥٩ و الوفاء ج ١ ص ١٠٧ و بهجه المحافل ج ١ ص ٤١ و زاد المعاد ج ١ ص ١٩ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢٣١ و إن كان ربما يناقش في ظهور كلامه. و راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٦٧ و الاستيعاب بهامش الإصابه ج ١ ص ١٦ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٥ و ٨٦.

٢- ذخائر العقبى ص ١٧٢.

إلى أن تذكر الروايه: أنه أقرع بينهم ف: (خرج القدح على ابنه عبد الله، و كان أصغر ولده، و أحبههم إليه، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله، و أخذ الشفره الخ).

ثم تذكر الروايه: أن العباس هو الذى اجتذب عبد الله من تحت رجل ابيه، فراجع (١).

مناقشه غير موفقه:

و ناقشوا فى هذه الروايه: بأن العباس إنما كان يكبر النبى بثلاث سنوات فقط، فقد روى عن العباس نفسه، أنه قال:

أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و أنا ابن ثلاثه أعوام، أو نحوها، فجىء به حتى نظرت إليه، فجعلت النسوه يقلن لى:

قبل أخاك، فقبلته (٢).

و لكن الإيراد بما ذكر، ليس بأولى من العكس؛ فإن من الممكن أن تكون روايه ابن إسحاق هى الصحيحه، و أما روايه: أن العباس كان يكبر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بثلاث سنين فقط، فلعلها هى الموضوعه لأهداف سياسيه من قبل العباسيين فى ما بعد.٦.

-
- ١- راجع البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٤٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ١٧٤ و السيره النبويه لابن هشام ج ١ ص ١٦٠ و راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٦ و فى السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٥ و إن كان لم يذكر: أن عبد الله كان أصغر ولده، و لكنه ذكر حمزه و العباس فى جملة أولاد عبد المطلب حين قضيه الذبح .. و ذكر فى الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٦ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٤ ط الاستقامه: ان عبد الله كان أصغر ولده، و أحبههم، لكنه لم يسم أولاد عبد المطلب ..
- ٢- راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٦ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٣٥ و الروض الأنف ج ١ ص ١٧٦.

و يؤكد ذلك: أن ابن إسحاق حجه في السيره النبويه، غير مدافع (١)، فلا يرد قوله؛ إستناد إلى روايه يحتمل في حقها ما ذكرناه.

و إذن، فقد يكون عمر حمزه و العباس، حين قضيه الذبح حوالى ثمان إلى عشر سنين، يضاف إليها خمس سنوات كانت بين قصه الذبح، و بين ولاده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (٢)، و يصير المجموع حوالى ثلاثه عشر إلى خمسه عشر من السنين تقريبا.

و هذا الذى ذكرناه من الإشكال، دفع البعض إلى أن يقول: إنها أرضعت حمزه قبل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أرضعت بعده أبا سلمه (٣).

و لكن يرد عليه: أن تصريح الروايه، بأنها أرضعتهم جميعا بلبن ابنها مسروح يأبى هذا المجمع التبرعى، الذى لا يستند إلى أى دليل.

إلا أن يكون مراده ما تقدم عن محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى: بأن تكون قد أرضعت حمزه فى أواخر سنينه، فى آخر رضاع ابنها.٧.

١- و فى غير السيره أيضا؛ فراجع: تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٩-٤٦ ترجمه: ابن إسحاق.

٢- فى أنساب الأشراف ج ١ (قسم حياه النبى صلى الله عليه و آله) ص ٧٩: قال الواقدى: كان نحر الإبل قبل الفيل بخمس سنين.

٣- الأئسن الجليل ج ١ ص ١٧٦ و راجع: صفه الصفوه ج ١ ص ٥٦/٥٧ و اعلام الورى ص ٦ و كشف الغمه ج ١ ص ١٥ و الكامل فى التاريخ ج ١ ص ٤٥٩ و طبقات ابن سعد ج ١ ص ٦٧ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٩٤ قسم حياه النبى صلى الله عليه و آله و البحار ج ١٥ ص ٣٨٤ عن المنتقى للكازرونى و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ١١٣ و الإصابه ج ٤ ص ٢٥٨ و الاستيعاب بهامش الإصابه ج ٢ ص ٣٣٨ و أسد الغابه ج ٣ ص ١٩٥ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٥ و ٨٧ و قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤١٧.

و لكنه بناء على ما قدمناه، من أن من الممكن أن يكون حمزه كان يكبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحوالى عقد من الزمن، لا يصح حتى بناء على قول الطبرى هذا.

عدد أولاد عبد المطلب:

بقى علينا أن نشير إلى المناقشه، التى تقول: إن أولاد عبد المطلب، كانوا ثلاثة عشر، و أن حمزه و العباس قد ولدا فيما بعد.

فإنها مناقشه مردوده، لأن (حجلا) هو فى الحقيقه لقب للغيداق، و (المقوم) لقب لعبد الكعبه، أما قثم فلا وجود له أصلا، حسبما ذكره البعض (١).

و أخيرا، فإننا نشير إلى أن اليعقوبى ينص على أن عدده أولاد عبد المطلب: عشره، ولكنه حينما يعدّ، أسماءهم، يذكر إسم أحد عشر رجلا (٢).

إلا أن يكون قد ذكر لواحد منهم كلاً من إسمه و لقبه، حتى بدا أنهما إثنان، مع أنهما لواحد.

أبو لهب و عتق ثويبه:

و يبقى أن نشير إلى أنهم يقولون - حسبما تقدم-: أنه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جاءت ثويبه إلى مولاها أبى لهب، فبشرته بولادته صلى الله عليه وآله وسلم. فأعتقها، فأرضعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بلبن ولدها مسروح. ٢.

١- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٦ و راجع، الاستيعاب بهامش الإصابه ج ١ ص ٢٧٢.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١١ و راجع، الاستيعاب بهامش الإصابه ج ١ ص ٢٧٢.

ثم رثى أبو لهب بعد موته فى النوم- رآه العباس- حسب روايه ذكرها طائفه من المؤلفين، أو رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم- حسب روايه اليعقوبى- بشر حال، و أسوئه، فسأله عن حاله، فأخبره: أنه بشر حال غير أنه يخفف عنه العذاب- أو يسقى فى نقره إبهامه- كل يوم إثنين؛ لعتقه ثوبيه، حينما بشرته بذلك (١).

قال القسطلانى: (... قال ابن الجزرى: فإن كان هذا أبو لهب، الكافر، الذى نزل القرآن بدمه، جوزى فى النار بفرحه ليله مولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم به؛ فما حال المسلم الموحد من أمته (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذى يسرّ بمولده، و يبذل ما تصل إليه قدرته فى محبته؟!.

لعمرى، إنما يكون جزاؤه من الكريم: أن يدخله بفضل العميم، جنات النعيم (٢).

و رحم الله حافظ الشام، شمس الدين، محمد بن ناصر، حيث قال: ١.

١- راجع: السيره لابن كثير ج ١ ص ٢٢٤. و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٧٣، و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٩ و فتح البارى ج ٩ ص ١٢٤ و عمد القارى ج ٢٠ ص ٩٥ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٤ و ٨٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٥ و رساله حسن المقصد للسيوطى، المطبوعه مع: النعمه الكبرى على العالم ص ٩٠ و إرشاد السارى ج ٨ ص ٣١ و جواهر البحار ج ٣ ص ٨٣٣٨ / ٣٣٩ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٩ و الوفاء ج ١ ص ١٠٧ و دلائل النبوه للبيهقى ج ١ ص ١٢٠ و بهجه المحافل ج ١ ص ٤١، و طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٦٧ و ٦٨ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٢٧ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ و سيره مغلطاي ص ٨ و صفه الصفوه ج ١ ص ٦٢ و نور الأبصار ص ١٠ و إسعاف الراغبين بهامشه ص ٨ و هو ظاهر صحيح البخارى ج ١ ص ١٥٧ ط سنه ١٣٠٩ هـ. ق.

٢- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٧ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ و رساله حسن المقصد للسيوطى المطبوعه مع النعمه الكبرى على العالم ص ٩٠ / ٩١.

إذا كان هذا كافر جاء ذمه و تبت يده في الجحيم مخلدا

أتى أنه في يوم الإثنين دائما يخفف عنه للسور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذي كان عمره بأحمد مسرورا و مات موحدا؟! (١)

و نقول:

إن هذا الكلام كله باطل، و لا يصح، و ذلك لأنهم يقولون: إن عتق ثويبه، قد تم بعد مولده صلى الله عليه و آله و سلم بدهر طويل، أى بعد أزيد من خمسين سنة؛ إما قبيل الهجرة، أو بعدها. و كانت خديجه رضوان الله تعالى عليها، تحاول شراءها من أبى لهب، لتعتقها، بسبب ما يزعم من إرضاعها له صلى الله عليه و آله و سلم، فرفض أبو لهب بيعها (٢).

و قد حاول الحلبي توجيه ذلك: بأن من الممكن أن يكون أبو لهب قد أعتقها أولا، لكنه لم يذكر ذلك، و لم يظهره، و رفض بيعها لخديجه لكونها كانت معتوقه، ثم عاد فأظهر ذلك (٣).

و لكنه توجيه باطل. إذ من غير المعقول و لا المقبول؛ أن لا يظهر للناس، و لا يطلعوا على عتقه لجاريته طيله ما يزيد على ثلاث و خمسين سنة، و لماذا لم تخبر هي نفسها أحدا بذلك، و ما هو الداعى له و لها للكتمان، و لا سيما قبل النبوه، و ما هو الداعى للإظهار بعد ذلك، و لا سيما بعد الهجرة؟! ٥.

١- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٥ و رساله حسن المقصد، للسيوطى، المطبوعه مع النعمه الكبرى ص ٩١.

٢- أنساب الأشراف (سيره النبى صلى الله عليه و آله) ج ١ ص ٩٥-٩٦ و الكامل فى التاريخ ج ١ ص ٤٥٩ و طبقات ابن سعد ج ١ ق ١ ص ٦٧ و ٦٨ و الاصابه ج ٤ ص ٢٥٨ و الاستيعاب بهامش الاصابه ج ١ ص ١٦ و إرشاد السارى ج ٨ ص ٣١ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٥ و راجع: الوفاء ج ١ ص ١٠٧ و فتح البارى ج ٩ ص ١٢٤ و ذخائر العقبى ص ٢٥٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢، و سيره مغلطاي ص ٨ قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤١٧.

٣- السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٥.

و لماذا بقيت هذه الجارية التي أعتقها عنده طيله هذه المدة المتماديه، و هي خارجه عن ملكه.

هذا كله؛ عدا عن أنه لا حجيه فى المنامات، و لا اعتبار بها.

و عدا عن أن الروايه مرسله أيضا.

و أما بالنسبه لتخفيف العذاب عن أبى لهب، فنقول: إن فرحه إذا كان استجابته لحاجه نفسيه طبيعیه، و لم يكن لله سبحانه و تعالى، فلماذا يثاب عليه، و لماذا يخفف عنه العذاب لأجله، و الأفعال الحسنه إنما يلقى الكفار جزاءها فى الدنيا لا فى الآخره، فإنه ليس لهم فى الآخره من خلاق، و لا لهم فيها نصيب. و قد قال تعالى: وَ قَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ، فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا (١).

شرك أبى لهب:

إن المعلوم أن أبى لهب قد بقى على شركه، و كان من أعدى أعداء الله، و الإسلام، و رسول الإسلام. فلا يعقل أن يجعل الله له يدا على النبى صلى الله عليه و آله يستحق المكافأه عليها. و لأجل ذلك لم يكن صلى الله عليه و آله يقبل هديه مشرك، بل كان يردّها (٢).

و قد قال صلى الله عليه و آله: (اللهم لا تجعل لفاجر، و لا لفاسق عندى نعمه) (٣) فكيف إذا كان هذا الفاسق و الفاجر هو أبو لهب لعنه الله بالذات؟! ي.

١- الفرقان ٢٣.

٢- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٨٤ و تلخيصه للذهبي بهامشه و المصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٤٦ و ٤٤٧ و فى الهامش عن مغازى ابن عقبه، و عن الترمذى ج ٢ ص ٣٨٩ و عن أبى داود و أحمد، و كتنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ و ج ٣ ص ١٧٧ عن ابن داود، و الترمذى، و صححه، و أحمد، و الطيالسى، و البيهقى و ابن عساكر، و الطبرانى و سعيد بن منصور.

٣- راجع: أبو طالب مؤمن قريش للخنزى.

هذا كله، عدا عن أن نفس ثويبه لم يعلم لها إسلام، حتى لقد قال أبو نعيم: لا أعلم أحدا أثبت إسلامها غير ابن منده، مع أنها قد توفيت سنة سبع من الهجرة (١).

و أي نعمه أعظم من إرضاعها له صلى الله عليه وآله؟!

و بعض من تأخر قد نقل: أنها أسلمت (٢). و لعله استند في ذلك إلى قول ابن منده، أو استفاد ذلك مما ينقل عن بَرِّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بها (٣).

و قال العسقلاني: (... و في باب من أرضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدل على أنها لم تسلم) (٤).

و على كل حال؛ فإن كل ما تقدم، و سواه، يجعلنا نشك كثيرا، في أن تكون ثويبه قد أرضعت رسول الله، و حمزه، و أبا سلمه، بلبن ولدها مسروح ليكونوا جميعا أخوه من الرضاعة.

تنازع الظئر في رضاعه:

و روى مجاهد، قال: قلت لابن عباس: و قد تنازعت الظئر في ٧.

١- راجع: سيره مغلطى ص ٨ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢٢ و الوفاء ج ١ ص ١٠٧ و ذخائر العقبى ص ٢٥٩ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٨٧ و فتح البارى ج ٩ ص ١٢٤ و الإصابه ج ٤ ص ٢٥٧ و إرشاد السارى ج ٨ ص ٣١ و صفه الصفوه ج ١ ص ٦٢ و زاد المعاد ج ١ ص ١٩ و شرح الأشخر اليمنى على بهجه المحافل ج ١ ص ٤١ و أسد الغابه ج ٥ ص ٤١٤ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٥ و قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤١٧.

٢- راجع: اعلام الورى ص ٦ و كشف الغمه ج ١ ص ١٥ و البحار ج ١٥ ص ٣٣٧ و بهامشه عن: المناقب ج ١ ص ١١٩ عن كتاب العروس للطبرى.

٣- راجع: ذخائر العقبى ص ٢٥٩ و صفه الصفوه ج ١ ص ٦٢.

٤- الإصابه ج ٤ ص ٢٥٧.

رضاع محمد؟!.

قال: أى و الله، و كل نساء الجن .. إلى أن قال: فخص بذلك حلیمه (١).

و روى أبو الحسن البكرى فى كتابه الأنوار، قال: حدثنا أشياخنا، و أسلافنا الرواه: أنه كان من عادة أهل مكه، إذا تم للمولود سبعة أيام، إلتمسوا له مرضعه ترضعه .. إلى أن قال: فتطاولت النساء لرضاعته و تربيته .. ثم يذكر: أن الهاتف أخبر آمنه: بأن مرضعته فى بنى سعد، و إسمها حلیمه؛ فظلت تتوقع مجيئها، حتى جاءت؛ فأعطتها إياه (٢).

و ذلك واضح الدلاله على عدم صحه ما يقال: من أن النساء المرضعات قد زهدن فيه ليتمه، و أن حلیمه، إنما قبلت به؛ لأنها لم تجد سواه، و لم تحب أن ترجع رفيقاتها برضيع، و ترجع هى خاليه.

و مما يدل على عدم صحه ذلك أيضا: أن عبد المطلب قد قال لحليمه: (أنا جد، أقوم مقام أبيه، فإن أردت أن ترضعيه دفعته إليك، و أعطيتك كفايتك) (٣).

و ثمه روايه أخرى تدل على عدم صحه ذلك أيضا رواها المجلسى، عن الواقدى، فلتراجع (٤).

حديث شق الصدر:

و ما دمننا فى الحديث عن رضاعه صلى الله عليه و آله و سلم فى بنى سعد، فإننا لا نرى مناصا من إعطاء رأينا فى روايه وردت فى هذه المناسبه، و هى التاليه: أخرج مسلم بن الحجاج: (عن أنس بن مالك:

أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أتاه جبرئيل، و هو يلعب مع ٢.

١- البحار ج ١٥ ص ٣٨٥.

٢- البحار ج ١٥ ص ٣٧١.

٣- البحار ج ١٥ ص ٣٧٣.

٤- البحار ج ١٥ ص ٣٤١ و ص ٣٤٢.

الغلمان؛ فأخذه و صرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقه؛ فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب، بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه.

و جاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمدا قد قتل. فاستقبلوه، و هو منتقع اللون.

قال أنس: (و قد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره) (١).

و كان ذلك هو سبب إرجاعه صلى الله عليه و آله إلى أمه (٢).

و كتب الحديث و السيره عند غير الإماميه لا تخلو عن هذه الروايه غالبا. بل قد ذكروا أنه قد شق صدره صلى الله عليه و آله خمس مرات، أربع منها ثابتة: مره في الثالثه من عمره، و أخرى في العاشره، و ثالثه عند مبعثه، و رابعه عند الإسراء، و الخامسه فيها خلاف.

توجيه غير وجيه:

و يقولون: إن تكرار شق صلى الله عليه و آله إنما هو زياده في تشريفه عليه الصلاه و السلام. و قد نظم بعضهم ذلك شعرا فقال:

أيا طالبا نظم الفرائد في عقد مواطن فيها شق صدر لذي رشد

لقد شق صدر للنبي محمد مرارا لتشريف، و ذا غايه المجد

فأولى له التشریف فيها مؤثلا لتطهيره من مضغه في بنى سعد

و ثانيه كانت له و هو يافع و ثالثه للمبعث الطب الند

و رابعه عند العروج لربه و ذا باتفاق فاستمع يا أخا الرشد

و خامسه فيها خلاف تركتها لفقدان تصحيح لها عند ذى النقد (٣) ٧.

١- صحيح مسلم ج ١ ص ١٠١-١٠٢ و فيه ثمة روايات أخرى عن شق صدره صلى الله عليه و آله فليراجع من أراد.

٢- سيره ابن هشام ج ١ ص ١٧٤/١٧٥، و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٠، و غير ذلك.

٣- راجع: أضواء على السنه المحمديه ص ١٨٧.

كما أننا في نفس الوقت الذي نرى فيه البعض يعتبر هذه الرواية من إرهابات النبوه كما صرح به ناظم الأبيات السابقه و غيره (١)، و مثار إعجاب و تقدير.

فإننا نرى: أنها عند غير المسلمين، إما مبعث تهكم و سخرية، و إما دليل لإثبات بعض عقائدهم الباطله، و الطعن في بعض عقائد المسلمين.

و نرى فريقا ثالثا يعتبر الروايه موضوعه، من قبل من أراد أن يضع التفسير الحرفي لقوله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَ وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ) (٢).

و اعتبرها صاحب مجمع البيان أيضا (مما لا يصح ظاهره، و لا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد؛ لأنه كان طاهرا مطهرا من كل سوء و عيب، و كيف يطهر القلب و ما فيه من الاعتقاد بالماء؟) (٣).

و نجد آخر (٤) يحاول أن يناقش في سند الروايه. و نظره فقط إلى روايه ابن هشام، عن بعض أهل العلم، و لكنه لم يعلم أنها وارده في صحيح مسلم بأربعة طرق. و لو أنه اطلع على ذلك لرأينا له موقفا متحمسا آخر؛ لأنها تكون حينئذ كالوحي المنزل، على النبي المرسل.

و لعل خير من ناقش هذه الروايه نقاشا موضوعيا سليما هو العلامة الشيخ محمود أبو ريه في كتابه القيم: (أضواء على السنه المحمديه)؛ فليراجعه من أراد ..

رأينا في الروايه:

و نحن هنا نشير إلى ما يلي: ٦.

- ١- فقه السيره للبطوى ص ٥٣، و راجع سيره المصطفى للحسنى ص ٤٦.
- ٢- راجع حياه محمد لمحمد حسين هيكل ص ٧٣ و النبي محمد للخطيب ص ١٩٧.
- ٣- الميزان ج ١٣ ص ٣٤، عن مجمع البيان.
- ٤- النبي محمد لعبد الكريم الخطيب ص ١٩٦.

١- إن ابن هشام وغيره يذكرون: أن سبب إرجاع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أمه، هو أن نفرا من الحبشه نصارى، رأوه مع مرضعته، فسألوا عنه، وقلوبه، وقالوا لها: لناخذنّ هذا الغلام، فلنذهبنّ به إلى ملكنا و بلدنا الخ (١).

و بذلك تصير الروايه المتقدمه التى تذكر أن سبب إرجاعه إلى أمه هو قضيه شق الصدر محل شك و شبهه.

٢- كيف يكون شق صدره (صلى الله عليه وآله وسلم) هو سبب إرجاعه إلى أمه؛ مع أنهم يذكرون: أن هذه الحادثه قد وقعت له (صلى الله عليه وآله وسلم) و عمره ثلاث سنين، أو سنتان و أشهر. مع أنه إنما أعيد إلى أمه بعد أن أتم الخمس سنين.

٣- هل صحيح أن مصدر الشر هو غده، أو علقه فى القلب، يحتاج التخلص منها إلى عمليه جراحيه؟! الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢ ٨٦ رأينا فى الروايه: ص : ٨٥

و هل يعنى ذلك أن باستطاعه كل أحد- فيما لو أجريت له عمليه جراحيه لاستئصال تلك الغده- أن يصبح تقيا و رعا، خيرا؟!.

أم أن هذه الغده أو العلقه قد اختص الله بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، و ابتلاه بها دون غيره من بنى الإنسان؟! و لماذا دون غيره؟!.

٤- لماذا تكررت هذه العمليه أربع، أو خمس مرات، فى أوقات متباعده؟ حتى بعد بعثته (صلى الله عليه وآله وسلم) بعده سنين، و حين الإسراء و المعراج بالذات؟!.

فهل كانت تلك العلقه السوداء، و حظ الشيطان تستأصل، ثم تعود إلى النمو من جديد؟! و هل هى من نوع مرض السرطان الذى لا تنفع معه العمليات الجراحيه، و الذى لا يلبث أن يختفى حتى يعود إلى الظهور بقوه ٥.

١- راجع: سيره ابن هشام ج ١ ص ١٧٧ و تاريخ الطبرى ج ١ ص ٥٧٥.

أشد، و أثر أبعد؟!.

و لماذا لم تعد هذه العلقه إلى الظهور بعد العمليه الرابعه أو الخامسه، بحيث يحتاج إلى السادسه، فالتى بعدها؟!.

و لماذا يعذب الله نبيه هذا العذاب، و يتعرض لهذه الآلام بلا ذنب جناه؟! ألم يكن بالإمكان أن يخلقه بدونها من أول الأمر؟!.

٥- و هل إذا كان الله يريد أن لا يكون عبده شريرا يحتاج لإعمال قدرته إلى عمليات جراحيه كهذه، على مرأى من الناس و مسمع؟!.

و تعجبنى هذه البراعه النادره لجبرئيل فى إجراء العمليات الجراحيه لخصوص نبينا الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم).

و ألا- تعنى هذه الروايه: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) كان مجبرا على عمل الخير، و ليس لإرادته فيه أى أثر أو فعاليه، أو دور؟!، لأن حظ الشيطان قد أبعد عنه بشكل قطعى و قهرى، و بعمليه جراحيه، كان أنس بن مالك يرى أثر المخيط فى صدره الشريف!!.

٦- لماذا اختص نبينا بعمليه كهذه و لم تحصل لأى من الأنبياء السابقين عليهم الصلاه و السلام (١)؟ أم محمدا (صلى الله عليه و آله و سلم)، أفضل الأنبياء و أكملهم، كان فقط بحاجة إلى هذه العمليه؟! الجراحيه؟! و إذن، فكيف يكون أفضل و أكمل منهم؟ أم أنه قد كان فيهم أيضا للشيطان حظ و نصيب لم يخرج منهم بعمليه جراحيه؛ لأن الملائكه لم يكونوا قد تعلموا الجراحه بعد؟!.

٧- و أخيرا، أفلا- ينافى ذلك ما ورد فى الآيات القرآنيه، مما يدل على أن الشيطان لا سبيل له على عباد الله المخلصين: (قال: رب بما اغويتنى لأزینن لهم فى الأرض، و لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم ٨).

المخلصين (١).

وقال تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (٢)) وقال: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣)).

ومن الواضح: أن الأنبياء هم خير عباد الله المخلصين، و المؤمنين، و المتوكلين. فكيف استمر سلطان الشيطان على الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى حين الإسراء و المعراج؟!.

هذا كله، عدا عن تناقض الروايات الشديدة. و قد أشار إليه الحسنى باختصار. فراجع، (٤) و قارون.

المسيحيون و حديث شق الصدر:

و قد روى عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قوله: (ما من أحد من الناس إلا و قد أخطأ، أو همم بخطيئه، ليس يحيى بن زكريا) (٥).

و يذكر أبو ربه (رحمه الله): أن حديث شق الصدر يأتي مؤيدا للحديث الآخر، الذى ورد فى البخارى، و مسلم و فتح البارى و غيرها، و هو- و النص للبخارى:- (كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه بإصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم، ذهب يطعن، فطعن فى الحجاب (٦)):

و فى روايه: ما من بنى آدم مولود إلا يسمه الشيطان حين يولد؛ فيستهل ٣.

١- سورة الحجر ٣٩-٤١.

٢- الإسراء ٦٥.

٣- النحل ٩٩.

٤- سيره المصطفى ص ٤٦.

٥- مسند أحمد: ج ١ ص ٣٠١، و راجع: المنصف ج ١١ ص ١٨٤.

٦- البخارى ط سنة ١٣٠٩ ج ٢ ص ١٤٣.

صارخا من مس الشيطان غير مريم و ابنها (١) .. و لهذا الحديث ألفاظ أخرى لا مجال لذكرها.

و قد استدل المسيحيون بهذا الحديث على أن البشر كلهم، حتى النبي مجردون عن العصمه، معرضون للخطايا إلا عيسى بن مريم، فإنه مصون عن مس الشيطان، مما يؤدي ارتفاع المسيح عن طبقه البشر، و بالتالي يؤكد لا هوته الممجد (٢).

و أضاف أبو ريه إلى ذلك قوله:

(و لئن قال المسلمون لإخوانهم المسيحيين، و لم لا يغفر الله لآدم خطيئته بغير هذه الوسيله القاسيه، التي أزهدت فيها روح طاهره بريئه، هي روح عيسى (عليه السلام) بغير ذنب؟!).

قيل لهم: و لم لم يخلق الله قلب رسوله الذي اصطفاه، كما خلق قلوب إخوانه من الأنبياء و المرسلين - و الله أعلم حيث يجعل رسالته - نقياً من العلقه السوداء و حظ الشيطان، بغير هذه العمليه الجراحيه، التي تمزق فيها قلبه و صدره مرارا عديده ...!) (٣).

أصل الروايه جاهلي:

و الحقيقه هي أن هذه الروايه مأخوذه عن أهل الجاهليه، فقد جاء في الأغاني أسطوره مفادها: أن أميه بن أبي الصلت كان نائماً؛ فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت؛ و دخل الآخر فشق عن قلب أميه ثم رده الطائر، فقال له الطائر الآخر: أوعى؟؟ قال: نعم. قال: زكا؟ قال: ٧.

١- مسند أحمد ج ٢ ص ٢٧٤ / ٢٧٥.

٢- أضواء على السنه المحمديه ص ١٨٦، عن: المسيحيه في الإسلام طبعه ثالثه ص ١٢٧ تأليف ابراهيم لوقا.

٣- أضواء على السنه المحمديه ١٨٧.

أبى.

و على حسب روايه أخرى: أنه دخل على أخته، فنام على سرير في ناحيه البيت، قال: فانشق جانب من السقف فى البيت، و إذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره، و وقف الآخر مكانه، فشق الواقع على صدره، فأخرج قلبه، فقال الطائر الواقف للطائر الذى على صدره: أوعى؟ قال:

وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: فردّ قلبه فى موضعه الخ .. ثم تذكر الروايه تكرر الشق له أربع مرات (١).

و هكذا يتضح أن هذه الروايه مفتعله و مختلفه، و أن سر اختلافاها ليس إلا تأييد بعض العقائد الفاسده، و الطعن بصدق القرآن، و عصمه النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لنعد الآن إلى متابعه الحديث عن سيره العطره؛ فنقول:

فقد النبى صلى الله عليه و آله وسلم لأبويه:

لقد شاءت الإراده الإلهيه: أن يفقد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أباه و هو لا يزال جنينا، أو طفلا صغيرا. و ربما يقال: إن الأصح هو الأول؛ لأن يتمه هذا كان هو الموجب لتردد حليمه السعديه فى قبوله رضيعا (٢). و لكن قد تقدم بعض المناقشه فى ذلك.

ثم فقد أمه بعد عودته من بنى سعد، و هو فى الرابعه من عمره، أو ٣.

١- راجع الأغانى ج ٣ ص ١٨٨ / ١٨٩ / ١٩٠.

٢- و بذلك يعلم: أن ما ورد فى كشف الغمه ج ١ ص ١٦ من أنه عاش صلى الله عليه و آله وسلم مع أبيه سنتين و أربعه أشهر لا يمكن المساعده عليه .. رغم أن الأربلى رحمه الله قد نص بعد ذلك بصفحات أى فى ص ٢٢ على أن أباه قد توفى و أمه حبلى به صلى الله عليه و آله و سلم .. فراجع .. و ليراجع تاريخ الخميس ص ٢٥٨ ج ١ و تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٣، و سيره ابن هشام ج ١ ص ١٩٣.

فى السادسة، أو أكثر حسب الروايات.

و لعل ما تقدم من إرجاع حلیمه له إلى أمه، و هو فى الخامسة من عمره، يؤید أن أمه قد توفیت و هو فى السادسة، إلا أن یقال: إنه یمكن أن یكون المراد: أنه قد أرجع إلى أهله، و لكنه احتمال بعيد عن مساق الكلام.

هذا .. و قد استأذن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ربه فى زیاره قبر أمه، فأذن له. فقد روى مسلم فى صحیحه، أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: (استأذنت ربي فى زیاره أمى، فأذن لى، فزوروا القبور تذكركم الموت) (١).

و هذا الحدیث حجه دامغه على من یمنع من زیاره القبور. و له مؤیدات كثيرة؛ كزیاره فاطمه (عليها السلام) لقبر حمزه (عليه السلام)، و غیر ذلك.

و قد ألف العلامة المتتبع البحاثة الشيخ على الأحمدي كتابا فى التبرك بآثار الأنبياء و الصالحين، و تعرض فيه إلى هذا الموضوع، و بحثه أيضا العلامة الأمينى فى الغدير، و السبكى فى كتابه: شفاء السقام فى زیاره خير الأنام، و غیرهم كثير.

كفيل النبي صلى الله عليه و آله وسلم :

و لقد عاش (صلى الله عليه و آله و سلم) فى كنف جده عبد المطلب، الذى كان يرعاه خير رعايه، و لا يأكل طعاما إلا إذا حضر، و كان عارفا بنبوته حتى لقد روى: أنه قال عنه لمن أراد أن ينحيه عنه، و هو طفل..

١- كشف الغمه ج ١ ص ١٦ عن مسلم، و صحیح مسلم ط سنة ١٣٣٤ ج ٣ ص ٦٥، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٥ و الحدیث موجود فى مصادر عديدة كما يظهر من مراجعه كتاب الجنائز فى كتب الحدیث ..

يدرج: دع إبنى فإن الملك قد أتاه (١). و الروايه معتبره على الظاهر.

أضف إلى ذلك ما رووه من إخبار سيف بن ذى يزن لعبد المطلب بذلك، عند ما زاره فى اليمن، إلى غير ذلك من دلائل و إشارات، رسخت هذا الإعتقاد فى نفس عبد المطلب (رحمه الله)، و جعلت له (صلى الله عليه و آله و سلم) مكانه خاصه عنده (٢).

و فى السنه الثامنه من عمره (صلى الله عليه و آله و سلم) توفى جده عبد المطلب، بعد أن اختار له أبا طالب (رحمه الله) ليكفله، و يقوم بشؤونه، و يحرص على حياته، رغم أن أبا طالب لم يكن أكبر ولد عبد المطلب سنا، و لا أكثرهم مالا؛ لأن الأسنّ فيهم كان هو الحارث، و الأكثر مالا هو العباس. و لكن عذر العباس هو أنه كان حينئذ صغيرا أيضا، لأنه كان أسن من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بسنتين فقط، كما يقولون (٣) و ان كنا قد قلنا: إنه كان يكبره بأكثر من ذلك. كما أن أبا طالب قد كان شقيق عبد الله والد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لأبيه و أمه، فإن أمهما هى فاطمه المخزوميه، و طبعى أن يكون لأجل ذلك أكثر حنانا و عطفًا عليه و حبا له.

ثم إن أبا طالب الذى كان هو و زوجته أم أمير المؤمنين (عليه السلام) يحملان نور الولاية، قد كانا يحملان من المكارم و الفضائل النفسيه و المعنويه و من الطهاره ما يؤهلهما لأن يكونا كفيلين لرسول الله..

١- أصول الكافى ط سنه ١٣٨٨ هـ ج ١ ص ٣٧٢.

٢- راجع: البدايه و النهايه: ج ٢ ص ٣٢٩ / ٣٣٠.

٣- و إن كنا نعتقد أنه حتى و لو كان سنه إلى الحد الذى يتمكن فيه من كفالتة صلى الله عليه و آله و سلم فإن عبد المطلب لا يعهد به إليه؛ فإنه هو الذى احتفظ بالسقايه، دون الرفاده، بسبب حرصه على المال، و ضنه به، و هو الذى كان يحاول أن يحصل على فضله من المال من عمر بأسلوب عاطفى، و بطريقه لا يتبعها إلا من يهتم بالمال و بجمعه بشكل ظاهر ..

(صلى الله عليه وآله وسلم) و أبوين لوصيه، و للأئمه من ذريته ..

و على كل حال، فقد عهد عبد المطلب إلى أبي طالب (عليه السلام) بمهمه كفالته (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنه كان بالإضافة إلى ما تقدم أنبل اخوته، و أكرمهم، و أعظمهم مكانه في قريش، و أجلهم قدرا.

و لقد قام أبو طالب (عليه السلام) برعايته (صلى الله عليه وآله وسلم) خير قيام، و لم يزل يكرمه و يحبه غاية الحب، و ينصره بيده و لسانه طول حياته، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى في فصل خاص به رضوان الله تعالى عليه.

الرحلة الأولى إلى الشام، و بحيرا:

و يقولون: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد سافر إلى الشام بصحبه عمه أبي طالب، و رآه بحيرا راهب بصرى، و أخبر عمه أنه نبى هذه الأمة، و أصرّ عليه بأن يرجعه إلى مكه، حتى لا يغتاله اليهود. الذين يرون العلامات التى فى كتبهم متحققه فيه. فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكه.

روايه مكذوبه:

و لكن جاء فى روايه لأبى موسى الأشعري: أن بحيرا (لم يزل يناشده حتى ردّه، و بعث معه أبو بكر بلالا، و زوّده الراهب من الكعك و الزيت (١)).ل.

١- الثقات لابن حبان ج ١ ص ٤٤، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٨٥، و تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٤ ط الاستقامه، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥٨، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٠ و مستدرک الحاكم، و البيهقى، و ابن عساكر، و الترمذى، و قال: حسن غريب. و فى سيره دحلان ج ١ ص ٤٩ أنه رجع إلى مكه، و معه أبو بكر و بلال.

و فى روايه: أن سبعة كانوا قد عزموا على قتله صلى الله عليه و آله وسلم ، فمنعهم بحيرا، و بايعوا الرسول، و أقاموا معه.

و لكن ذلك لا يمكن أن يصح:

أولا: لأن عمر النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) كان حينئذٍ إثنى عشره سنه، بل قيل: إن عمره كان حينئذٍ تسع سنين (١).

و أبو بكر كان أصغر من النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بأكثر من سنتين، و بلال كان أصغر من أبي بكر بعده سنين، تتراوح ما بين خمس إلى عشر (٢)، حسب اختلاف الأقوال.

فهل يمكن لأبى بكر، و هو بهذه السن أن يسافر إلى الشام، ثم يصدر الأوامر و النواهي فى مهمات كهذه؟!.

و هل يمكن لبلال الذى كان طفلا، لا يقدر على المشى، أو لم يكن قد ولد بعد: أن يكون مع أبى بكر فى ذلك السفر الطويل؟ ثم أن يتحمل مسؤوليه إرجاع النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) من بصرى إلى مكه؟ مع كون النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) أكبر منه بسنوات عديده؟!.

و ثانيا: ما هو الربط بين أبى بكر و بلال حتى يأمره أبو بكر بهذا الأمر؛ فإن أبا بكر لم يكن يملك بلالا، و إنما كان يملكه أميه بن خلف.

و إنما اشتراه أبو بكر كما يقولون بعد ثلاثين عاما من حينئذٍ (٣).

١- راجع: الطبرى ج ٢ ص ٣٣، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٨٦ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٠، و قال: إن صاحب كتاب الهدى قد رجح هذا القول ..

٢- نعم قد ذكر ابن حبان، و الإصابه ج ١ ص ١٦٥ عن أبى نعيم: أن بلالا كان تربا لأبى بكر .. لكن الأشهر و الأكثر على أن أبا بكر كان يكبره بعده سنين كما ذكرنا راجع السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٠.

٣- و قد أشار إلى ذلك الحافظ الدمياطى على ما فى تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩ عن حياه الحيوان .. و كذا فى سيره مغلطاي ص ١١ و زاد قوله: (بايعوه على أى شىء).

هذا إن لم نقل: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذى اشترى بلالا، و أعتقه، و لم يملكه أبو بكر أصلا (١).

و ثالثا: إن راوى هذه الروايه، و هو أبو موسى، لم يكن قد ولد أصلا؛ لأنه إنما ولد قبل البعثه بثمان أو بعشر سنين، على ما يقولون؛ كما أنه إنما قدم إلى المدينه فى سنه سبع من الهجره، سنه خيبر. و هذه القضيه قد كانت قبل البعثه بحوالى ثلاثين عاما.

و رابعا: سيأتى عن مغلطاي و الدمياطى: أن أبا بكر لم يكن فى ذلك السفر أصلا. و لعل لأجل بعض ما تقدم أو كله حكم الترمذى على هذا الحديث بالغرابه، و شك فيه ابن كثير أيضا. فراجع.

و بعد كل ما تقدم فقد حكم الذهبى على هذا الحديث بقوله: (أظنه موضوعا بعضه باطل) (٢).

سر الوضع و الإختلاق:

و أما سر وضع تلك الروايه فهو إثبات: أن إيمان أبى بكر بنبوه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كان قبل البعثه؛ ليسبق الناس كلهم، حتى عليا عليه الصلاه و السلام و خديجه، و حتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه فى ذلك.

قال النووى: (كان أبوبكر أسبق الناس إسلاما، أسلم و هو ابن عشرين سنه، و قيل: خمس عشره سنه (٣). هـ.

١- سيأتى الحديث عنه فى الجزء الثالث من هذا الكتاب؛ الفصل الأول من الباب الثالث.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٠.

٣- الغدير ج ٧ ص ٢٧٢ عنه.

وقال الصفورى الشافعى: (و كان إسلامه قبل أن يولد على بن أبى طالب (١)).

و ذكر الديار بكرى روايه عن ابن عباس، عن قضيه بحيرا جاء فى آخرها: (فوقع فى قلب أبى بكر اليقين و التصديق قبل ما نبيء صلى الله عليه و آله و سلم (٢)).

و لكن، لماذا لم يعدوا بحيرا و بلالا و الحارث و غيرهم ممن حضر، من السابقين إلى الإسلام أيضا؟! و من الذى أخبرهم بوقوع الإسلام فى قلب أبى بكر قبل هؤلاء؟! أو دونهم؟!

بل من أين علموا: ان الإسلام و التصديق قد وقع فى قلب أبى بكر؟!- هذا كله لو سلمنا بالقضيه من أساسها.

إشارات خاطفه فى قصه بحيرا:

و قد بقى فى قصه بحيرا نقاط كثيره، جديره بالمناقشه، لا مجال لنا للحديث عنها هنا، كما أننا لا نرى كبير فائده فى ذلك.

و مما تقدم يظهر مدى صحه قول بعض الروايات: إن أبا بكر، أو الحارث عم النبى صلى الله عليه و آله و سلم قد ذهب إليه (صلى الله عليه و آله و سلم) فاحتضنه، و جاء به، و أجلسه مع القوم على مائده طعام بحيرا، و رجح ابن المحدث: أن الذى جاء به هو أبو بكر (٣).

و لم يدر ابن المحدث أن أبا بكر لم يكن فى ذلك السفر أصلا، كما ٤٨

١- نزّه المجالس ج ٢ ص ١٤٧.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦١.

٣- السيره الحلبيه ج ١ ص ١١٩، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٤٨

صرح به الدمياطي و مغلطاي (١). و لو كان؛ فإنه كان أصغر سنا من النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) كما قلنا.

بقى أن نشير إلى أن بعض الروايات قد ذكرت: أن راويها قد شك في أن يكون سفره (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى الشام كان بصحبه أبي طالب أو جده عبد المطلب (٢). و بذلك تصبح الروايه الآنفة له مع أبي بكر و بلال أكثر إشكالا و تعقيدا؛ لأن عبد المطلب قد توفي و عمر النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) ثمان سنين كما تقدم.

و الصحيح هو أن عمه أبا طالب هو الذى رجع معه (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى مكة (٣) كما قدمنا، و ليس أبا بكر و لا غيره.

هذا، و للنبي صلى الله عليه و آله و سلم سفره أخرى إلى الشام للتجاره، ستأتى الإشارة إليها إن شاء الله تعالى فى موضعها.

رعيه صلى الله عليه و آله و سلم الغنم:

و يذكر المؤرخون: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد رعى الغنم فى بنى سعد، و أنه رعاها لأهله، بل و يقولون: رعاها لأهل مكة أيضا، حتى ليذكرون و البخارى منهم فى كتاب الاجاره و غيره أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم. فقال اصحابه:

و أنت؟. قال: نعم، كنت أرها على قراريط لأهل مكة) (٤) و فسرت ٥.

١- سيره مغلطاي ص ١١، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩ عن الحافظ الدمياطي.

٢- طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٢٠ ط صادر، و ج ١ قسم ١ ص ٧٦ ط ليدن و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٨٦.

٣- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣١٨ و سيره ابن هشام ج ١ ص ١٩٤.

٤- البخارى هامش فتح البارى ج ٤ ص ٣٦٣، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥١، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٥.

القراريط بأنها: أجزاء الدراهم و الدنانير يشتري بها الحوائج الحقيره. (١)

و لكننا نشك كثيرا فى أن يكون (صلى الله عليه و آله و سلم) قد رعى لغير أهله بأجر كهذا، تزهد به حتى العجائز، و لا يصح مقابله بذلك الوقت و الجهد الذى يبذله فى رعى الغنم، نعم، نشك فى ذلك، لأننا نجد:

أولا: أن اليعقوبى - و هو المؤرخ الثبت - قد نص على أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يكن اجيرا لأحد قط. (٢)

و ثانيا: تناقض الروايات؛ فبعضها يقول: لأهلى، و بعضها يقول:

لأهل مكه، و بعضها يقول: بالقراريط، و أخرى قد ابدلت ذلك بكلمه باجساد. و إذ كان الراوى واحدا لم يقبل منه مثل هذا الاختلاف.

نعم، قد ذكر البعض: أن العرب ما كانت تعرف القراريط، و إنما هى اسم لمكان فى مكه (٣) فلماذا كان يرمى الغنم فى خصوص ذلك المكان؟ و لا يتجاوزه إلى غيره؟

و مع غض النظر عن ذلك نقول: إنه ربما يكون هذا الإختلاف بين الروايه التى تقول: باجساد، و التى تقول بالقراريط، بسبب أن القراريط و اجيادا اسم لمكان واحد، أو لمكانين متقاربين جدا.ن.

١- السيره النبويه ج ١ ص ١٥ لزينى دحلان، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٥ و فتح البارى ج ٤ ص ٣٦٤.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢١ ط صادر.

٣- فتح البارى ج ٤ ص ٣٦٤ عن إبراهيم الحربى، و صوبه ابن الجوزى تبعا لابن ناصر و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٦ و يؤيد أن العرب ما كانت تعرف القراريط، ما جاء فى الصحيح، و يفتحون أرضا يذكر فيها القيراط. فتح البارى ج ٤ ص ٣٦٤. و قولهم لا يعرف مكان فى مكه بهذا الاسم محل نظر لأن عدم معرفيته الآن لا يستلزم عدم معرفيته فى ذلك الزمان.

و لكن يعكر على هذا: أن روايه البخارى تقول: (على قراريط)؛ فالظاهر من كلمه على هو: الأجر.

و يمكن أن يدفع هذا: بأن من المتحمل أن يكون قراريط اسم جبل فى مكه و قد رعى (صلى الله عليه و آله و سلم) الغنم عليه. و كل ذلك و سواء من الاحتمالات لا شاهد له، و إنما يلجأ إليه لو كانت الروايه صحيحه السند عن معصوم، و ليست كذلك، بل هى عن أبى هريره، و غيره ممن لا يمكن الاعتماد عليهم.

ملاحظه:

لقد حاول البعض التفلسف هنا، فذكر: أن رعى الغنم صعب؛ لأنها أصعب البهائم و هو يوجب أن يستشعر القلب رأفه و لطفه؛ فإذا انتقل إلى رعايه البشر كان قد هذب أولاً من الحده الطبيعیه، و الظلم الغريزى؛ فيكون فى اعدل الأحوال. (١)

و لكن، حتى لو لم نقل: إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) كان نبيا منذ صغره، كما سيأتى، فإننا نطرح الأسئلة التاليه: هل يمكن أن يصدق أحد: أن النبى الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) كان يحتاج إلى التهذيب من الحده الطبيعیه، و الظلم الغريزى؟!.

و هل فى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ظلم و حده غريزيتان يحتاجان إلى التهذيب و الحد منهما حقا؟! و لو سلم ذلك، ألا يوجد مدرسه أفضل من هذه المدرسه؟! ثم أفلا ينافى ذلك قضيه شق الصدر (٢) - المكذوبه - المقبوله لدى هؤلاء؟! أو ليس ذلك الظلم و تلكل.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٦، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥١، و ليراجع: فتح البارى ج ٤ ص ٣٦٤.

٢- تقدم الكلام عنها فى أوائل هذا الفصل.

الحده هما من حظ الشيطان، الذى استأصله جبرئيل فى عملياته الجراحية المزعومه لدى هؤلاء؟. ثم أو ليس كان له ملك يسدده، و يرشده منذ صغره، حسبما نطقت به الروايات (١)؟!.

إلا أن يدعى هؤلاء: أن التسديد لا ينافى الظلم الغريزى.

و حينئذ نقول: ألم يحاول الملك الموكل به ليسدده و يرشده إلى محاسن الاخلاق، أن يرشده إلى قبح الظلم، و حسن العدل؟! و لماذا قصر فى أداء مهمته تجاهه؟

و أيضا، ألا يمكن لله تعالى أن يهذب نبيّه، و يخفف من حدّته بغير هذه الطريقه؟!.

و هل صحيح: أن رعايه الغنم أصعب من رعايه غيرها، كما يدعى هؤلاء؟!.

و هل صحيح: أن الظلم غريزه فى الانسان؟! و إذا كان غريزه فهل يمكن القضاء عليه بواسطه رعايه الغنم؟!.

و هل كل راعى غنم لا يكون فيه ظلم غريزى، و لا حدّه طبيعيه ..

أم أن ظلمه وحدته، أقل من ظلم غيره وحدته؟!.

ثم، ألا- يمكن أن يكون الرعى عملا- عاديا، كان (صلى الله عليه و آله و سلم) يقوم به كغيره من ابناء مجتمعه، الذين كانت الماشيه و رعيها عندهم من الوسائل العاديه للعيش، و كسب الرزق؟! و ليكون النبى إنسانا يعيش كما يعيش الآخرون من الناس الذين ما عاشوا حياه الترف. و لا شعروا بزهو السلطان؟!.

إلى غير ذلك من الأسئلة التى لن تجد عند هؤلاء جوابا مقنعا و مفيدا. ٢.

نعم. يمكن تعليل ذلك كما يقول البعض: بأن رعى الغنم يعطى فرصه للابتعاد عن الناس، و الانصراف للتكفير السليم، بعيدا عن مشاكل الناس، و همومهم، و يؤيد ذلك: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) كان يذهب إلى غار حراء طلبا للانفراد عن الناس، من أجل التفكير و التأمل فى ملكوت الله، و العباده و تزكيه النفس ..

و بعض آخر يرى: أن الرعى فيه تحمل مسؤوليه أحاد متفرقه، و هو يناسب المهمه التى سوف توكل إليه (صلى الله عليه و آله و سلم) الأمر الذى من شأنه أن يروض النفس، و يزيدها اندفاعا نحو طلب الخير للآخرين من رعيته لهم، و الحرص على ما ينفعهم، و قد كان الله تعالى يهتم فى رفع مستوى تحمل و ملكات و قدرات نبيه ليواجه المسؤوليه العظمى، و لكن بالطرق العاديه و الطبيعیه، كما هو معلوم من ارساله الرسل، تزويدهم بالمعجزات و غيرها.

الفصل الثالث: خديجه فى بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

السفر الثاني إلى الشام:

و يقولون: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد سافر سفره الثاني إلى الشام، وهو في الخامسة والعشرين من عمره (١).

و يقولون: إن سفره هذا كان في تجاره لخديجه. وأن أبا طالب هو الذي اقترح عليه ذلك، حينما اشتد الزمان، وألحت عليهم سنون منكروه، فلم يقبل (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعرض نفسه على خديجه. فبلغ خديجه ما جرى بينه (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله و سلم) و بين أبي طالب؛ فبادرت هي، و بذلت للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ضعف ما كانت تبدله لغيره؛ لما تعرفه من صدق حديثه، و عظيم أمانته، و كرم أخلاقه.

و يروى بعضهم: أن أبا طالب نفسه قد كلم خديجه في ذلك، فأظهرت سرورها و رغبتها، و بذلت له ما شاء من الأجر.

فسافر (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الشام، و ربح في تجارته أضعاف ما كان يربحه غيره، و ظهرت له في سفره بعض الكرامات الباهره، فلما عادت القافله إلى مكه أخبر ميسره غلام خديجه، سيدته بذلك، ه.

١- و في البحار ج ١٦ ص ٩ عن بعضهم: ان سفره كان إلى سوق حباشه بتهامه، و كذا في كشف الغمه ج ٢ ص ١٣٥ عن الجنابذي في معالم العتره.

فذكرت ذلك بالاضافه إلى ما ظهر لها هي منه (صلى الله عليه وآله وسلم) لورقه بن نوفل، ابن عمها كما يقولون: وإن كنا نحن نشك في ذلك (١) فقال لها: إن كان ذلك حقا، فهو نبي هذه الأمة (٢).

ثم اهتمت خديجه بالعمل على الاقتران به (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما سنرى.

هكذا يقولون، و لكننا نشك في بعض ما تقدم. ولا سيما وأن ورقه لم يسلم حتى بعد أن بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

كما أن قولهم: إن خديجه قد استأجرته في تجارتها. لا- يمكن المساعدة عليه، وذلك لأننا نجد المؤرخ الاقدم، الثبت ابن واضح، المعروف باليعقوبى يقول:

(و إنه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشىء، ولا كان أجيرا لأحد قط (٣)).

ولعل في عزه نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و ابائها. و أيضا في تسديد الله تعالى له. و أيضا في شرف أبى طالب و سؤده، ما يبعد كثيرا أن يكون قد صدر شىء مما نسب إلى أبى طالب منه.

و على هذا، فقد يكون سفره (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى..

١- سيأتى إن شاء الله بعض الكلام حول بعض ما يقال عن ورقه بن نوفل، و دوره في بدء الوحي.

٢- راجع: البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٦ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٦.

٣- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢١ و نقل عن سفر السعاده: أنه صلى الله عليه وآله بعد البعثة، و قبل الهجره كان يشتري أكثر مما يبيع، و بعد الهجره لم يبع إلا ثلاث مرات، أما شراؤه فكثير .. و أما شراوته مع غيره ففيها كثير من الاضطراب، و ليس لنا مجال لتحقيق ذلك ..

الشام، لا لكونه كان أجيرا لخديجه، و إنما لأنه كان يضارب بأموالها، أو شريكا لها. و يدل على ذلك تصريح روايه الجنابذى بالمضاربه (١) فراجع.

و يؤيده ما رواه المجلسى من أن أبا طالب قد ذكر له (صلى الله عليه و آله و سلم) اتجار الناس بأموال خديجه، و حثه على أن يبادر إلى ذلك، ففعل، و سافر إلى الشام (٢).

زواجه صلى الله عليه و آله وسلم بخديجه:

و لقد كانت خديجه (عليها السلام) من خيرهن نساء قريش شرفا، و أكثرهن مالا، و احسنهن جمالا. و كانت تدعى فى الجاهليه ب (الطاهره)، (٣) و يقال لها: (سيده قريش). و كل قومها كان حريصا على الاقتران بها لو يقدر عليه (٤). ٥.

١- البحار ج ١٦ ص ٩، و كشف الغمه ج ٢ ص ١٣٤ عن معالم العتره للجنابذى ..

٢- البحار ج ١٦ ص ٢٢ عن البكرى و ص ٣ عن الخرائج و الجرائح ص ١٨٦ و ١٨٧.

٣- راجع الإصابه ج ٤ ص ٢٨١ / ٢٨٢ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٤ و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ترجمه النبويه ص ١٥٢ و قسم السيره النبويه ص ٢٣٧ و تهذيب الأسماء ج ٢ ص ٣٤٢ و الاستيعاب (بهامش الإصابه) ج ٤ ص ٢٧٩ و الإصابه ج ٤ ص ٢٨١ و سيره مغطاي ص ١٢ و سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ١١١ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٣٨ و ٢٠٠ و الروض الأنف ج ١ ص ٢١٥ و تاريخ الخميس ١ / ٢٦٤ و أسد الغابه ج ٧ ص ٧٨ ط دار الشعب السيره الحلبيه ج ١ ص ٤٧. و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥٥ و الثقات ج ١ ص ٤٦.

٤- و راجع: البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٤ و بهجه المحافل ج ١ ص ٤٧. و السيره النبويه لابن هشام ج ١ ص ٢٠١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٣ و طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣١ ط دار صادر و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٧ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥٥.

و قد خطبها عظماء قريش، و بذلوا لها الاموال. و ممن خطبها عقبه بن ابي معيط، و الصلت بن ابي يهاب، و أبو جهل، و أبو سفيان (١) فرفضتهم جميعا، و اختارت النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، و شرف النفس، و السجايا الكريمة العاليه. و نكاد نقطع- بسبب تضافر النصوص- بأنها هي التي قد أبدت أولا رغبتها في الاقتران به (صلى الله عليه و آله و سلم).

فذهب أبو طالب في أهل بيته، و نفر من قريش إلى وليها، و هو عمها عمرو بن أسد؛ لأن أباهما كان قد قتل قبل ذلك في حرب الفجار أو قبلها (٢).

و أما أنه خطبها إلى ورقه بن نوفل، و عمها معا، أو إلى ورقه وحده (٣) فمردود، بأنه:

قد ادعى الاجماع على الأول (٤).

و أما أنا فلا ادري ما أقول في ورقه هذا.

و في كل واد أثر من ثعلبه، فهو يحشر في كل كبيره و صغيره، فيما يتعلق بالرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و إن ذلك ليدعوني٧.

١- البحار ج ١٦ ص ٢٢.

٢- كشف الغمه ج ٢ ص ١٣٩، و البحار ج ١٦ ص ١٢ عنه و ص ١٩ عن الواقدي، و راجع: الأوثل ج ١ ص ١٦٠ و في السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٨: ان المحفوظ عن أهل العلم انه مات قبل الفجار، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٤. و تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٣٠٣ عن الواقدي، و الإصابه ج ٤ ص ٢٨٢ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٦.

٣- البحار ج ١٦ ص ١٩ عن الواقدي و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٩ و الكافي ج ٥ ص ٣٧٤ / ٣٧٥، و فيه أن ورقه كان عم خديجه و كذا في البحار ج ١٦ ص ١٤ و ٢١ عنه و عن البكري، و هو غير صحيح لأن ورقه هو ابن نوفل بن أسد و خديجه هي بنت خويلد بن أسد ..

٤- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٧.

إلى الشك في كونه شخصيه حقيقه، أو أسطوريه.

و يلاحظ: أن نفس الدور الذى يعطى لأبيها تاره، و لعمها أخرى، يعطى لورقه بن نوفل ثالثه حتى الجمل و الكلمات، فضلا عن المواقف و الحركات. فلتراجع الروايات التى تحكى هذه القضيه، و ليقرن بينها (١).

و سيأتى إن شاء الله مزيد من الكلام حول ورقه هذا.

نعود إلى القول: إن أبا طالب قد ذهب لخطبه خديجه، و ليس حمزه الذى اقتصر عليه ابن هشام فى سيرته (٢) لأن ذلك لا ينسجم مع ما كان لأبى طالب من المكانه و السؤدد فى قريش، من جهه، و لأن حمزه كان يكبر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بستين أو بأربع (٣) كما قيل من جهه اخرى.

هذا بالإضافة إلى مخالفه ذلك لما يذكره عامه المؤرخين فى المقام.

و قد اعتذر البعض عن ذلك: بأن من الممكن أن يكون حمزه قد حضر مع أبى طالب؛ فنسب ذلك إليه (٤).

و هو اعتذارواه؛ إذ لماذا لم ينسب ذلك إلى غير حمزه، ممن حضر مع أبى طالب من بنى هاشم و غيرهم من القرشيين؟!.

و يظهر: أن ثمة من يهتم بسلب هذه المكرمه عن أبى طالب (عليه السلام)، و اعطائها لأى كان من الناس سواه، حتى لحمزه. و لا ضير فى ذلك عنده ما دام أنه قد استشهد فى وقت مبكر. ٩.

١- راجع المصادر المتقدمه و الآتيه.

٢- راجع: سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٠١ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٨ و نقل أيضا عن المحب الطبرى.

٣- تقدمت مصادر ذلك حين الحديث حول إرضاع ثويبه لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم .

٤- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٩.

خطبه أبي طالب (رحمه الله):

و على كل حال فقد خطبها أبو طالب له (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل بعثته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بخمس عشرة سنة، على المشهور.

و قال في خطبته - كما يروى المؤرخون -:

(الحمد لرب هذا البيت، الذى جعلنا من زرع ابراهيم، و ذريه اسماعيل، و انزلنا حرما آمنا، و جعلنا الحكام على الناس، و بارك لنا فى بلدنا الذى نحن فيه.

ثم إن ابن أخى هذا - يعنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، و لا يقاس به رجل الاعظم عنه، و لا عدل له فى الخلق، و إن كان مقلا فى المال؛ فإن المال رقد جار، و ظل زائل، و له فى خديجه رغبه، و قد جنناك لنخطبها إليك، برضاها و أمرها، و المهر على فى مالى الذى سألتموه عاجله و آجله.

و له - و ربّ هذا البيت - حظ عظيم، و دين شائع، و رأى كامل (١).

نظرة فى كلمات أبي طالب:

و خطبه أبي طالب المتقدمه تظهر مكانه الرسول الفضلى فى قلوب ٥.

١- الكافى ج ٥ ص ٣٧٤ / ٣٧٥، و البحار ج ١٦ ص ١٤ عنه و ص ١٦ عن لا يحضره الفقيه ص ٤١٣، و فى ص ٥ عن شرف المصطفى، و الكشاف، و ربيع الأبرار و الإبانة لابن بطه، و السيره للجوينى، عن الحسن و الواقدى، و أبى صالح و العتبى، و المناقب ج ١ ص ٤٢، و الحلبى ج ١ ص ١٣٩، و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٠، و الأوائل لأبى هلال ج ١ ص ١٦٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٤ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٣٩ و بهجه المحافل ج ١ ص ٤٨ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥٥.

الناس. و هي صريحه فى أن الناس كانوا يجدون فى الرسول علامات النبوه و نور الهدايه. و يتوقعون أن يكون هو الذى بشر به عيسى و موسى (عليهما السلام)، و أنه كان لا يوزن به أحد إلا رجح به، و لا يقاس به رجل الاعظم عنه.

ثم إن كلمات أبى طالب تدل دلالة واضحه على ما كان يتمتع به بنو هاشم، من شرف و سؤدد، حتى ليقول (رحمه الله) و جعلنا الحكام على الناس.

و تدل أيضا على أن العرب كانت تعتبر الحرم موضع أمن للقاصى و الدانى، و قد تقدم ما يدل على ذلك أيضا.

ثم إن حديثه عن فقر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و اعطاء الضابطه للتفضيل بين الرجال، يدل على واقعيه أبى طالب، و أنه ينظر إلى الإنسان بمنظار سام و نبيل، كما أنه يتعامل مع الواقع بحنكه و وعى و أناه.

و بعد، فإن كلماته تلك تدل أيضا على أن قريشا كانت تعتبر انتسابها إلى ابراهيم و اسماعيل، و ساداتها للبيت، كل شىء بالنسبه لها، و قد أشرنا إلى هذا الأمر فى الفصل الأول.

و لتراجع خطبه أبى طالب (رحمه الله) حين موته، و التى يخاطب بها قريشا، فإنها خطبه جليله، لا- تباعد عن هذه الخطبه فى مراميها و اهدافها.

و دين شائع:

و يتساءل بعض المحققين هنا: أنه كيف يمكن الجمع بين قوله:

(و دين شائع)، و بين قوله تعالى: (مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ (١)). و قوله: (وَمَا كُنْتُ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ (٢)).

١- الشورى، الآية: ٥٢.

٢- القصص الآية، ٨٦.

أولاً: إن الآيات ربما تكون ناظره إلى المراحل الأولى من حياة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو لم يكن يعلم، ثم علم، و اما متى علم؛ فالآيات لا تحدد لنا ذلك؛ فلربما يكون قد علم حينما كان في سن العشرين مثلاً، أو قبل ذلك أو بعده.

و ثانياً: إن السيد الطباطبائي يقول: إن الآيات ناظره إلى نفي العلم التفصيلي، أما العلم الاجمالي فقد كان موجوداً؛ لأن عبد المطلب و أبا طالب و غيرهم كانوا مؤمنين بالله، و كتبه اجمالاً، و النبي أيضاً كذلك (١)، لا سيما إذا قوينا أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان نبياً منذ صغره - كما ذهب إليه البعض - و لسوف يأتي ذلك ان شاء الله تعالى في فصل بحوث تسبق السيره.

و ثالثاً: إن من معاني الدين: (السيره، و التدبير، و الورع، و العاده، و الشأن)؛ فلعل القصد في هذه العبارة، كان إلى احد هذه المعاني.

و رابعاً: إن هذه الآيات بمثابه قضيه شرطيه مفادها: أنه صلى الله عليه وآله وسلم لو لا لطف الله به لم يكن يدري ما الكتاب و لا الإيمان، لأنك أنت بنفسك و بما لديك من قدرات ذاتيه لست قادراً على شيء و كذلك هو صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يرجو ذلك لو لا الله سبحانه.

مهر خديجه:

و على كل حال فإن أبا طالب قد ضمن المهر في ماله، كما هو صريح خطبته، و لكن خديجه رضوان الله تعالى عليها عادت؛ فضمنت المهر في مالها، فقال البعض: يا عجباً! المهر على النساء للرجال؟! ٧.

فغضب أبو طالب، و قال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الاثمان، و اعظم المهر، و إن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلّا بالمهر الغالى.

و لكن يبقى: أن بعض الروايات تفيد: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه قد أمهرها عشرين بكره (١) و ذلك ينافى أن يكون أبو طالب قد ضمن المهر، أو هي ضمنته دونه، أو هي لأبى طالب.

إلا أن يكون المراد: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أمهرها بواسطه أبى طالب.

و قيل: إن عليا (عليه السلام) هو الذى ضمن المهر، قالوا: (و هو غلط؛ لأن عليا لم يكن ولد على جميع الأقوال فى مقدار عمره (٢)).

و يرد عليه: أن ثمة اقوالا- و إن كنا لا نشك فى عدم صحتها- تفيد:

أنه (عليه السلام) قد ولد قبل البعثة بعشرين، أو بثلاث و عشرين سنه.

و لذا قال مغلطاي: (و هو غلط، كان على إذ ذاك صغيرا لم يبلغ سبع سنين) (٣).

و نحن نغلط هذه الاقوال، و نستغربها، إذ أن ذلك معناه أنه (عليه السلام) قد استشهد و عمره ست و سبعون سنه. و هو ما لم يقل به أحد.

فنحن لا نقبل قول مغلطاي، و لا نقبل قول اولئك الذين يزعمون أنه قد ضمن المهر، و ذلك لما سيأتى فى تاريخ ميلاده عليه الصلاه و السلام. ٢.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٨ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٥ و السيره النبويه لابن هشام ج ١ ص ٢٠١ و السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٢٦٣ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ١٠٧.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٩ عن الفسوى فى كتاب: ما روى أهل الكوفه مخالفا لأهل المدينه، و سيره مغلطاي ص ١٢، و الأوائل ج ١ ص ١٦١.

٣- سيره مغلطاي ص ١٢.

ثم نقول: إن أبا هلال العسكري ذكر أنه لما قيل: من يضمن المهر؟ قال على و هو صغير: (أبى فلما بلغ الخبر أبا طالب جعل يقول:

بأبى أنت و أمى) (١).

و لربما يمكن تقريب هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يقال: من أن عليا (عليه السلام) قد ولد قبل البعثة بعشر أو بخمس عشره سنه أو ست عشره سنه، بل بثلاث و عشرين سنه، حسب بعض الأقوال النادره. ثم قارنا بينها و بين الأقوال التي تقرر: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد تزوج خديجه و هو ابن ثلاثين سنه، أى قبل البعثة بعشر سنوات، أو و هو ابن سبع و ثلاثين سنه، كما عن ابن جريج (٢) أى قبل البعثة بثلاث سنوات، و قيل: تزوجها قبل البعثة بخمس سنين (٣). فلعله (عليه السلام) قد قال ذلك و هو طفل صغير فاستحسن ذلك منه عمه أبو طالب.

و عن مقدار المهر، قيل: إنه عشرون بكره. و قيل: إثنا عشر أوقيه و نش، أى ما يعادل خمس مئه درهم، و قيل غير ذلك (٤).

عمر خديجه حين الزواج:

و يلاحظ هنا: مدى الاختلاف و التفاوت فى عمر خديجه حين ٩.

-
- ١- الأوائل لأبى هلال العسكري ج ١ ص ١٦١.
 - ٢- راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٤. و راجع: مجمع الزوائد ج ٩ / ٢١٩. و ذكرت بعض الأقوال فى التبيين فى أنساب القرشيين ص ٦٢ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٠ و مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٧٥ قيل: تزوجها و هو ابن ثلاثين سنه و كذا فى الاستيعاب (بهامش الإصابه) ج ٤ ص ٢٨٨ و سيره مغلطاي ص ١٢ و مثله فى المواهب اللدنيه ج ١ ص ٣٨ و ٢٠٢ و الروض الأنف ج ١ / ٢١٦.
 - ٣- الأوائل ج ١ ص ١٦١.
 - ٤- راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٨ و ١٣٩.

اقتراها بالرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهي تتراوح ما بين ال ٢٥ سنة إلى ال ٤٦ سنة وهي على النحو الآتي:

ألف - ٢٥ سنة و صححه البيهقي (١).

ب - ٢٨ سنة. هو مارجحه كثيرون (٢).

ج - ٣٠ سنة (٣).

د - ٣٥ سنة (٤).

هـ - ٤٠ سنة (٥).يس

١- دلائل النبوه للبيهقي ط دار الكتب العلميه ج ٢ ص ٧١ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٤ و ٢٩٥ و محمد رسول الله، سيرته و أثره في الحضاره ص ٤٥ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٢٦٥ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٠.

٢- شذرات الذهب ج ١ ص ١٤ و اقتصر عليه في بهجه المحافل ج ١ ص ٤٨ و رواه عن ابن عباس كل من: أنساب الأشراف (قسم حياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ص ٩٨ و تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٣٠٣ و سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ١١١ و مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٧٥. و البحار ج ١٦ ص ١٢ عن الجنابذى. كلهم عن ابن عباس. و رواه في مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٨٢ عن ابن إسحاق، دون أن يذكر له قولاً آخر. و راجع سيره مغلطای ص ١٢ و المعبر ص ٧٩ و تهذيب الأسماء ج ٢ ص ٣٤٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٤ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٠.

٣- راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٤ و سيره مغلطای ص ١٢ و تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٣٠٣.

٤- البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٥ و السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٢٦٥ و راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٠.

٥- أنساب الأشراف (قسم حياه النبي) ص ٩٨ و سيره مغلطای ص ١٢ و المعبر ص ٤٩ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٣٨ و ٢٠٢ و شذرات الذهب ج ١ ص ١٤ و تاريخ الخميس

و- ٤٤ سنه (١).

ز- ٤٥ سنه (٢).

ح- ٤٦ سنه (٣).

و قد تقدم: أن الكثيرين قد رجحوا القول الثاني، كما ذكره ابن العماد. أما البيهقي فقد صحح القول الأول، حيث قال: (بلغت خديجه خمسا و ستين سنه، و يقال: خمسين سنه، و هو أصح) (٤).

فإذا كانت رحمها الله قد تزوجت برسول الله قبل البعثة بخمس عشره سنه كما جزم به البيهقي نفسه (٥). فإن ذلك معناه: أن عمرها حين زواجها كان خمسا و عشرين سنه. و رجح هذا القول غير البيهقي أيضا (٦).

أما الحاكم، الذي روى لنا القول الثاني المتقدم عن ابن إسحاق، ٥.

١- تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٣٠٣ عن الواقدي.

٢- تهذيب الأسماء ج ٢ ص ٣٤٢ و مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٧٥ عن الواقدي و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٠ و راجع: سيره مغلطاي ص ١٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١.

٣- راجع: أنساب الأشراف (قسم حياه النبي صلى الله عليه و آله وسلم) ص ٩٨.

٤- دلائل النبوه ج ٢ ص ٧١.

٥- دلائل النبوه ج ٢ ص ٧٢ ط دار الكتب العلميه و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٥. و غير ذلك كثير.

٦- محمد رسول الله: سيرته، و أثره في الحضاره ص ٤٥.

فإنه لم يوضح لنا حقيقه ما يذهب إليه، غير أنه حين روى عن هشام بن عروه قوله: إن خديجه قد توفيت و عمرها خمس و ستون سنه. قال: (هذا قول شاذ، فإن الذى عندى: أنها لم تبلغ ستين سنه) (١).

فكلامه هذا يدل على أنه يعتبر القول بأنها قد تزوجت بالنبي و عمرها أربعون سنه، شاذ. و يرى: أن عمرها كان أقل من خمس و ثلاثين حينئذ، و لكنه لم يبين القول الذى يذهب إليه، هل هو ثلاثون؟ أو ثمان و عشرون؟ أو خمس و عشرون؟.

يتيم قريش، أكدوبه مفضوحه:

و عن ابن اسحاق: أن خديجه قالت له صلى الله عليه و آله وسلم: يا محمد، ألا تتزوج؟ قال: و من؟ قالت: أنا.

قال: و من لى بك؟ أنت أيم قريش، و أنا يتيم قريش؟.

قالت: إخطب الخ. (٢).

بل يذكر البعض أن أبا طالب قال للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم): أخاف ألا يفعلوا، أيم قريش. و أنت يتيم قريش. ثم إن أبا طالب أرسل بدلا عنه حمزه؛ لأنه خاف إن ذهب بنفسه أن يردوه فتكون الفضيحه (٣).

و فى نص آخر: أن خديجه حين طلبت من أبى طالب أن يخطبها لمحمد من عمها، قال أبو طالب لها: (يا خديجه، لا تستهزئى) (٤). ٨.

١- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٨٢.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٨.

٣- الأوائل لأبى هلال العسكري ج ١ ص ١٦٠ / ١٦١.

٤- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٨.

و نحن لا- نشك في كذب كل ذلك؛ إذ كيف يمكن أن يصدر ذلك من رجل يزيد عمره على الخمس و عشرين عاما: أن يصف نفسه بأنه:

يتيم. هذا مع العلم بأنه قد نشأ و تربي في أعرق بيت في العرب؛ فكيف لم يكن يعرف أن اليتيم لا يطلق في لغة العرب إلا على غير البالغ؟!.

و أيضا، فإن صدور ذلك من رجل هو في عقل و ادراك، و شخصيه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، و الذي هو من أعرق عائله عربيه، و أشرفها، و الذي كان في إباؤه و سمو نفسه يفوق كل وصف، و يتجاوز كل حد- إن صدور ذلك منه- يكاد يلحق بالمستحيات و الممتنعات.

ثم إنه لماذا اتصف محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) فقط باليتيم؟

مع أن عبد المطلب قد مات و ابنه العباس و حمزه صغيران لم يبلغا الحلم (١)؟!.

و الظاهر هو أن هذا من مجعولات اعداء الدين، أو من أهل الكتاب، أو من أذئاب بنى أميه، الذين كانوا يحاولون الحط من شأن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كما قدمناه في الجزء الأول من هذا الكتاب.

و هكذا يقال تماما بالنسبه لما ينسب لأبي طالب (عليه السلام)، لا سيما و أنه هو نفسه يقرض النبي بذلك التقريض العظيم المتقدم.

و لعل الاصح هو أن القائل لذلك هو نساء قريش، كما سيأتي حين الحديث عن عدم صحه ما يقال من زواجها من رجلين قبله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و هكذا يقال تماما بالنسبه لما يقال: من أن عمها كان يأنف من أنه.

١- هذا ما ذكره المحقق البحاثه السيد مهدي الروحاني حفظه الله.

يزوجها من محمد، يتيم أبي طالب (١)؛ فاحتالت هي عليه حتى سقته الخمر، فزوجها في حال سكره؛ فلما أفاق، و وجد نفسه أمام الامر الواقع لم يجد بدا من القبول.

و كذا قولهم: إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد دخل على خديجه قبل التزويج، فأخذت بيده فضمتها إلى صدرها (٢). إلى غير ذلك من كلام عجيب و غريب، يتناقض تماما مع كل اخلاق و سجايا النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و سيرته، فإن كل ذلك كذب، ليس الهدف منه إلا الحط من كرامه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و تنقصه من قبل أعداء الاسلام، و مصائد الشيطان، نعوذ بالله من الخذلان.

هل تزوج صلى الله عليه و آله و سلم خديجه طمعا في مالها!؟

هذا، و قد جاء في كلمات بعض المتهمين على الاسلام كلام باطل، تكذبه كل الشواهد التاريخيه، و هو أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) إنما تزوج خديجه طمعا في مالها (٣).

و لسنا نريد الاسهاب في الاجابه على هذا الهذيان، فإن حياه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) من بدايتها إلى نهايتها لخير شاهد على أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) ما كان يقيم للمال و زنا.

و قد انفتت خديجه سلام الله عليها كل أموالها طائعه راغبه، ليس على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و ملذاته، و انما على الدعوه إلى ٣.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٨ و تاريخ الإسلام (السيره النبويه) ص ٦٥ ط دار الكتاب العربى، و مسند أحمد ج ١ ص ٣١٢ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٠.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٠.

٣- النبوه، تأليف الشيخ محمد حسن آل ياسين ص ٦٣.

الاسلام، و فى سبيل هذا الدين.

و أيضا فإن خديجه هى التى عرضت نفسها على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) (١) و لم يتقدم هو (صلى الله عليه و آله و سلم) بطلب يدها، ليقال: إنه إنما فعل ذلك طمعا فى مالها.

و يرى الشيخ محمد حسن آل ياسين أن حبه (صلى الله عليه و آله و سلم) و تقديره لها فى أيام حياتها بل و بعد مماتها، حتى لقد كان ذلك منه يثير بعض زوجاته اللواتى ما رأين، و لا عشن مع خديجه، دليل واضح على بطلان هذا الزعم (٢).

خديجه مثل أعلى:

و بالنسبه لعرض خديجه نفسها عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) نقول:

هكذا، تفعل الحره العاقله اللبيبه، فلا تغرها زبارج الدنيا و بهارجها، و لا تبحث عن اللذه لأجل اللذه، و لا عن المال و الشهره، و إنما تبحث عما يخدم هدفها الاسمى فى الحياه، فتفعل - كما فعلت خديجه - تردّ زعماء قريش، اصحاب المال و الجاه، و القدره، و السلطان، و تبحث عن رجل فقير لا مال له، تبادر هى لعرض نفسها عليه؛ لأن كل ذلك لا يملأ عينها، لأنه كله ربما يكون سببا فى تدمير الحياه و الانسان، و حتى الانسانيه جمعاء. و انما هى تنظر فقط إلى الاخلاق الفاضله، و السجايا الكريمه، و إلى الواقعيه فى التعامل، و السمو فى الهدف. ٣.

-
- ١- البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٤ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٧ و السيره النبويه لابن هشام ج ١ ص ٢٠٠ / ٢٠١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦٤.
- ٢- كتاب النبوه ص ٦٣.

لأن كل ذلك هو الذى يسخر المال، و الجاه، و القوه، و كل شىء لخدمه الانسان و الانسانيه، و تكاملها فى الدرجات العلى.

خديجه بين نساء قريش:

و تجدر الاشاره هنا إلى أن عامه المؤرخين على اختلاف أذواقهم، و مشاربيهم، و نحلهم، يقولون: إن خديجه كانت أجمل نساء قريش. كما أنه لا ريب فى أنها أفضل نساءه صلوات الله و سلامه عليها.

و لعل ذلك يفسر لنا السبب فى غيره بعض نساء النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) منها، حتى بعد وفاتها؛ بحيث كن يحاولن تنقصها، و الإزراء عليها باستمرار، مع أنهن لم يدركنها فى بيت الزوجيه أصلا.

هذا، و لعل أم سلمه تأتى فى المرتبه الثانيه بين أزواجه (صلى الله عليه و آله و سلم) بعد خديجه، فضلا و اخلاصا، و ولاء، و حتى جمالا، كما يظهر من كلام للامام الباقر (عليه السلام).

و على كل حال: فقد كان ذوات الجمال و الاخلاص من أزواجه (صلى الله عليه و آله و سلم) يواجهن غيره القاتله، و التآمر المستمر من قبل البعض الآخر من نساءه (صلى الله عليه و آله و سلم)، ممن لم يكن لهن نصيب من جمال، و لا من التزام تام بالأدب النبوى الكريم. بل كن يؤذينه (صلى الله عليه و آله و سلم) بمواقفهن و تصرفاتهن (١).

هل تزوجت خديجه بأحد قبل النبى صلى الله عليه و آله وسلم!؟

ثم إنه قد قيل: انه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يتزوج بكرا غير.

١- سيأتى لذلك مزيد توضيح فى فصل: حتى يبعه عقبه، فى الجزء الثانى من هذا الكتاب.

عائشه، و أما خديجه، فيقولون: إنها قد تزوجت قبله (صلى الله عليه وآله وسلم) برجلين، و لها منهما بعض الأولاد. و هما عتيق بن عائذ بن عبد الله المخزومي، و أبو هاله التميمي.

أما نحن فنقول: اننا نشك في دعواهم تلك، و نحتمل جدا أن يكون كثير مما يقال في هذا الموضوع قد صنعته يد السياسه. و لا نريد أن نسهب في الكلام عن اختلافهم في إسم أبي هاله، هل هو النباش بن زراره أو عكسه، أو هند، أو مالك، و هل هو صحابي أولا. و هل تزوجته قبل عتيق. أو تزوجت عتيقا قبله (١).

و لا في كون هند الذي ولدته خديجه هو ابن هذا الزوج أو ذاك، فإن كان ابن عتيق، فهو اثني (٢) و إلا فهو ذكر. و أنه هل قتل مع على في حرب الجمل، أو مات بالطاعون بالبصره (٣).

لا، لا نريد أن نطيل بذلك، و إنما نكتفي بتسجيل الملاحظات التاليه:

أولا: قال ابن شهر آشوب: (و روى أحمد البلاذري، و أبو القاسم الكوفي في كتابيهما، و المرتضى في الشافى، و أبو جعفر في التلخيص:

أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تزوج بها، و كانت عذراء.

يؤكد ذلك ما ذكر في كتابى الانوار و البدع: أن رقيه و زينب كانتا..

١- راجع الأوائل ج ١ هامش ص ١٥٩.

٢- راجع: الأوائل ج ١ ص ١٥٩ و قال: إن هندا هذه قد تزوجت من صيفى بن عائذ فولدت محمد بن صيفى.

٣- للإطلاع على هذه الاختلافات و غيرها راجع المصادر التاليه، و قارن بينها: الإصابه ج ٣ ص ٦١١/٦١٢، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٢٢، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٠، و قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٣١، و نقل عن البلاذري و أسد الغابه ج ٥ ص ١٢/١٣ و ٧١، و غير ذلك ..

ابنتى هاله أخت خديجه (١).

و ثانيا: قال أبو القاسم الكوفى: (إن الاجماع من الخاص و العام، من أهل الانال (الآثار ظ) و نقله الاخبار، على أنه لم يبق من أشرف قريش، و من ساداتهم و ذوى النجده منهم، إلا من خطب خديجه، و رام تزويجها، فامتنت على جميعهم من ذلك؛ فلما تزوجها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) غضب عليها نساء قريش و هجرنها، و قلن لها:

خطبك أشرف قريش و أمراؤهم فلم تتزوجى أحدا منهم، و تزوجت محمدا يتيما أبى طالب، فقيرا، لا مال له؟!!

فكيف يجوز فى نظر أهل الفهم أن تكون خديجه، يتزوجها اعرابى من تميم، و تمتنع من سادات قريش، و أشرافها على ما وصفناه؟! ألا يعلم ذوو التمييز و النظر: أنه من أبين المحال، و افطع المقال؟! (٢).

و أما الرد على ذلك بأنه لا يمكن أن تبقى امرأه شريفه و جميله هذه المده الطويله بلا زواج.

فليس على ما يرام، لأن ذلك لا يبرر رفضها لعظماء قريش و قبولها باعرابى من بنى تميم.

و أما كيف يتركها أبوها أو وليها بلا تزويج.

فقد قلنا: أن أباهما قد قتل فى حرب الفجار، و أما وليها، فلم يكن له سلطه الأب ليجيرها على الزواج ممن أراد.

و بقاء المرأه الشريفه و الجميله مده بلا- زواج ليس بعزیز. إذا كانت تصبر إلى أن تجد الرجل الفاضل الكامل، الذى كان يعز وجوده فى تلك الفتره.٠.

١- مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٥٩، و البحار: و رجال المامقانى، و قاموس الرجال كلهم عن المناقب.

٢- الاستغاثه ج ١ ص ٧٠.

و ثالثا: كيف لم يعيرها زعماء قريش الذين خطبوا فردتهم، بزواجها من اعرابي بوال علي عقيبته؟!

و رابعا: لقد ذكروا: أن أول شهيد في الاسلام ابن لخديجه رحمها الله، اسمه الحارث بن أبي هاله، استشهد حينما جهر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالدعوه (١).

و نقول: إن ذلك لا يمكن قبوله، حيث قد روى بسند صحيح عندهم، عن قتاده: أن أول شهيد في الاسلام هو سمييه و الده عمار (٢)، و كذا روى عن مجاهد (٣). و عن ابن عباس: (قتل أبو عمار و أم عمار، و هما أول قتيلين قتل من المسلمين) (٤).

إلا أن يدعى: أن سمييه كانت أول من استشهد من النساء، و الحارث كان أول من استشهد من الرجال.

و لكنه احتمال بعيد، و مخالف لظاهر كلماتهم، لا سيما و أن كلمه شهيد تطلق على الذكر و الأنثى بلفظ واحد، مثل قتل و جريح.

فإن معنى كلمه: (شهيد): شخص، أو ذات ثبتت لها صفه الشهاده، لأن المشتقات تدل على ذات ثبت لها وصف ما؛ فكلمه تقى معناها: شخص له التقوى، و قائم أيضا كذلك.

و كلمه شخص أو ذات أو نحوها تصدق على الرجل على حده، ٢٥

١- الأوائل لأبى هلال العسكري ج ١ ص ٣١١-٣١٢ و الإصابه ج ١ ص ٢٩٣ عنه و عن ابن الكلبي و ابن حزم و محاضره الأوائل ص ٤٦.

٢- الإصابه ج ٤ ص ٣٣٥ و طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٩٣ ط ليدن.

٣- الاستيعاب هامش الإصابه ج ٤ ص ٣٣١.

٤- صفين للمنقرى ص ٣٢٥

و على المرأه كذلك، و على كليهما معا. و على هذا الاساس نفسر كلمه:

طلب العلم فريضه على كل مسلم، بحيث يشمل الرجل و المرأه معا.

أما إذا كان المشتق فيه (أل) الموصوليه، مثل القائم و المتقى، فإن الأمر يصبح أوضح و أجلى، و ذلك لأن (أل) بمنزله (الذى) فالقائم معناه الشخص الذى له القيام. فيصح أن يراد بها الرجل، و المرأه، و هما معا أيضا.

و على هذا الأساس جرت التعابير القرآنيه، مثل: المتقين، المؤمنين الشاكرين الخ .. فإنها تشمل الرجل و المرأه على حد سواء.

و ذلك واضح لا يخفى.

فتلخص مما تقدم: أن هذا النص لا يدل على وجود ابن لخديجه، مادام أنه قد ثبت حصول الكذب فى جزء منه.

و لعل هذا الكذب قد جاء لأجل الإيحاء بطريق غير مباشر بأن لخديجه ولدا من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و أن ذلك غير قابل للنقاش - و لكن - قد قيل: لا حافظه لكذوب.

و خامسا: لقد روى أنه كانت لخديجه أخت إسمها هاله (١)، تزوجها رجل مخزومى، فولدت له بنتا اسمها هاله، ثم خلف عليها - أى على هاله الاولى - رجل تميمى يقال له: أبو هند؛ فأولدها ولدا اسمه هند.

و كان لهذا التميمى إمرأه أخرى قد ولدت له زينب و رقيه، فماتت، و مات التميمى، فلحق ولده هند بقومه، و بقيت هاله أخت خديجه و الطفلتان اللتان من التميمى و زوجته الأخرى؛ فضمتهم خديجه إليها، و بعد أن تزوجت بالرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) ماتت هاله، فبقيت الطفلتان فى حجر خديجه و الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).ى.

١- لها ذكر فى كتب الأنساب، فراجع على سبيل المثال: نسب قريش لمصعب الزبيرى.

و كان العرب يزعمون: أن الربيبه بنت، و لأجل ذلك نسبتا إليه (صلى الله عليه و آله و سلم)، مع أنهما ابنتا أبي هند زوج أختها و كذلك كان الحال بالنسبه لهند نفسه (١).

و لربما يمكن تأييد هذه الروايات بما ورد من الاختلاف فى اسم والد هند، فلتراجع المصادر التى ذكرناها ثمه.

زوجتا عثمان، هل هما بنات النبي صلى الله عليه و آله وسلم!؟

و اننا بالاضافه إلى ما قدمناه آنفا عن الاستغاثه نذكر:

أن مما يدل على عدم كون زوجتى عثمان بنات له (صلى الله عليه و آله و سلم) - عدا عن كون بعض الاقوال تنافى ذلك - ما ذكره المقدسى، عن سعيد بن أبى عروه، عن قتاده، قال: ولدت خديجه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): عبد مناف فى الجاهليه، و ولدت له فى الاسلام غلامين، و اربع بنات: القاسم، و به كان يكنى: أبا القاسم؛ فعاش حتى مشى، ثم مات، و عبد الله، مات صغيرا. و أم كلثوم. و زينب. و رقيه.

و فاطمه (٢).

و قال القسطلانى بعد كلام له: (و قيل: ولد له ولد قبل المبعث، يقال له: عبد مناف، فيكونون على هذا اثنى عشر، و كلهم سوى هذا ولد فى الاسلام بعد المبعث) (٣).

كما أن بعضهم ينص على أنه قد صح عنده: أن رقيه كانت أصغر ٦.

١- راجع: الاستغاثه ج ١ ص ٦٨-٦٩، و رساله حول بنات النبي صلى الله عليه و آله وسلم مطبوعه ط حجرية فى آخر مكارم الأخلاق ص ٦.

٢- البدء و التاريخ ج ٥ ص ١٦ و ج ٤ ص ١٣٩.

٣- المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٩٦.

من الكل حتى من فاطمه عليها السلام (١).

و بعد هذا، فكيف نصدق قول من يقول: انهما تزوجتا فى الجاهليه من ابنى أبى لهب، ثم جاء الاسلام ففارقاهما.

يقول المقدسى: (فزوج رسول الله رقيه عثمان بن عفان، و هاجرت معه فى الهجرتين إلى الحبشه، و أسقطت فى الهجره الأولى علقه فى السفينه) (٢).

نعم، كيف نصدق هذا، و نحن نعلم: أن الهجره الأولى إلى الحبشه كانت بعد البعته بخمس سنين، فكيف تكون رقيه قد تزوجت قبل البعته بـابن أبى لهب، ثم فارقتها ليتزوجها عثمان، ثم تحمل منه قبل الهجره إلى الحبشه، و هى انما ولدت بعد البعته؟! إن ذلك لعجيب!! و عجيب حقاً!!.

و ثانياً: لقد ذكرت بعض الروايات: أن أباً لهب قد أمر ولديه بطلاق رقيه و أم كلثوم بعد نزول سوره (تبت يدا أبى لهب) (٣). مع أنهم يقولون:

إن هذه السوره قد نزلت حينما كان النبى و المسلمون محصورين فى الشعب (٤). و قد كان ذلك بعد الهجره الأولى إلى الحبشه.ل.

١- راجع: الإصابه ج ٤ ص ٣٠٤ عن الجرجانى، و الاستيعاب بهامش الإصابه ج ٤ ص ٢٩٩، ٢٨٢. و فى ص ٢٨١ عن الزبير بن بكار؛ أن عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمه، ثم رقيه كلهم ولدوا بعد الإسلام، و كذا فى البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٤. و نسب قريش صفحه ٢١.

٢- البدء و التاريخ ج ٥ ص ١٧ و تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٢٩٨.

٣- نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٢٢ و تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٢٩٣ و ٢٩٨ و أسد الغابه ج ٥ ص ٤٥٦ و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٤ ص ٢٩٩ و الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٩ عن الطبرانى.

٤- الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٨ عن أبى نعيم فى الدلائل.

و ثالثاً: لقد روى: أن خديجه ولدت للنبي عبد الله، ثم أبطأ عليها الولد، فبينما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يكلم رجلاً، والعاص بن وائل ينظر إليه، إذ مرّ رجل فسأل العاص عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: من هذا؟

قال: هذا الأبتّر.

فأنزل الله: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (١).

فظاهر الرواية: أنها حين ولدت عبد الله لم تكن قد ولدت غيره، أو أن من ولدتهم ماتوا جميعاً حتى لم يعد للنبي أولاد أصلاً. مع أن رقيه كانت عند عثمان قبل ولادة فاطمه، فلا يصح وصف العاص للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأبتّر فتنزل الآية.

إلا أن يقال: إن العرب لم تكن تهتم بالبنات، بل الميزان عندهم هو خصوص الذكور، ولأجل ذلك وصفه العاص بالأبتّر.

و رابعاً: قد تقدم أن هناك من يقول: إن خديجه إنما تزوجت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل البعثة بعشر أو بثلاث، أو بخمس سنوات، فكيف تكون رقيه وزينب قد ولدتا من خديجه، و تزوجتا قبل البعثة؟!.

خامساً: إن الدولابي يقول: إن عثمان كان قد تزوج رقيه في الجاهلية (٢).

و ذلك كله يؤكد و يؤيد: أن رقيه التي تزوجها عثمان هي غير رقيه التي يدعى أنها بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والتي يقال: ٧.

١- راجع تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٢٩٤ و الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٤.

٢- راجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧.

إنها ولدت بعد البعثة، و أن التي تزوجها عثمان هي ربيبه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، لا إبنته. و قد كانت العرب تطلق على ربيبه الرجل أنها ابنته كما قلنا: و كذلك يقال بالنسبه لأم كلثوم، لأن الفرض أنها قد ولدت بعد البعثة أيضا.

هل زينب بنت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أم ربيته؟:

و أما عن زينب فلا نستطيع أن نطمئن إلى أنها كانت بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أيضا، لأننا بالاضافه إلى أن ما قدمناه آنفا حول زوجتي عثمان، كله بعينه جار هنا إذا كان أبو العاص بن الربيع قد تزوجها قبل البعثة- نشير إلى ما يلي:

١- قال مغلطاي عن خديجه: (ثم خلف عليها أبو هاله النباش بن زراره فولدت له هنداء، و الحرث، و زينب، و كانت تكنى أم هند، و تدعى الطاهره) (١).

٢- و عن عمرو بن دينار: أن حسن بن محمد بن علي أخبره: أن أبا العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، و كان زوجا لبنت خديجه فجيء به للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) في قدّ، فحلّته زينب بنت النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) الخ (٢).

فالتعبير أولا ببنت خديجه يشير أنها لم تكن ابنته (صلى الله عليه و آله و سلم) و إن كان عاد فذكر أنها بنت النبي؛ فلا يبعد أنه يريد بنوتها له بالترييه، و إلا فلماذا خصها أولا بأنها بنت خديجه؟! فنسبتها إلى خديجه أولا يكون قرينه على اراده بنوتها للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بالترييه.٤.

١- سيره مغلطاي ص ١٢.

٢- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٢٢٤.

٣- و يذكر الشيخ محمد حسن آل ياسين عن زينب أن: بعض المصادر تقول: إنها ولدت و عمره (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثين سنة (١)، و تزوجها أبو العاص بن الربيع قبل البعثة، و ولدت له عليا مات صغيرا، و امامه، اسلمت حين اسلمت أمها أول البعثة النبويه (٢).

و ذلك غير معقول، فإنه لا يمكن لبنت فى العاشره أن تتزوج، و يولد لها بنت، و تكبر تلك البنت حتى تسلم مع أمها فى أول البعثة؛ و هذا حيث لا تزال أمها فى العاشره من عمرها (٣).

و لكن كلام هذا الباحث غير متين، لأن المقصود بالتى أسلمت هى و أمها هو زينب و خديجه، و ليس المقصود هو أمامه و زينب و ذلك ظاهر لا يخفى.

و بالنسبه لأم كلثوم فإن الروايات تذكر: أن عليا حين هاجر اصطحب معه خصوص الفواطم، و أم أيمن، و جماعه من ضعفاء المؤمنين (٤).

و ليست أم كلثوم بينهم؛ فهل هاجرت قبل ذلك، أو بعده وحدها؟ و كيف لم يصطحبها على (عليه السلام) معه ليحميها من كيد قريش؟ و لماذا؟

و لماذا!؟

و بعد ما تقدم نستطيع أن نقول: إننا لا يمكن أن نطمئن بشكل نهائى إلى ما يقال: من أن عثمان قد تزوج ابنتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للاحتمال القوى بأن تكونا ربيبتيه. و كذا بالنسبه لزينب زوجه أبى العاص. ٣.

١- أسد الغابه ج ٥ ص ٤٦٧، و نهايه الارب ج ١٨ ص ٢١١، و الاستيعاب هامش الإصابه ج ٤ ص ٣١١.

٢- راجع: كتاب النبوه هامش ص ٦٥.

٣- راجع هامش كتاب النبوه للشيخ محمد حسن آل ياسين ص ٦٥.

٤- سيره المصطفى ص ٢٥٩. و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٥٣.

و على هذا فيصح أن يقال: لمن تزوج ربيبه لشخص: أن ذلك الشخص قد صاهره، و نال درجه من القرب منه، و على هذا فلا منافاه بين ما ذكرنا، و بين قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لعثمان: (و قد نلت من صهره ما لم ينالا) (١).

لكن يبقى: أن ذلك الصهر هل قام بواجباته تجاه ذلك الذى أكرمه بتزويج ربيته له؟! فهذا بحث آخر، و له مجال آخر، و ستأتى بعض الاشارات لما كان من عثمان فى حق زوجته ربيته النبى الاكرم (صلى الله عليه و آله و سلم).

و مهما يكن من أمر فقد طبع لنا كتاب باسم بنات النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أم ربائبه، فليرجع اليه من أراد التفصيل.

منافسون لعلی:

و لعل اصرار الآخرين على بنوتهن له (صلى الله عليه و آله و سلم)، و ارسالهم له إرسال المسلمات، يهدف إلى إيجاد منافسين لعلی فى فضائله الخارجيه، و لذلك أطلقوا على عثمان لقب (ذى النورين)!! هذا، مع العلم بأن سيرته لم تكن مع هاتين البنيتين على ما يرام، كما سوف نشير إليه حين الحديث عن وفاتهما فى الجزء الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

و يلاحظ أيضا: روايتهم الموضوعه حول زواج على بنت أبى جهل، و التى مدح فيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) صهر أبى ٨.

١- نهج البلاغه ج ٢ ص ٨٥ و أنساب الأشراف ج ٥ ص ٦٠ و العقد الفريد ج ٣ ص ٣٧٦ و الجمل ص ١٠٠ عن المدائنى و الغدير ج ٩ ص ٧٤. عن بعض من تقدم و عن تاريخ الأمم و الملوك ج ٥ ص ٩٦ و عن الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٦٣ و عن البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٦٨.

العاص لرسول الله، تعريضا بعلي (عليه السلام) حيث كان في مقام تحذيره، و الإزراء عليه. و سيأتي أيضا في الجزء الرابع من هذا الكتاب بعض الكلام عن هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

خُوُوله هند بن أبي هاله للامام الحسن (ع):

و قبل أن نترك الحديث حول هذا الموضوع إلى غيره، نسجل هنا تحفظا على ما يقال من أن الامام الحسن (عليه السلام) قال: (سألت خالي هند بن أبي هاله عن حليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، و كان وصافا، و أنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به، قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخما مفخما الخ).

قال الحسن فكنتمها (فكنتمها. صح) الحسين بن علي زمانا، ثم حدثته، فوجدته قد سبقني إليه، فسأل أباه عن مدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و مخرجه، و مجلسه، و شكله، فلم يدع منه شيئا، قال الحسين سألت أبي الخ (١).

أقول:

أولا: سند هذا الحديث هو جميع العجلي، عن رجل من بنى تميم، من ولد أبي هاله، زوج خديجه أم المؤمنين رضى الله عنها، يكنى أبا عبد الله، عن ابن لأبي هاله، عن الحسن بن علي الخ (٢).

و نحن في غنى عن التكلم حول هذا السند، فإن الأمر فيه بين.

و ثانيا: قد تقدم الإختلاف في كون هند المتولد من خديجه، هل هو ٧.

١- راجع التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٤٤٨ و ٤٤٩ فما بعدها و دلائل النبوه ج ٢ ص ٢٨٦ ط دار الكتب العلميه.

٢- المصدر السابق ص ٤٤٧.

ذكر أم انثى، و أشرنا إلى اختلافهم فى أبيه من هو فيما تقدم؟!.

و ثالثا: إن الامام الحسن (عليه السلام) نفسه قد رأى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بنفسه، و عاش معه عدّه سنوات، و قد بايعه و شهد له على بعض عهوده، و خرج معه إلى مباحله النجرانيين و الخ.

فلماذا يشتهى أن يصف هند من رسول الله شيئا يتعلق به. فهل هو قد نسى جده يا ترى؟. و إذا كان قد نسى حقا، فلماذا لا يسأل أباه و هو أفصح العرب؟ و أعلم الأمه، الذى رباه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فى حجره، و كان يعرف عنه كل شىء، مما دق و جلّ.

أم يعقل أن يكون هند مطلعاً على أحوال النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) أكثر من على أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام؟!.

على أننا لم نجد فيما بين أيدينا من نصوص، حتى المكذوب منها ما يشير إلى أن هنداً كان يعيش مع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، أو بالقرب منه، أو أنه كان يحضر مجالسه، أو نحو ذلك، رغم أننا نسمع الكثير عن غيره ممن كانوا يأتون إلى مجلس النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بين حين و آخر.

و رابعا: لا ندرى لماذا كتم الحسن (عليه السلام) أخاه هذا الأمر.

مع أننا لا نعرف عنه أنه كان يستأثر لنفسه على أخيه فى أمور كهذه.

خامسا: إن ما تقدم كله يدفع هذا الحديث و يلقي عليه ظلالاً من الريبه و الشك.

سادسا: لا ندرى، من هو ابن أبى هاله الراوى عن الامام الحسن (عليه السلام)؛ فهل هو من أبناء خديجه أيضا؟! فإن كان الجواب بالإيجاب، فلماذا لم يحدثنا عنه التاريخ.

و إن كان هو ابن لأبى هاله من إمراه أخرى غير خديجه. فهذا ما لم

يذكره التاريخ لنا أيضا، ولا أشارت إليه كتب الأنساب، ولا ذكر في عداد الرواه، ولا في كتب الرجال!!

ص: ١٣٦

الفصل الرابع: حتى البعثه

اشاره

حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرب الفجار:

و يذكر المؤرخون: أن حرباً قد هاجت بين قيس من جهه، و قريش و كنانه من جهه أخرى. فى الأشهر الحرم- و هى أشهر الحج، و رجب معها- و لذلك سميت حرب الفجار.

و يقال إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد حضر بعض أيامها، و شارك فيها فعلاً، بنحو من المشاركة.

و لكننا بدورنا لا نستطيع أن نؤكد صحه ذلك، بل و نشك كثيراً؛ فيه و ذلك لأمر:

الأول: لقد وقعت حرب الفجار فى الأشهر الحرم، فى رجب. و لا نرى مبرراً لأن ينتهك أبو طالب و معه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) حرمة الأشهر الحرم، كما يظهر لمن راجع سيرتهما و حياتهما، و مدى تقيدهما بمثل هذه الأمور؛ فإنهما كانا مسلمين (١)، بل لقد كان أبو طالب مستودعاً للوصايا (٢)، كما ورد فى بعض الأخبار فى الكافى، بالإضافة إلى ٩.

١- راجع: البحار: ج ١٥ ص ١١٧، و ستأتى مصادر أخرى فى فصل: بحوث تسبق السيره، حين الكلام حول إيمان آباء النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

٢- الغدير: ج ٧ ص ٣٩٤، و الكافى: ج ١ ص ٤٤٥، و الدر المنثور للعالمى: ج ١ ص ٤٩.

نصوص أخرى تدل على عظمته و ثبات قدمه في الدين، فراجع ما ذكر في الغدير، و غيره من الكتب المعده للحديث عن أبي طالب (عليه السلام).

إلا إذا وَّجَّهت المشاركة: بأن حرب الفجار قد وقعت في أشهر النسيء، أو في شعبان أو شوال، و كان سببها في الأشهر الحرم (١).

و لكنه توجيه لا يعتمد على أى سند تاريخي؛ فلا مجال للتعويل عليه. بالإضافة إلى ما سيأتى.

الثانى: قال ابن واضح المعروف باليعقوبى: (و قد روى أن أبا طالب منع أن يكون فيها (أى فى حرب الفجار) أحد من بنى هاشم، و قال: هذا ظلم، و عدوان، و قطيعه رحم، و استحللال للشهر الحرام، و لا أحضره، و لا أحد من أهلى؛ فأخرج الزبير بن عبد المطلب مستكرها.

و قال عبد الله بن جدعان التيمى، و حرب بن أمية: لا نحضر أمرا تغيب عنه بنو هاشم) (٢).

الثالث: إختلاف الروايات حول الدور الذى أداه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى هذه الحرب؛ فبعضهم يروى: أن عمله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد اقتصر على مناولة أعمامه النبل، و ردّ نبل عدوهم عليهم، و حفظ متاعهم (٣).

و آخر يروى: أنه قد رمى فيها برميات، ما يجب أنه لم يكن قد ٩.

١- راجع السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٨، فإنه قد ذكر أن سبب الفجار قد كان فى الأشهر الحرم أما نفس الحرب فكانت فى شعبان. و أقول: و لكن ما معنى تسميتها حينئذ بحرب الفجار؟ .. هذا بالإضافة إلى تصريح اليعقوبى فى تاريخه بأن حرب الفجار كانت فى رجب فراجع.

٢- تاريخ اليعقوبى ط صادر ج ٢ ص ١٥.

٣- سيره ابن هشام ج ١ ص ١٩٨، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩.

و ثالث يروى: أنه طعن أبا براء ملاعب الأسنه فصرعه (٢) مع أنهم يقولون: إن عمره حينئذ كان أربع عشره سنه! (٣)، أو أنه كان حينئذ غلاما (٤). و لا ندرى إن كانت العرب تسمح للغلام بخوض المعارك و الحروب، أولا. و لا سيما بالنسبه إلى محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)، الولد المتميز و العزيز جدا على عمه أبى طالب.

بل نجد البعض يناقض نفسه، فيقول: إن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قد ولد عام الفيل، و أنه حضر الفجار و عمره أربع عشره سنه، ثم يقول فى آخر كلامه: إن حرب الفجار كانت بعد عام الفيل بعشرين سنه (٥).

و نشير إلى تناقض آخر هنا، و هو أن الكلام الذى نقلناه فى الأمر الثانى، عن اليعقوبى ينص على أن حرب بن أميه قد تغيب عن هذه الحرب، بينما نجد الروايات الأخرى تنص على أنه كان قد حضرها، و كان هو قائد قريش و كنانه.

سز التلاعب فى الروايات هنا:

و قد لفت نظرنا هذا التناقض الأخير، إذ لو كان الإختلاف فى رجل عادى من سائر أفراد الجيش، هذا يقول: حضر، و ذاك يقول: لم يحضر!٨.

١- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥١، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٧.

٢- المصدران المتقدمان.

٣- المصادر الأربعة المتقدمه إلا أن صفحه ابن هشام هى ١٩٥.

٤- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٦ ط صادر.

٥- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٩، و سيره ابن هشام ج ١ ص ١٩٥ و ١٩٨.

لكان يمكن أن تلتبس بعض المبررات لاختلاف كهذا!! وأنه ربما يقال لا تعمد في المقام!!

ولكن إذا كان هذا يقول: كان فلان على رأس الجيش، وذاك يقول: لم يحضر أصلاً؛ فلا يمكن إلا- أن يكون ثمة تعمد للكذب في قضيه كهذه.

و لعل الهدف هو ابعاد حرب بن أميه عن حرب فيها ظلم، و عدوان، و قطيعه رحم، و في الأشهر الحرم، و لو بالمخالفه لكل المؤرخين، لأن حرب بن أميه هو من تهتم الدوله برفعه شأنه، و تنزيه مقامه، و لو عن طريق الدجل و التزوير!!

أما النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ فقد تقدم أن الخطه الملعونه كانت تهدف إلى عكس ذلك؛ و لذلك يلاحظ هنا: تعمد جعل النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى بعد نبوته يظهر على أنه منسجم مع مشاركته في حرب الفجار في الأشهر الحرم، و التي فيها ظلم و عدوان، و قطيعه رحم، و استحلال للشهر الحرام، حتى ليقول: إنه رمى فيها برميات، ما يحب أنه لم يكن قد رماها!!

حلف الفضول:

و بعد منصرف قريش من حرب الفجار دعا الزبير بن عبد المطلب (١) إلى حلف الفضول، و عقد الاجتماع في دار عبد الله بن جدعان، و غمسوا أيديهم في ماء زمزم، و تحالفوا و تعاقدوا على نصره المظلوم، و التأسى بالمعاش، و النهى عن المنكر، و كان أشرف حلف.م.

١- هو غير الزبير بن العوام، الذي حارب أمير المؤمنين عليه السلام في وقعه الجمل، و قتل و هو منهزم.

و المتحالفون على ذلك هم: بنو هاشم، و بنو المطلب، و بنو أسد بن عبد العزى، و زهره، و تيم (١).

و أنكر البعض أن يكون بنو أسد بن عبد العزى فى حلف الفضول (٢)، و قالوا: إن عبد الله بن الزبير قد ادعى ذلك لهم فى الإسلام (٣).

و قد حضر هذا الحلف نبينا الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و أثنى عليه بعد نبوته، و أمضاه؛ فقد روى أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم، و لو دعيت به لأجبت (٤). أو ما هو قريب من هذا.

سبب هذا الحلف:

و سبب هذا الحلف: أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعه، فاشتراها منه العاص بن وائل؛ فحبس عنه حقه؛ فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف، الذين كانوا يسمون: لعقه الدم، لأنهم حين تحالفوا غمسوا أيديهم بالدم على خلاف المطيين المشار إليهم آنفا، الذين هم اصحاب حلف الفضول أيضا. و الأحلاف هم: عبد الدار، و مخزوم، و جمح، و سهم، ٧.

-
- ١- راجع: شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج ١٤ ص ١٢٩، و نسب قريش لمصعب ص ٣٨٣ فإنه قد شرح كلا الحلفين: حلف الأحلاف، لعقه الدم، و حلف المطيين. و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٣، و الأغاني: ج ١٦ ص ٦٦ و ٦٥.
 - ٢- الأغاني: ج ١٦ ص ٦٦.
 - ٣- الأغاني: ج ١٦ ص ٧٠.
 - ٤- أعيان الشيعة ج ٢ ص ١٣، و سيره ابن هشام ج ١ ص ١٤٢، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩١، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٦١، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣١، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥٣ و الأغاني: ج ١٦ ص ٦٦ و ٦٧.

و عدى بن كعب.

فأبى الأحلاف معونه الزبيدي على العاص بن وائل، و انتهره، و ذلك لما كان يتمتع به العاص هذا من نفوذ، و سيأتي أنه قد أنقذ عمر من برائن أهل مكه.

فلما رأى الزبيدي الشر، صعد على أبى قبيس، و استغاث. فقام الزبير بن عبد المطلب، و دعا إلى الحلف المذكور؛ فعقد؛ ثم مشوا إلى العاص، و انتزعوا منه سلعه الزبيدي؛ فدفعوها إليه (١).

بنو أميه و حلف الفضول:

و أما ما ذكره أبو هريره من أن بنى أميه قد كانوا فى حلف الفضول؛ فهو ما لم يتابعه عليه أحد، و أنكره غير واحد من المؤرخين (٢).

و كذا قول البعض: إن أبا سفيان، و العباس بن عبد المطلب، هما اللذان دعيا إلى هذا الحلف (٣).

لكن روايه الأغانى ليست صريحه فى العباس بن عبد المطلب، فلعل المراد: العباس بن مرداس السلمي، حيث إنه كان يتحدث عنه أولاً؛ ثم جاء بهذه الروايه بعده ..

و لكن يرد عليه: أن العباس بن مرداس لا شأن له فى هذا الأمر...

١- البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩١، ٢٩٢ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٢، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥٣.

٢- البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩١، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣١ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥٣، و السنن الكبرى للبيهقى.

٣- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٢ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥٣، و كان سن العباس حينئذ يساعده على دعوه كهذه لأن عمره حينئذ كان لا يزيد على ثمانيه عشر عاماً، كما يفهم من تاريخ عقد حلف الفضول ..

و أما إرادة العباس بن عبد المطلب و أبي سفيان فلا يمكن قبولها، و ذلك لأمر:

أولاً: إن هذا الحلف إنما كان ضد الأمويين، و كان سببه العاص بن وائل السهمي، حليف الأمويين، و والد عمرو بن العاص. فكيف يشارك أبو سفيان فيه، فضلاً عن يكون هو الداعي له؟!.

لا سيما و أنه قد تقدم: أن الأحلاف و منهم بنو أمية قد طردوا الزبيدي حينما استجار بهم، و تاريخ أبي سفيان و أخلاقياته لا تساعد على موقف كهذا منه. الصحيح من السير النبوي الأعظم، مرتضى العاملي ج ٢ ١٤٣٣ بنو أمية و حلف الفضول: ص: ١٤٢

أضف إلى ذلك: أن أبا سفيان و العباس، لم يكونا مؤهلين من حيث السنّ و النفوذ و الإعتبار للقيام بأمر كهذا، كما أشير إليه في الهامش.

ثانياً: ورد أن محمد بن جبير بن مطعم، قدم على عبد الملك، حين قتل ابن الزبير، فقال له عبد الملك: يا أبا سعيد، ألم نكن نحن و أنتم - يعني عبد شمس بن عبد مناف، و بني نوفل بن عبد مناف - في حلف الفضول؟! قال: أنت أعلم. قال: لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك.

فقال: لا- و الله، لقد خرجنا نحن و أنتم منه. قال: صدقت. و زاد البعض (و هو المعتزلي في جواب ابن جبير: و ما كانت يدنا و يدكم إلا جميعاً في الجاهلية و الإسلام) (١).

و ثالثاً: كان عتبه بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أن رجلاً وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول، م.

١- سيره ابن هشام ج ١ ص ١٤٣، و شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٢٦ عن الزبير بن بكار، و الأغاني: ج ١٦ ص ٦٨ و ٧٠، لكن في ص ٦٩: أن ذلك قد كان بين معاوية و جبير بن مطعم.

و ليس عبد شمس في حلف الفضول (١).

و رابعا: مجموعه قضايا تدل على أن الأمويين ما كانوا في حلف الفضول، و على أن الإسلام قد اعترف بهذا الحلف و أمضاه. و نذكر منها:

ألف: أنه كان الحسين (عليه السلام)، و الوليد بن عتبة الأموي أمير المدينة من قبل عمه معاوية منازعه في مال متعلق بالحسين، فكأن الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه، فقال الحسين: أحلف بالله، لتنصفني من حقي، أو لآخذن سيفي، ثم لأقومن في مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، ثم لأدعون بحلف الفضول.

فاستجاب للحسين جماعه، منهم: عبد الله بن الزبير، و هو من أسد بن عبد العزى، و المسور بن مخرمه الزهري، و عبد الرحمان بن عثمان التيمي؛ فلما بلغ الوليد ذلك أنصف الحسين من حقه حتى رضى (٢).

ب: و حسب نص أبي هلال العسكري: (كان بين الحسين (عليه السلام) و بين معاوية كلام في أرض للحسين. فقال الحسين لابن الزبير:

خيّره في ثلاثه، و الرابعه الصيلم: أن يجعلك أو ابن عمر بيني و بينه. أو يقر بحقي، ثم يسألني أن أهبه له. أو يشتريه مني؛ فإن أبي - فو الذي نفسى بيده - لأهتفن بحلف الفضول الخ (٣).

ج: و عند أبي الفرج روايه جاء في آخرها: أنه حينما أظهر معاوية إنزعاجه من عدم زياره الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) له، و هو في ٨.

١- الأغانى: ج ١٦ ص ٦٦ و ٧٠.

٢- سيره ابن هشام ج ١ ص ١٤٢ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٢، و الكامل لابن الأثير ط صادر ج ٢ ص ٤٢، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩٣ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥٣ عن سيره الحافظ الدمياطى و أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٤، و الأغانى: ج ١٦ ص ٦٨.

٣- الأوائل ج ١ ص ٧٣ / ٧٤. و الأغانى: ج ١٦ ص ٦٨.

المدينه، أغراه به ابن الزبير، فلم يستجب له معاويه.

فقال له ابن الزبير: (أما والله إنى وإياه ليد عليك بحلف الفضول.

فقال معاويه: من أنت؟! لا أعرض لك، و حلف الفضول والله إما الخ) (١).

فهذه النصوص تدل على قبول الأئمة (عليه السلام) بحلف الفضول وإمضائهم له، تبعاً لرسول الله فى إمضائه له حسبما تقدم.

كما و تدل و لا سيما النص الأخير منها على أن معاويه و قومه ما كانوا فى حلف الفضول، الذى يعرض له به ابن الزبير. كما أن مناداه الحسين (عليه السلام) بهذا الحلف، و استجابته الزبيريين، و غيرهم له ضد الأمويين، يشير إلى ذلك أيضاً.

و بعد كل ما تقدم، فإن ما يريد أبو هريره، و من هم على شاكلته إثباته، تزلفاً و تقرباً لأسيادهم من الحكام الظالمين، مما يكذبه كل أقوال المؤرخين، و كل الوقائع التاريخيه.

و لكن حرص أبو هريره على أن لا- تفوت بنى أميه فضيله كهذه، هو الذى دفعه إلى إدخال الأمويين فى أشرف حلف فى العرب، و الذى يوافق مبادئ الاسلام و شرائعه، و ينسجم مع الفطره السليمه و العقل القويم.

ملاحظه:

و يلاحظ اخيراً. أننا نجدهم يروون عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) ما يدل على لزوم التمسك بأحلاف الجاهليه (٢).ى.

١- الأغاني ط ساسى ج ٨ ص ١٠٨.

٢- المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ١٠ ص ٣٧٠ / ٣٠٦ و فى هامشه عن مسلم و الترمذى ج ٤ ص ١٤٦ ط المكتبه الإسلاميه و عن سعيد بن منصور و عن فتح البارى ج ٨ ص ١٧٣ و الدارمى.

و هي دعوه مغرضه و خبيثه، إلا إذا أريد منها خصوص حلف الفضول، الذى امضاه الاسلام. أو أى حلف آخر تنسجم اهدافه مع الاسلام، كالحلف الذى عقده عبد المطلب مع جماعه خزاعه، فلما قتلت قريش جماعه من خزاعه، استنصروا النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) استنادا إلى ذلك الحلف، و كان فتح مكه لذلك (١).

ملاحظات هامه على حلف الفضول:

١- إن دعوه الحسين (عليه السلام) بحلف الفضول، انما كانت منه (عليه السلام) لأنه كان يعلم من خلال دراسته للاوضاع و للنفسيات أن هذه الدعوه سوف لن تنتهى إلى حد الخطر الاقصى. و قد كان يهدف منها إلى تعريف الناس على واقع و حقيقه بنى أميه، و انهم ظالمون عتاه، لا- يهمهم إلا- الدنيا و حطامها و أن الهاشميين، و أهل البيت هم الذين يهتمون بالحفاظ على العهود و المواثيق التى تهدف إلى نصره المظلوم، و الدفاع عن الحق.

و قد خاف معاويه من هذا الأمر بالذات، فاستسلم للحسين (عليه السلام)، و ارجع الحق إلى أصحابه.

كما أن هذه الدعوه قد كانت فى ظرف حرج، لا يمكن اللجوء فيه إلى أية وسيله أخرى غيرها، حتى و لا وسيله الثوره العامه ضد تلك الطغمه الفاسده، إذ أن إعلانه للثوره العامه حينئذ، و فى مناسبه كهذه، لسوف يفسر على أنه لدوافع شخصيه، و لا علاقته له بالدفاع عن الدين و الأمه لا من قريب و لا من بعيد.

و عليه فلو استشهد الامام الحسين (عليه السلام) و الحاله هذه فى.

١- سيأتى الحديث عن ذلك فى فتح مكه إن شاء الله تعالى.

هذه المناسبة، فسوف لا يكون لقتله أية فائدة تعود على الدين و الأمة. بل ربما يكون ضرر ذلك اكثر من نفعه؛ و ذلك عندما يلاحق ذلك معاويه الداهيه بحمله دعائيه مغرضه، يقضى فيها على الأمل الوحيد للأمة، و يفصل المجتمع المسلم نفسيا و فكريا عن أهل البيت (عليه السلام) بشكل عام، و عن أئمتهم بصورة خاصه.

و ذلك لأن الظروف التي أوصلت معاويه إلى الحكم، و إن كانت واضحه لدى كثيرين من أهل العراق و الحجاز، إلا أن أهل الشام، الذين لم يعرفوا إلا الاسلام السفيناني، إسلام المصالح و الأهواء، الاسلام الذي يستحل كل شىء فى سبيل الوصول إلى الأهداف الشخصيه، و اللذات الفرديه- نعم- إن أهل الشام الذين لم يتربوا تربيه اسلاميه صحيحه، و لا عرفوا عليا و أهل البيت على حقيقتهم، و لا عرفوا إسلام علي، و لا مبادئه، و لا أهدافه على (عليه السلام)، بل كان الأمويون يظهرون لهم:

أنهم هم قرابه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم أهل بيته، حتى ليدعى عشره من أمرائهم و قوادهم: أنهم ما كانوا يعرفون للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) أهل بيت غير بنى أميه (١).

بل إن معاويه ليتجراً و يقول لأهل الشام: إن عليا (عليه السلام) لا يصلى!! (٢)م.

١- النزاع و التخاصم للمقريزى ص ٢٨، و شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ١٥٩، و مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣، و عن دعواهم الخلافه بالقرابه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم راجع: العقد الفريد ط دار الكتاب العربى ج ٢ ص ١٢٠؛ و حياه الإمام الرضا السياسيه للمؤلف ص ٥٤ / ٥٥.

٢- الفتوح لابن اعثم ج ٣ ص ١٩٦ و وقعه صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٥٤ و شرح النهج للمعتزلى ج ٨ ص ٣٦ و الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣١٣، و تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٣٠، و الغدير ج ٩ ص ١٢٢ عن بعضهم.

إن أهل الشام و الحال هذه لا يمكنهم أن يدركوا واقع ما يجرى و ما يحدث. بل إن باستطاعه معاويه أن يمؤه و يشبه الامر على غير أهل الشام أيضا؛ لمكره و شيطنته؛ فإنه قد تأمر على الشام من قبل عمر بن الخطاب، الذى احبه العرب، و اخلصوا له؛ لأنه أراضى غرورهم، و رفع معنوياتهم، بتفضيلهم على غيرهم، من أهل الامم الأخرى فى العطاء، و فى مختلف الشؤون. مع أنهم الذين كانوا إلى الأمس القريب لا قيمه لهم، يتيهون فى صحرائهم القاحله، يأكلون الجشب، و يشربون الكدر، إلى آخر ما تقدم فى أوائل الفصل الأول؛ ثم جاء الاسلام، فساواهم بغيرهم، و رفع من شأنهم، و قرّر: أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

و لكن سياسه عمر بن الخطاب قد اقتضت إعطاء كل الإمتيازات، و فى مختلف الشؤون لخصوص العرب، و حرمان غيرهم من كل الإمتيازات، و من كل شىء (١).

فأحب العرب عمر بن الخطاب أعظم الحب، و قدروه أجل تقدير، و صارت افعاله و أقواله عندهم قانونا متبعا، لا يمكن مخالفته، و لا الخروج عليه، و يكفى أن نذكر: أن مجرد توليته لأحدهم قد أوجبت لذلك الرجل عظمه و منزله خاصه (٢).

بل إن عليا الذى لم يكن يرى لبني اسماعيل فضلا على بنى اسحاق (٣) لم يستطع أن يعزل شريحا عن القضاء؛ و قد أبى ذلك عليه أهل ٧.

١- راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى.

٢- الثقات: ج ٢ ص ٢٩٥.

٣- سنن البيهقى ج ٦ ص ٣٤٩ و الغدير ج ٨ ص ٢٤٠ عنه. و أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودى: ج ٢ ص ١٤١. و الغارات: ج

١ ص ٧٤-٧٧، و حياه الصحابه: ج ٢ ص ١١٢ عن البيهقى، و تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ١٨٣، و البحار ج ٤١ ص ١٣٧.

الكوفه، وقالوا له: لا تعزله؛ لأنه منصوب من قبل عمر، و بايعناك على أن لا تغير شيئاً مما قرره أبو بكر و عمر (١).

كما أنه لم يستطع أن يمنع جيشه من صلاه التراويح؛ لأن عمر هو الذى شرّعها. و صاحبوا و استنه عمراه (٢). و لعل أول من صاح فى هذه المناسبه ب (وا عمراه) هو قاضيه شريح (٣).

بل لقد نادوا بعلى (عليه السلام) فى حرب الجمل: (اعطنا سنه العمرين (٤)).

و سمع رجل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول عن معاويه:

من أدرك هذا أميرا فليقرنْ خاصرته بالسيف؛ فرآه يخطب فى الشام؛ فأراد تنفيذ أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، فقالوا له: أتدرى من استعمله؟.

قال: و من قالوا: أمير المؤمنين عمر.٣.

١- كشف القناع عن حجه الإجماع: ٦٤، و راجع: تنقيح المقال: ج ٢ ص ٨٣ و قاموس الرجال: ج ٥ ص ٦٧.

٢- راجع: شرح النهج للمعتزلى: ج ٢ ص ٢٨٣ و ج ١ ص ٢٦٩، و الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٢٦، و الكافى ج ٨ ص ٦٣ و تلخيص الشافى: ج ٤ ص ٥٨، و البحار ط حجرية: ج ٨ ص ٢٨٤، و راجع: الجواهر: ج ٢١ ص ٣٣٧، و الوسائل: باب (١٠) من أبواب نوافل شهر رمضان، كتاب الصلاه، و كشف القناع: ص ٦٥ / ٦٦ و سليم بن قيس ص ١٢٦ ط مؤسسه البعثه.

٣- راجع: قاموس الرجال: ج ٥ ص ٦٧.

٤- الكامل للمبرد ج ١ ص ١٤٤ ط دار نهضة مصر. و راجع الكافى: ج ٨ ص ٥٩، و شرح النهج: ج ١ ص ٢٦٩، و الكامل فى التاريخ: ج ٣ ص ٣٤٣، و الأخبار الطوال: ص ٢٠٧، و أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودى: ج ٢ ص ٣٧٠ / ٣٧١، و تنقيح المقال: ج ٢ ص ٨٣.

قال: سمعا و طاعه لأمير المؤمنين (١).

وقد صرح أمير المؤمنين في خطبه له بأعمال كثيرة لمن سبقوه. لم يستطع تغييرها، و لو أنه حاول ذلك لتفرق عنه جنده، حتى يبقى وحده، و قليل من شيعته. و هي أمور كثيرة فلتراجع (٢). و لتراجع أيضا الشواهد الكثيرة التي تؤيد ذلك في مصادرها.

ثم جاءت الدولة الأموية، فاستنت بسنه عمر، و سارت بسيرته، و انتهجت نهجه.

و إذا كان معاوية قد تولّى الشام من قبل عمر، و إذا كان قدموه على الناس في قضيه قتل عثمان، و ألقى في الناس الشبهات الكثيرة حولها، حتى استطاع أن يقود جيشا ليحارب في صفين اعظم رجل بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم).

و إذا كان قد استغل قضيه التحكيم، و اضفى على خلافته نوعا من الشرعيه المزوره، التي يمكن تضليل العوام و السذج بواسطتها. - إذا كان كل ذلك - فإن من الطبيعي أن يستطيع معاوية الذي وصل إلى الحكم في مثل تلك الظروف الغامضة، أن يصوّر الحسين بن علي (عليه السلام)، بعد قتله على أنه باغ و طامع، تحركه المصالح الشخصيه، بل و حتى خارج عن الاسلام، و العياذ بالله.

و لسوف يتمكن عن طريق الاخطبوط الأموي المتغلغل في مختلف البلاد، و الذي استطاع أن يضع العراقيل في طريق علي (عليه السلام)، و غيره من الأئمه الطاهرين، لسوف يتمكن من استغلال تلك الظروف ٦.

١- البحار ج ٩٢ ص ٣٦ عن معاني الأخبار.

٢- الكافي ج ٨ ص ٥٩-٦٣ و سليم بن قيس ص ١٢٥/١٢٦.

الخاصه، فى الحجاز، و العراق، و فى الشام، ابشع استغلال، و لا سيما بالنسبه لأهل الشام، الذين ما كان يمكنهم! إدراك واقع ما يجرى و ما يحدث إلا عن طريق الجهاز الأموى نفسه.

يضاف إلى ذلك كله: أنه قد كان فى عهد الخلفاء قبل على (عليه السلام)، و لأهداف سياسيه معينه، ثم حصار مضروب على كبار الصحابه؛ فلم تتح لهم الفرصه ليتفرقوا فى البلاد، و ينشروا تعاليم النبى الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) على حقيقتها. بل حصروهم فى المدينه مدته طويله. و من استطاع منهم الافلات منها قليل، و من كان يصبر على الجهر بالحقيقه، فإنه يتعرض لمختلف انواع القهر و الاضطهاد، كما كان الحال بالنسبه لأبى ذر (رحمه الله) (١).

و هكذا.. فإن الصحابه لم يتمكنوا من الجهر بما تجيش، أو بكل ما تجيش به صدورهم، حتى أشرف هذا الجيل على الفناء و الزوال، مما كان من شأنه أن يفسح المجال أمام الجهاز الحاكم لكل افتراء ضد أهل البيت (عليه السلام)، و ضد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه، ثم ضد الاسلام بشكل عام.

و خلاصه الامر: إن قتل الحسين (عليه السلام) فى زمن معاويه ليس فقط لا يجدى و لا ينفع، و إنما يكون فيه قضاء تام على الامل الوحيد للدين، و للأمم، و للحق. و فى هذا خيانه حقيقه ظاهره لكل ذلك، بمقدار ما كان استشهاد الحسين (عليه السلام) بعد ذلك وفاء للدين، و للأمم و للحق، عند ما لم يعد انحراف الحكم و لا دينيته، بل وعداؤه للدين خافيا على أحد، و لم يكن بعد للدهاء و المكر، و للسياسات المنحرفه: أن تتستر عليه، و لا أن تقلل من وضوحه. و أصبح السكوت عليه فى تلك الظروف..

١- راجع مقالنا عن أبى ذر فى الجزء الأول من كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ..

هو الخيانه للدين، و للامه، و للحق.

و إلا فإن الحسين (عليه السلام) قد عاش فى حكم معاويه بعد استشهاد أخيه الحسن (ع) عشر سنوات، و لم يقم بالثوره ضده، مع أن الحسين (عليه السلام) الذى سكت فى زمن معاويه هو نفسه الحسين الذى ثار فى زمان يزيد. كما أن الانحراف و الظلم الذى كان فى زمان هذا قد كان فى زمان ذاك. و ما ذكرناه هو المبرر لسكوته هناك، و ثورته هنا.

هذا، و قد تمدح الإمام الحسين (عليه السلام) أخاه الإمام الحسن (عليه السلام) على صلحه مع معاويه، و اعتبره إيثارا لله عند مداحض الباطل، فى مكان التقيه بحسن الروايه. كما قاله (عليه السلام) و هو يؤين أخاه الإمام الحسن (عليه السلام) حينما استشهد بسم معاويه (١).

و كتب أهل الكوفه أكثر من مره إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه إلى الخروج إليهم فى خلافه معاويه، و فى كل ذلك يأبى عليهم (٢)، و قد أمرهم بلزوم بيوتهم ما دام معاويه حيًا (٣).

فالقول بأن سبب عدم ثورته على معاويه إنما هو عدم بيعه الناس له فى زمنه، لا يصح.

كما أن الناس كانوا قد بايعوا الإمام الحسن (عليه السلام)، فلماذا سكت؟ و لماذا لم يطالبه الحسين بالقيام؟! و لماذا يمدحه على صلحه لمعاويه؟ ٢.

١- راجع: تهذيب تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٢٣٠، و عيون الأخبار لابن قتيبه: ج ٢ ص ٣١٤.

٢- ترجمه الإمام الحسين (ع) من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودى): ص ١٩٧.

٣- الأخبار الطوال: ص ٢٢١ / ٢٢٢.

هذا ما أردنا الاشارة إليه هنا، و لهذا البحث مجال آخر.

٢- و يلاحظ أيضا: أنه حين دعا الحسين (عليه السلام) بحلف الفضول قد استجاب له حتى أعداؤه، كابن الزبير، الذى لم يكن ليخفى على أحد، كيف كان موقفه من الهاشميين أيام خلافته حتى لقد كان يريد أن يحرقهم بالنار فى مكة، لولا وصول النجده لهم من العراق.

كما أنه قد قرت عينه - على حد تعبير ابن عباس - حين توجه الحسين (عليه السلام) إلى العراق.

أضف إلى ذلك: أنه قد قطع الصلاه على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى خطبه، و لما عوتب على ذلك ادعى: أن هذا الحى من بنى هاشم إذا سمعوا ذكره (صلى الله عليه و آله و سلم) أشرأبت أعناقهم، و أبغض الاشياء إليه ما يسرهم. و فى روايه: إن له أهيل سوء الخ (١).

نعم، لقد استجاب للإمام الحسين صلوات الله و سلامه عليه حتى أعداؤه حين دعاهم بحلف الفضول، و لكنهم لا يستجيبون لداعى الله و الرسول الذى يأمرهم بقبول إمامه الحسنين (عليهما السلام) قاما أو قعدا و لا يدافعون عن إمامهم الذى خرج فى طلب الاصلاح فى أمه جده، بل و ينصبون العداة له و لأهل بيته عموما كما أشرنا إليه.

فما هو سر استجابتهم للنداء بحلف الفضول، ثم عدم استجابتهم للحسين، حين دعاهم للجهاد ضد أعداء الدين، فلم يخرج منهم أحد إلى كربلاء لمحاربه الظلم و الطغيان، و الانحراف عن الدين و الحق؟!.

مع أن القضية الأولى و إن كانت تمثل مكافحه للظلم و التجبر، إلا أنها فى ٤.

١- راجع: العقد الفريد ج ٤ ص ٤١٣ ط دار الكتاب العربى، و شرح النهج للمعتزلى ج ٢٠ ص ١٢٧ و غير ذلك، و أنساب الأشراف ج ٤ ص ٢٨ و قاموس الرجال ج ٥ ص ٤٥٢، و مقاتل الطالبين ص ٤٧٤.

الحقيقه تنتهى إلى مسأله خاصه، محدوده الزمان و المكان، و الأشخاص، كما سوف تفسرها ابواق الدعايه الأمويه المغرضه.

أما فى قضيه كربلاء، فقد كان واضحا لدى كل أحد حقيقه أهداف الثوره. و قد أوضحها الامام الحسين (عليه السلام) أكثر من مره، و لم يبق مجالاً للشك فى أنها ذات أهداف اسلاميه جامع، بعيده كل البعد عن المكاسب الشخصيه و النفعيه المحدوده.

فلماذا السكوت؟، و ربما السرور من بعضهم بالمصير الذى لاقاه الامام الحسين (عليه السلام) هنا؟ ثم هم يهبون لنصرته، و القيام دونه، أو على الاقل يظهرون استعدادهم لذلك هناك؟! مع أن الأهداف إن لم تكن فى المآل واحده؛ فإنها فى قضيه كربلاء أهم و اكثر مساسا بهم و بدينهم و كرامتهم .. فهل كانوا يهدفون إلى إضعاف عدوهم الأقوى أو لا؟! أم أنهم أمنوا معاويه، و خافوا يزيد الخمرور؟ ربما يكون ذلك، و ربما لأن حلف الفضول كان جاهليا، و هم إلى الجاهليه فى حقها و فى باطلها أقرب منهم إلى الاسلام، حتى حينما تكون القضيه مصيريه، و حتى و لو كانت مصيريه بالنسبه للأمه بأسرها، و بالنسبه للدين نفسه.

و لو أنهم التفتوا إلى أن حلف الفضول قد امضاه الاسلام، و صار اسلاميا فلربما يكون لهم حينئذ موقف آخر.

إن ذلك لعجيب حقا! و أى عجيب!!.

٣- إن موقف الحسين هذا، و كذلك إمضاء النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لهذا الحلف فى كلامه المتقدم، ليدل على أن الاسلام قد أمضى هذا الحلف؛ لأنه قائم على أساس الحق و العدل و الخير. و هل الاسلام إلا ذلك؟- إنه يمضيه- مع أن الذين قاموا به كانوا وقتها على الشرك و الكفر. و لكنه يهدم مسجد الضرار، مع أن الذين بنوه كانوا يتظاهرون بالاسلام، و يتعاملون على اساسه، بحسب الظاهر.

و هذا ما يؤكد واقعيه الاسلام، و أنه إنما ينظر إلى عمل يدي الصياد لا إلى دموع عينيه، و أنه لا يغتر بالمظاهر، و لا تخدعه الشعارات مهما كانت براقه، إذا كانت تخفى وراءها الوصوليه، و الخيانه و التآمر، فالحق حق، و مقبول، و لا بد من الالتزام به، و التعامل على أساسه، و لو صدر من مشرك، و الباطل باطل و مرفوض، و لا يجوز الالتزام به، و لا التعامل على أساسه، مهما كانت الشعارات براقه و مغريه.

و لهذا نفسه نجد أمير المؤمنين أيضا يرفض خدعه رفع المصاحف على الرماح فى صفين و يحذر منها. و لقد كان هو المصيب فى رفضه.

و غيره، ممن كان يتظاهر بالتقى و العباده كان هو المخطئ.

وقفنا الله للسير على هدى أمير المؤمنين على (عليه السلام)، و تأثر خطاه، و العمل بمنهاجه، الذى هو نهج الايمان و الإسلام، إنه ولى قدير.

٤- إن اهتمام النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، و الأئمه (عليهم السلام) بحلف الفضول إنما يدل على أن الاسلام ليس منغلقا على نفسه، و إنما هو يستجيب لكل عمل إيجابى فيه خير الانسان، و يشارك فيه على أعلى المستويات، انطلاقا من الشعور بالمسؤوليه، و انسجاما مع أهدافه العليا، و مع المقتضيات الفطريه، و احكام العقل السليم.

٥- أما استجابته الذين استجابوا للزبير بن عبد المطلب حينما دعا لعقد هذا الحلف، فلعل لهم دوافع مختلفه باختلاف الأشخاص، و البيوتات، و القبائل، و نذكر من هذه الدوافع:

ألف: الدافع الفطرى الإنسانى؛ لأن هذا هو ما تحكم به الفطره، و العقل السليم، ثم هو ينسجم مع الشعور الإنسانى، و الأخلاقى.

ب: الدافع المصلحى، و ذلك لأن عدم الأمن فى مكه لسوف يقلل من رغبه التجار فى الوفود عليها، و التعامل مع أهلها.

ج: وثمة دوافع أخرى ربما تكون لدى بعضهم، كالحفاظ على قدسيه مكة وأهلها في نفوس العرب؛ وغير ذلك. وقد تقدم في الفصل الأول ما يفيد هنا؛ فراجع إن شئت.

تاريخ ولادة أمير المؤمنين (ع):

أما عن تاريخ ولادة أمير المؤمنين (عليه السلام) ففيه إثنا عشر قولاً على وجه التقريب، تبدأ من سبع، حتى ست عشره سنة قبل البعثة، وقال آخرون: ولد قبل البعثة بعشرين، وغيرهم بثلاث وعشرين سنة (١).^{٥٠}

١- راجع الأقوال المذكورة كلا أو بعضاً في الكتب التالية: المصنف لعبد الرزاق ج ٥ والعقد الفريد ج ٤ ص ٣١١، وأنساب الأشراف، ومقاتل الطالبين ص ٢٦، والأنس الجليل ج ١ ص ١٧٨، والتهديب ج ٧ ص ٣٣٦، والأوائل، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٩ عن شواهد النبوه، وطبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ١٣، والمعارف لابن قتيبه ص ٥١، وحياه الحيوان ج ١ ص ٥٤، والبحار، وينايع الموده، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٣٤، وذخائر العقبى ص ٥٨، والاستيعاب، وسنن البيهقي ج ٦ ص ٢٠٦، ونزهه المجالس، ومناقب الخوارزمي وأسد الغابه ج ٤ ص ١٦-١٨، والبدايه والنهايه، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢، وفتح الباري ج ٧ ص ٥٧، وإحقاق الحق ج ٧ ص ٥٣٨-٥٥٤. والقول بالبعثه موجود في: الفصول المهمه لابن الصباغ ص ١٢ والاستيعاب ج ٣ ص ٣٠ ط صادر، وطبقات ابن سعد ط مصر ج ٣ ص ٢١، وسيره ابن هشام ج ١ ص ٢٦٢، والكافي ج ١ ص ٣٧٦، وإرشاد المفيد ص ٩، وإعلام الوري ص ١٥٣، ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٧٨، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٦، مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١١، وتلخيصه بهامشه للذهبي، ومناقب الخوارزمي ص ١٧، وتاريخ الخلفاء ص ١٦٦ والبدايه والنهايه ج ٣ ص ٢٦، وذخائر العقبى، وأنساب الأشراف، وملحقات إحقاق الحق ج ٧ عن بعض من تقدم. وللقول بالإثني عشر راجع: البحار ج ٣٥ ص ٧ وإحقاق الحق ج ٧ ص ٥٤٩، عن نهايه الإرب ج ٨ ص ١٨١ والاستيعاب ج ٣ ص ٣٠. ونقلت كثير من الأقوال عن المصادر التاليه: إكمال الرجال ص ٦٨٧ والروضه النديه ص ١٣، واحكام الأحكام ج ١ ص ١٩٠، وأنباء الرواه في أبناء النجاه ج ١ ص ١١، ونهايه الارب ج ٨ ص ١٨١، والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١١٥، ونظم درر السمطين ص ٨١ و ٨٢، والرياض النضره ج ٢ ص ١٥٦ والغره المنيفه ص ١٧٦ و شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٢٤٢، والطبقات المالكيه ج ٢ ص ٧١، والمصباح الكبير ج ٥٦٠.

و يمكن أن تقلّ الأقوال عن ذلك، إذا قلنا: إنه لا منافاه بين القول:

بأنه ولد قبل البعثة باثني عشره سنه، و بين القول بأنه ولد قبلها بخمس عشره سنه، إذا كان القائل بالثاني لا يسقط السنوات الثلاث الأولى من بعثته صلى الله عليه و آله وسلم من الحساب، لأن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يكن يجهر فيها بالدعوه.

و لعل اختلافهم فى مده نبوته صلى الله عليه و آله وسلم فى مكه على قولين: عشر سنوات، و ثلاث عشره سنه سببه ذلك أيضا.

بل نجد البعض يقول إن سرّيه الدعوه قد استمرت خمس سنوات، فيمكن بملاحظه هذا و ما تقدم فى سائر الاقوال: أن تقلّ الأقوال عن ذلك كثيرا. ولكن هذا على أى حال يبقى مجرد احتمال.

و على كل حال، فإن القول بالإثني عشر، و إن كان مرويا عن أهل البيت، إلا أن القول الآخر، و هو أن ولادته كانت قبل البعثة بعشر سنوات مروى أيضا، و هو المشهور عند علمائنا، و عند غيرهم، كما يظهر من ملاحظه المصادر المتقدمه.

و لذا، نقول: إن هذا القول المعتضد بالشهره هو الأولى بالاعتماد و الإعتبار. لا سيما و أنه مروى عن أهل البيت الذين هم أدرى من كل أحد بما فيه.

و أما محاولات البعض الاستفاده من ذلك، و استنتاج نتیجه معينه

لتأكيد فكره معينه، من قبيل ادعاء أن عليا هو أول من اسلم من الصبيان؛ ليكون أبوبكر أول من أسلم من الرجال. فسيأتى عند الحديث عن اسلام أمير المؤمنين (عليه السلام): أن هذا لا يمكن أن يصح بأى وجه.

أول هاشمى ولد من هاشميين:

لقد ولد أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو الشخصيه الأولى بعد الرسول، و الذى تربى فى حجر الوحي، و ارتضع لبان النبوه من أبوين قرشيين هاشميين، هما: أبو طالب، شيخ الابطح. و فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

و قال الكليني و غيره: (و هو أول هاشمى ولد هاشم مرتين) و قريب منه غيره (١).

و علق المجلسى: بأن اخوته طالبا، و عقيل، و جعفرا قد ولدوا قبله من هذين الهاشميين. و قول التهذيب و غيره: (فى الاسلام)، لا يصح ذلك؛ إذ لو كان مرادهم أنه ولد بعد البعثه فهو لا يصح، للاتفاق على أنه قد ولد قبلها.

و لو كان المراد: أنه الوحيد الذى ولد بعد ولاده الرسول، فهو كذلك لا يصح، لأن أكثر إخوته قد ولدوا بعد ولاده النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، مع أنه اصطلاح غريب غير معهود (٢).

و الصحيح: أن يقال كما قال المعتزلى، و الشهيد، و غيرهما: (و أمه ٦).

١- الكافى ج ١ ص ٣٧٦، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ١٧، و التهذيب للشيخ ج ٦ ص ١٩ و البحار ج ٣٥ ص ٥ عنه و عن الكافى، و أسد الغابه ج ٤ ص ١٦ ج ٥ ص ٥١٧ و الفصول المهمه لابن الصباغ ص ١٣.

٢- راجع: البحار ج ٣٥ ص ٦.

أول هاشميه ولدت لهاشمى) (١).

ولاده أمير المؤمنين (ع) في الكعبه:

لقد ورد أنه عليه الصلاه والسلام قد ولد في جوف الكعبه أعزها الله، في يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب. و أن هذه فضيله اختصه الله بها، لم تكن لأحد قبله، ولا بعده، وقد صرح بذلك عدد كبير من العلماء، و رواه الأثر، و نظمها الشعراء و الادباء. و ذلك مستفيض عند شيعه أهل البيت (عليهم السلام)، كما أنه كذلك في كتب غيرهم، حتى لقد قال الحاكم وغيره:

(تواترت الأخبار: أن فاطمه بنت أسد، ولدت أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبه ...).

و صرح بأنه لم يولد فيها أحد سواه عدد من العلماء و المؤرخين (٢).

١- البحار ج ٣٥ ص ٦ عن الدروس للشهيد، و شرح النهج للمعتزلى ج ١ ص ١٣ و ج ١٥ ص ٢٧٨ و البدء و التاريخ ج ٥ ص ٧١، و نسب قريش لمصعب ص ٤٠، و نزهه المجالس ج ٢ ص ١٦٥، و معرفه الصحابه لأبى نعيم مخطوط فى مكتبه طوب قپوسراى رقم ١/٤٩٧ أ الورقه ١٩ و ذخائر العقبى ص ٥٥ و المعارف لابن قتيبه ص ٨٨.

٢- راجع مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٨٣، و تلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحه، و نور الأبصار ص ٧٦، و الفصول المهمه لابن الصباغ ص ١٢، و كفايه الطالب للكنجى الشافعى ص ٤٠٦ و ٤٠٧ و مناقب الإمام أمير المؤمنين لابن المغازلى ص ٧ و ذكر ولادته فيها أيضا: أسد الغابه ج ٤ ص ٣١ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٣٩ و نزهه المجالس ج ٢ ص ٢٠٤. و تذكره الخواص ص ١٠ و نقله صاحب الغدير ج ٦ ص ٢٢-٣٨ عن عشرات المصادر مثل: إزاله الخفاء للدهلوى، و الآلوسى فى شرح الخريده الغيبه، ص ١٥ و مروج الذهب ج ٢ ص ٢ و شرح الشفا ج ١ ص ١٥١، و المناقب لمحمد صالح الترمذى، و آئينه تصوف ص ١٣١١ و روائح المصطفى ص ١٠ و كتاب الحسين للسيد على جلال الدين ج ١ ص ١٦، و نقله أيضا عن عشرات

و يقول السيد الحميرى، المتوفى فى سنة ١٧٣ هـ:

ولدته فى حرم الاله و آمنه و البيت حيث فناؤه و المسجد

بيضاء طاهره الثياب كريمهطابت و طاب وليدها و المولد

فى ليله غابت نحوس نجومهاو بدا مع القمر المنير الاسعد

ما لف فى خرق القوابل مثله إلا ابن آمنه النبى محمد

و يقول عبد الباقي العمرى:

أنت العلى الذى فوق العلى رفعا بطن مكة وسط البيت إذ وضعا و لكن نفوس شائتى على (عليه السلام)، قد نفست عليه هذه الفضيله التى اختصه الله بها، فحاولت تجاهل كل أقوال العلماء و المؤرخين، و رواه الحديث و الأثر، و الضرب بها عرض الجدار، حيث نجدهم- و بكل جرأه و لا مبالاه- يثبتون ذلك لرجل آخر غير على (عليه السلام)، بل و يحاولون التشكيك فى ما ثبت لعلى أيضا، حتى لقد قال فى كتاب النور:

(حكيم بن حزام ولد فى جوف الكعبه، و لا يعرف ذلك لغيره. و أما ما روى من أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء (١)). ٤٠

١- راجع: السيره الحلييه ج ١ ص ١٣٩، و ذكر ولادتها فيها فى أسد الغابه ج ٢ ص ٤٠

وقال المعتزلى: (كثير من الشيعة يزعمون: أنه ولد فى الكعبه، و المحدثون لا يعترفون بذلك، و يزعمون: أن المولود فى الكعبه حكيم بن حزام (١)).

ثم حاول الحلبي و الديار بكرى الجمع و الصلح بين الفريقين، باحتمال ولاده كليهما فيها (٢).

و لكن كيف يصح هذا الجمع، و نحن نجد عددا ممن قدمنا أسماءهم، و غيرهم ممن ذكرهم العلامه الأمينى فى كتاب الغدير، و غيره، يصرون على أنه لم يولد فى جوف الكعبه سوى على، لا-قبله و لا بعده؟! و أن تلك فضيله اختصه الله بها دون غيره من العالمين؟!!

و كيف يقبل ذلك الجمع، و نحن نجد الحاكم يصرح بتواتر الأخبار فى ولاده أمير المؤمنين (عليه السلام) فى جوف الكعبه؟!، فهل الحاكم بنظر المعتزلى جاهل بالحديث؟!!

و من أين لحديث ولاده حكيم بن حزام حتى خصوصيه صحه سنده.

فضلا عن أن يكون متواترا و مقطوعا به؟!!

لماذا حكيم بن حزام؟!!

و إنما اثبتت هذه الفضيله لحكيم بن حزام؛ لأنه كان للزبيريين فيه هوى؛ فإنه ابن عم الزبير، و ابن عم اولاده؛ فهو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، و الزبيريون ينتهون أيضا إلى أسد بن عبد العزى. ٩.

١- شرح النهج ج ١ ص ١٤.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٩، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٩.

و لم يسلم حكيم إلا- عام الفتح، و هو من المؤلفه قلوبهم. (١) و كان يحتكر الطعام على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (٢) و عن المامقاني: نقل الطبرى:

أنه كان عثمانيا متصلبا تلكأ عن على (٣)، و لم يشهد شيئا من حروبه (٤).

و إذن فمن الطبيعى أن يروى الزبير بن بكار، و مصعب بن عبد الله، (٥) و هما لا- شك فى كونهما زبيرى الهوى: أنه لم يولد فى جوف الكعبه سواه، و ذلك على خلاف جميع الأخبار المتواتره، و مخالفه لكل من نص على أنه لم يولد فيها سوى أمير المؤمنين (عليه السلام) لا قبله و لا بعده؟!.

تجديد بناء الكعبه أعزها الله تعالى:

و يقولون: إن الكعبه قد جاءها سيل جارف تجاوز الردم، الذى كان قد وضع ليمنع من مثل ذلك؛ فدخلها، و صدع جدرانها.

و يقال أيضا: إنها كانت قد احترقت حينما أرادت إحدى النساء تبخيرها فطارت شراره إلى ثياب الكعبه فاحترقت جدرانها (٦). ثم جاء السيل بعد ذلك فزاد فى تصدعها حتى خاف الناس عليها.

و يرى البعض: أن هذا الحريق كان فى زمان ابن الزبيرى.

١- الإصابه ج ١ ص ٣٤٩، و الاستيعاب ج ١ ص ٣٢٠ هامش الإصابه.

٢- وسائل الشيعة كتاب التجاره ص ٣١٦.

٣- قاموس الرجال ج ٣ ص ٣٨٧ عن تنقيح المقال.

٤- قاموس الرجال ج ٣ ص ٣٨٧.

٥- راجع: الإصابه ج ١ ص ٣٤٩، و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٣.

٦- مصنف عبد الرزاق ج ٥ ص ٣١٩، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٣٠٠ كلاهما عن الزهرى.

و رفع الحلبي التنافي باحتمال حصول الحريق مرتين (١).

و نحن نقول: انه يبدو أن دعوى احتراقها على هذا النحو الاتفاقي، إنما صيغت للتخفيف من الامتعاض الناشئ من جراء الامويين على بيت الله الحرام، حيث إنها قد تصدعت حينما ضربت بالمنجنيق و بالنار من قبلهم، و تركها ابن الزبير ليراها الناس محترقة، يحرضهم على أهل الشام (٢).

و مهما يكن من أمر. فقد اتفقت قريش قبل بعثه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) على هدمها، و إعادته بنائها، و أن يرفع بابها، حتى لا يدخلها إلا من شأوا، و أعدوا لذلك نفقه طيبه، ليس فيها مهر بغى، و لا بيع ربا، و لا مظلمه مما اخذوه غصبا، أو قطعوا فيه رحما، أو انتهكوا فيه حرمة، أو ذمه (٣).

و بدأت كل قبيله تجمع الحجارة على حده، و يقولون: إنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد شارك في جمع الحجارة. و كان أول من جرائهم على هدمها هو الوليد بن المغيرة.

و تجزأت قريش الهدم و البناء، لكل قبيله شق، وجهه معينه. و قد اختلف المؤرخون في اختصاصات هذه القبائل بتلك الجهات ١.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤١.

٢- صحيح مسلم هامش القسطلاني ج ٦ ص ١٨، و الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٢٤ ط صادر و ذكر في الكامل عن البخاري قولاً آخر، و هو أنها احترقت في زمن ابن الزبير، بسبب نار أوقدها أصحابه حولها. و أقول الظاهر أن الأمويين أرادوا رد التهمه في جنائتهم على ابن الزبير و أصحابه.

٣- سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٠٦ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٣٠١، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤١.

و الأجزاء (١). و لا مجال لتأكيد أو نفى أى من الأقوال فى ذلك، و لا سيما فى موارد كهذه، يجهد فيها كل فريق أن ينيل من يميل إليهم بعض الشرف، و مواقف الكرامه.

و أما عن تاريخ بناء البيت فقد اختلفت كلمات المؤرخين فيه، فهذا يقول: إن بناءه كان حين بلوغه (صلى الله عليه و آله و سلم) الحلم، أى بعد الفيل ب ١٥ سنه (٢). و آخر يقول: إنه بنى بعد الفيل بخمس و عشرين سنه (٣). و ثالث يقول: إنه كان بعد الفيل بخمس و ثلاثين سنه، أى قبل البعثة بخمس سنين (٤).

و لعل هذا الأخير هو الأشهر:

وضع الحجر الأسود:

و لما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا: كل قبيله تريد هى أن تنال شرف رفعه إلى موضعه. و كاد أن يؤدى الامر بهم إلى السيف، حتى جاء بنو عبد الدار، و بنو عدى بإناء فيه دم؛ فوضعوا أيديهم فيه، و معهم بنو سهم، و بنو مخزوم (٥)، و تحالفوا على الموت، فسموا:

(لعهه الدم) (٦). حتى أشار أبو أميه بن المغيره- و الد أم سلمه، أم ٣.

١- راجع: سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٠٧، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٣٠٢، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٤.

٢- مصنف عبد الرزاق ج ٥ ص ٣١٨، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٣٠٠ عن الزهرى

٣- البدايه و النهايه ج ٢ ص ٣٠٠ عن موسى بن عقبه، عن مجاهد، و عروه و محمد بن جبير بن مطعم، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٩ عن تاريخ يعقوب.

٤- السيره النبويه لابن هشام ج ١ ص ٢٠٤، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٣٠٠.

٥- شرح النهج للمعتزلى ج ١٤ ص ١٢٩.

٦- السيره النبويه لابن هشام ج ١ ص ٢٠٩، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٣٠٣.

المؤمنين، و أحد أجواد قريش. و يقول البلاذرى: أبو مهشم بن المغيرة بأن يحكموا أول داخل عليهم من باب السلام، و هو باب بنى شيبه، أو من باب الصفا على الاختلاف.

فكان الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) أول داخل. فلما رأوه قالوا: هذا الامين، رضينا، هذا محمد.

و يقول البعض: إنهم كانوا يتحاكمون إلى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فى الجاهليه؛ لأنه كان لا يدارى، و لا يمارى (١).

فلما أخبروه بالأمر طلب ثوبا، أو بسط إزاره- على الاختلاف- ثم أخذ الحجر؛ فوضعه فيه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيله بناحيه من الثوب، ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، فلما حاذوا موضعه أخذه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بيده الشريفه، فوضعه مكانه.

ملاحظات هامه:

١- إن بنى عبد الدار، و معهم بنو سهم، و مخزوم و عدى قد جاؤا بالدم، فوضعوا أيديهم فيه، و تحالفوا على الموت. و نجد فى مقابل ذلك:

أن بنى عبد مناف قد جاؤا بالغاليه- و هى نوع من الطيب- فوضعوا أيديهم فيها، حينما تحالفوا زمن قصى فى مقابل بنى عبد الدار؛ فسموا حلف المطيين.

و لبنى عبد مناف حلف آخر هو اكرم و أشرف حلف سمع به فى العرب (٢)، و هو حلف الفضول الذى أمضاه الاسلام، حسبما تقدم. و كان فى مقابلهم حلف الاحلاف، من قبل بنى عبد الدار، و سهم، و جمح، و مخزوم، و عدى، و لا يقصد فى حلفهم إلا الشرف الدنيوى، و لو أريقتم الدماء، و ازهقت النفوس.١.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٥.

٢- البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٩١.

و لعل هذا يعكس بوضوح الفرق بين الاتجاهين، و نوعيه التفكير، و مستوى الوعي، و النظرة للحياه لدى كل من الفريقين.

و لا نبالغ إذا قلنا: إن من الممكن أن نفهم من مراجعه كتب التاريخ و الانساب: أن بنى عبد مناف، و لا سيما آل أبى طالب كانوا هم رجالات الاسلام، و الهداه إلى الحق، و المجاهدين فى سبيل الدين.

بينما نجد بنى عبد الدار، و المتحالفين معهم أقل تحمسا للدين، و توضحيه فى سبيله، بل و يكتر فيهم المناوؤون له، و الحاقدون عليه.

٢- إن اشتراط قريش: أن تكون نفقه الكعبه طيبه، لا- ربا فيها، و لا مظلمه لأحد الخ .. إن دل على شىء فإنما يدل و لا شك على شعور حقيقى بقبح هذه الامور، و عدم رضا الله و الوجدان بها.

و قد يفسر ذلك أيضا باقتضاء الفطره لذلك، و حكم العقل بقبحه.

و نحن،، و إن كنا نعترف بأن ذلك كذلك. بل إن كل احكام الدين موافقه للفطره، و لأحكام العقل، إلا أننا لا بد و أن نضيف هنا: أنه يدل أيضا على بقاء شىء من تعاليم الحنيفيه فيهم، خصوصا عند قريش، و بنى عبد مناف، و لذلك يلاحظ كثره الاشارات إلى دين ابراهيم، و ما يدل على ايمانهم بالله فى كلمات عبد المطلب، و أبى طالب (عليهم السلام) كثير.

و ما الخطبه التى ألقاها أبو طالب حينما طلب يد خديجه للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) عنا ببعيده.

٣- إن ما تقدم يدل على أن أهل مكه كانوا يتعاملون بالمنطق القبلى حتى فى تعاونهم على بناء البيت، و حمل الحجاره له، و هو أقدس مقدساتهم، و رمز عزهم و مجدهم و كرامتهم. بل و عليه تقوم حياتهم. و إن تحالف لعقه الدم حين الاختصام فيمن يرفع الحجر إلى موضعه، ليعتبر الذروه فى هذا الأمر، الذى يمجه الذوق، و تنبو عنه الفطره، و يرفضه العقل السليم.

٤- و بعد هذا، فإن ما يلفت نظرنا: هو فرح قريش حينما رأوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أول داخل عليهم، ثم وصفهم له بأنه (الأمين)، مما يعنى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحتل مكانه خاصه فى نفوس الناس فى مكه، حيث تسكن قريش سيده القبائل العربيه كلها، حتى إنهم كانوا يحكّمونه فى كثير مما كان يشجر بينهم، و يضعون كل ثقتهم فيه، حتى لقبوه ب (الأمين). بل اننا نجد:

فى كلمات أبى طالب المتقدمه، خير شاهد على مكانته (صلى الله عليه وآله وسلم)، و علو منزلته، و شرفه، و سؤوده.

و فى موقف أميه بن خلف فى غزوه بدر دلالة على ذلك أيضا (١) فراجع.

خرافه انحلال الازار:

هذا، و بعد كل ما تقدم، فإننا نواجه هنا اكذوبه مفضوحه، ليس الهدف منها إلا الحط من كرامه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و الاساءه لمقامه الاقدس، من أولئك الذين لما يدخل الايمان فى قلوبهم، و لم يسلموا و انما استسلموا، و أقسموا على العمل على دفن ذكر محمد، و طمس اسمه و دينه. و لكن الله يأبى إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون.

و تلك الاكذوبه التى هى واحده من مئات امثالها، مما تقشع له الابدان، و يشتد له غضب الرحمان، هى التاليه:

روى الشيخان، و غيرهما من المؤلفين فى التاريخ و الحديث، ممن تجمعهم معهما رابطة الدين، و السياسه، و الصنعه- و النص للبخارى:-

(أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ينقل معهم الحجارة للكعبه، و عليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا بن أخي لو حلت إزاركه.

١- سيأتى ذلك فى أوائل غزوه بدر إن شاء الله.

فجعلت على منكبيك دون الحجارة؟ ..

قال: فحلّه، فجعله على منكبيه؛ فسقط مغشيا عليه. فما رأى بعد ذلك عريانا (١).

و في روايه أخرى للبخارى في كتاب الحج: (فخر إلى الأرض، فطمحت عيناه، فقال: أرني ازاري، فشدّه عليه).

و نحن لا نشك أن ذلك مختلق و مفتعل، و نكتفى بالاشارة هنا إلى ما يلي:

أولاً: إن ثمة تناقض ظاهر بين هذه الروايات، الامر الذي يذكرنا بالمثل المشهور: (لا حافظه لكذوب). و كمثال على ذلك نذكر:

أن روايه تقول: إن تعريه صلى الله عليه و آله وسلم كان و هو صغير، حينما كان يلعب مع الصغار، و كلهم قد تعرى، و هم أيضا ينقلون الحجارة للعب، فلكمه لاكم لا يراه، و قال: شد عليك إزارك (٢).

و في أخرى: أن ذلك كان حينما كان عمه أبو طالب يصلح زمزم، فأمر بالستر، من قبل متكلم لا يراه (٣).٢.

١- البخارى، باب كراهيه التعرى في الصلاه ط سنه ١٣٠٩ ج ١ ص ٥٠ ص ١٨١ و ج ٢ ص ٢٠٣، و صحيح مسلم ط سنه ١٣٣٤ هـ ج ١ ص ١٨٤، و مسند أحمد ج ٣ ص ٢٩٥ و ٣١٠ و ٣٣٣، و ج ٥ ص ٤٥٤ و ٤٥٥، و المصنف ج ٥ ص ١٠٣ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٨٧ عن الصحيحين و عن البيهقي. و راجع: مرآه الجنان ج ١ ص ١٩ و الغدير ج ٩ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ عن البخارى و مسلم و عن السيره النبويه لابن هشام ج ١ ص ١٩٧.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٢ و فتح البارى ج ٧ ص ١١١ عن ابن إسحاق و سيره ابن هشام ج ١ ص ١٩٤ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٨٧.

٣- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٢ و ١٢٢.

و ثالثه تذكر: أن ذلك كان حين بناء البيت، و هى المتقدمه. و معنى ذلك أن عمره كان ٣٥ سنه.

و نوع آخر من الاختلاف، و هو: أن النمره قد ضاقت عليه، فذهب يضعها على عاتقه، فبدت عورته، لصغر النمره؛ فنودى: يا محمد، خمر عورتك. فلم ير عريانا بعد ذلك (١).

و أخرى تقول: إن العباس طلب منه أن يضع إزاره عن عاتقه (٢).

و روايه تقول: صرع. و أخرى: لكم، و ثالثه: اغمى عليه. إلى آخر ما هنالك من وجوه الاختلاف.

طريق جمع فاشل:

و قد حاول العسقلانى و الحلبي الجمع بين الروايات:

فقال العسقلانى: إن النهى السابق لم يكن يفهم منه الشمول لصوره الاضطراب العادى. و حين بناء البيت اضطر إلى ذلك، فرأى أن لا مانع من التعرى حينئذ (٣).

و هكذا يبذل هؤلاء المحاولات لإثبات هذا الأمر الشنيع على الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله و سلم)، لأن ذلك قد ورد فى صحيح البخارى، و هو الكتاب المقدس عندهم، بل هو أصح شىء بعد القرآن.

بل إن القرآن فيه تحريف و نسخ للتلاوه و غيرها عندهم. أما البخارى فيجل عن ذلك!! ١.

١- مسند أحمد ج ٥ ص ٤٥٥، و مصنف عبد الرزاق ج ٥ ص ١٠٣.

٢- ربما يجاب عن ذلك بأن العباس حين رأى ضيق النمره طلب منه ذلك فأجاب، فنودى.

٣- فتح البارى ج ١ ص ٤٠١.

مع أنه قد فات العسقلاني هنا: أنه قد جاء في روايه أبي الطفيل:

(فما رؤيت له عوره قبل ولا بعد) (١).

هذا كله عدا عن أنه هو نفسه يذكر: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان مصوناً عما يستقبح قبل البعثه و بعدها (٢)

ثم جاء الحلبي، وقال: إن من الممكن أن تكون عورته صلى الله عليه وآله وسلم قد انكشفت، لكن لم يرها أحد حتى العباس (٣).

ولكن ما يصنع الحلبي بعباره البخاري، وغيره، والتي تنص على أنه: ما رؤى بعد ذلك عريانا.

وعباره أبي الطفيل: ما رثيت له عوره قبل ولا بعد.

و ثانياً: و مما يكذب ذلك: ما ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) -و كأنه تنبأ عما سوف يقال زوراً، و بهتاناً عنه-: من كرامتي على ربي: أن أحدا لم يرعورتى. أو ما هو قريب من هذا (٤).

و ثالثاً: لقد قال عنه أبو طالب (عليه السلام)، قبل بناء البيت بعشر سنوات: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يوزن برجل إلا رجح به، و لا يقاس به أحد إلا و عظم عنه الخ. فكيف إذن يقدم هذا الرجل العظيم على التعرى أمام الناس، حين حملة الحجارة للكعبه؟!.

و رابعاً: إن ثمة روايات تفيد: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ٩.

١- فتح الباري ج ٧ ص ١١١.

٢- فتح الباري ج ١ ص ٤٠١.

٣- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٢.

٤- السيره الحلبيه ج ١ ص ٥٣ و ٥٤ و ١٤٢. و كنز العمال ج ١٢ ص ٨٣ عن الطيالسي و الخطيب و ابن عساكر، و الطبراني و تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ٣٥٠ و المعجم الصغير ج ٢ ص ٥٩.

مصوناً من رؤيه عورته حتى بالنسبه لأزواجه؛ فعن عائشه: ما رأيت عوره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قط، أو نحو ذلك (١).

و إن كانت قد عادت فذكرت: أن زيد بن حارثه قرع الباب، فقام إليه رسول الله يجر ثوبه عريانا، قالت: (و الله ما رأيت عريانا قبله و لا بعده، فاعتنقه، و قبله) (٢).

لكن نضا آخر يقول: (فما رأيت جسمه قبلها) (٣). و هذا هو الأقرب إلى الصواب، بملاحظه ما قدمناه و ما سيأتى.

و خامسا: فى حديث الغار: أن رجلا كشف عن فرجه، و جلس يبول، فقال أبوبكر: قد رأنا يا رسول الله، قال: لو رأنا لم يكشف عن فرجه (٤).

و هذا يدل على أن المشركين كانوا يستبجحون أمرا كهذا، و لا يقدمون عليه؛ فكيف فعله الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! (سلم)

و سادسا: لقد روى أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان أشد حياء من العذراء فى خدرها (٥)، فهل العذراء الخجول تستسبح لنفسها التعرى أمام الناس.م.

١- الشفاء لعياض ج ١ ص ٩٥ و شرحه للقارى عن ابن ماجه، و الترمذى فى شمائله و حياه الصحابه ج ٢ ص ٦١١ عن الترمذى فى الشمائل ص ٢٦، و لسان الميزان ج ٢ ص ٩ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٤٢. و سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦١٩ و راجع: صيد الخاطر ص ٤٨١ و المعجم الصغير ج ١ ص ٥٣.

٢- حياه الصحابه ج ٢ ص ٥٤٤/٥٤٥ عن الترمذى ج ٢ ص ٩٧ و قال: حسن غريب.

٣- صيد الخاطر ص ٤٨١.

٤- فتح البارى ج ٧ ص ١٠، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣٧، و البحار ج ١٩ ص ٧٨ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١١١.

٥- راجع الغدير ج ٩ ص ٢٨١، و عن البخارى و مسلم.

و سابعا: عن ابن عباس: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يغتسل وراء الحجرات، و ما رأى أحد عورته قط (١).

و ثامنا: و قد عد من خصائصه (صلى الله عليه وآله وسلم): أنه لم ترى عورته قط، و لو رآها أحد لطمست عيناه (٢).

فلماذا لم تطمس عينا العباس، الذى كان حاضرا و ناظرا، و شدّ عليه إزاره، و كذا أعين سائر من رآه حين بناء البيت؟! و كذلك لماذا لم تطمس أعين رفقاءه الصغار، الذين رأوا منه ذلك و هم يلعبون؟! فإن كانوا قد رأوا، فاللازم هو طمس أعينهم، و إن لم يكونوا قد رأوا، فلماذا هذا الكذب و الافتراء، و سوء الادب، و الجرأه على مقام النبى الاقدس (صلى الله عليه وآله وسلم)، و التفوّه بما يتنافى مع شرفه، و علو منزلته و كرامته، و سوءه، و تسديد الله له. نعوذ بالله من الخذلان، و من وساوس الشيطان.

و تاسعا: و أخيرا، لقد روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله:

ليس للرجل أن يكشف ثيابه عن فخذيه، و يجلس بين قوم (٣).

فكيف اذن يكشف النبى الاعظم عورته أمام الناس يا ترى؟

و أخيرا، فإن ثمة نصوصا أكثر شناعه و قباحه من ذلك، نجلّ مقام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الاقدس عن ذكرها.

نوبى حجر!!

و بالمناسبه، فإن أمثال هذه الافتراءات قد تعدت نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى نبى الله موسى (عليه السلام) و لكن بنحو أكثر شناعه، و أشد قباحه، ٦.

١- الغدير ج ٩ ص ٢٨٨ عن شرح المواهب للزرقانى ج ٤ ص ٢٨٤، و عن فتح البارى ج ٦ ص ٤٥٠.

٢- الشفاء للقاضى عياض ج ١ ص ٩٥ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢١٤.

٣- البحار ج ٧٥ ص ٤٦٦.

حيث نسبت ذلك إلى فعل الله سبحانه به.

فلقد روى البخارى وغيره: أن بنى اسرائيل اتهموا موسى بأنه آدر (أى مصاب بانتفاخ فى خصيته بسبب الفتق) فنزع ثوبه، و وضعه على حجر و اغتسل. فلما أراد أن يأخذ ثوبه عدا الحجر بثوبه؛ فأخذ موسى عصاه، و طلب الحجر، فجعل يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر، حتى نظرت بنو اسرائيل إلى موسى، فقالوا: و الله ما بموسى من بأس، و أخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضربا.

قال أبو هريره: فو الله، إن بالحجر لندبا: ثلاثا، أو اربعا، أو خمسا، فذلك قوله تعالى: لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى، فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا، وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (١).

و لا ندرى كيف لم يلتفت موسى إلى نفسه، حتى بلغ مجالس بنى اسرائيل؟!، و ما هو الذى أفقده صوابه حتى خرج عن حياته و سجيته، التى ذكرتها الروايه: أنه كان حيا ستيرا لا يرى من جلده شىء استحياء منه!.

و لا ندرى ما هى حقيقه هذا الحجر العبرى! الذى يهرب من موسى، و يتركه يعدو خلفه؟! و لا ندرى كذلك كيف التفت موسى إلى عصاه قبل أن يلحق بالحجر، و ما الذى خطر فى باله آنئذ!.

و إذا لم يكن الحجر مأمورا، فما الذى جعله يقوم بهذه العمليه، ٣.

١- البخارى ط سنه ١٣٠٩ ج ١ ص ٤٠ و ج ٢ ص ١٥٨، و مسند أحمد ج ٢ ص ٣١٥ و الدر المنثور ج ٥ ص ٢٢٣ عنه و عن عبد الرزاق، و أحمد، و عبد بن حميد، و الترمذى، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و ابن مردويه و ابن الأنبارى فى المصاحف، و البزار، و الحاكم و صححه، و ابن أبى شيبه، عن أبى هريره، و أنس، و ابن عباس، و تفسير الميزان ج ١٦ ص ٣٥٣، و تفسير القمى ج ٢ ص ١٩ بسند حسن و لكن نسبه التفسير إلى القمى مشكوك فيها و مشكل الآثار ج ١ ص ١١ و تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٠٩ و تفسير البرهان ج ٣ ص ٣٣٩. و كشف الأستار ج ٣ ص ٦٦ و مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩٣.

و يخرججه عن وضعه الطبيعي؟!، و إذا كان مأمورا، فلماذا لم يدرك موسى ذلك بمجرد تحرك الحجر بثوبه الذى هو أمر خارق للعادة؟. هذا مع كونه يناديه و يخاطبه، حتى كأنه عاقل مدرك لما يقول!!

و أخيرا، فإننى لا أدرى ما هو ذنب هذا الحجر، حتى استحق هذا الضرب الوجيع الذى أثر فيه و جعل فيه ندبا؟! و لماذا لم يعين لنا عدد تلك الندب، فذكرت على نحو الترديد: ثلاثا، أو أربعا، أو خمسا؟! و فى بعض الروايات: ستا، سبعا؟!.

و إذا كان أبو هريره قد بلغ به النسيان هذا الحد، فكيف استطاع أن يحفظ تلك التفاصيل الدقيقه للقصة نفسها؟!.

ثم كيف استطاع أن يحفظ هذه الآلاف المؤلفه من الاحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟!.

هذا و تحسن الإشاره هنا إلى أنه لا يرد كثير مما ذكرنا، على روايه القمى التى لم تذكر عصاه، و مناداته، و ضربه للحجر. و لعلها أقرب إلى الاعتبار من تلك الروايه البخاريه.

و قد جاء أن آيه ايداء موسى، قد نزلت فى طعن بنى اسرائيل على موسى بسبب هارون: لأنه توجه معه إلى زياره، فمات هارون؛ فدفنه موسى؛ فاتهمه بعض بنى اسرائيل بقتله، فبرأه الله تعالى بأن أخبرهم جسد هارون بأنه مات و لم يقتل (١).

حياء عثمان:

هذا، و لا بأس بالمقارنه بين ما يذكر هنا عن نبينا الاعظم (صلى الله ٢).

١- فتح البارى ج ٦ ص ٣١٣ عن ابن مردويه و الطحاوى، و ابن منيع بسند حسن، و الدر المنثور ج ٥ ص ٢٢٣ عن هؤلاء و عن ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الحاكم، و صححه عن ابن عباس، و مشكل الآثار ج ١ ص ١٢.

عليه وآله وسلم) وبين ما يذكر عن حياء عثمان، حتى إن أبابكر، و عمر ليدخلان على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، و فخذته مكشوفه، فلا يسترها، حتى إذا دخل عليه عثمان جلس، و ستر فخذته، و سوى عليه ثيابه؛ فتسأله عائشه؛ فيجيبها بأنه: ألا يستحي من رجل تستحي منه الملائكه؟ أو ما هو قريب من هذا (١).

هذا، مع أن هذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه يأمر و يؤكد باستمرار بالحياء، و يحث عليه، فيقول: إذا لم تستح، فاصنع ما شئت.

و يقول: الحياء من الايمان، و الايمان فى الجنة. إلى غير ذلك من النصوص الكثيره عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) و لا مجال لتتبعها.

كما أن أبا سعيد الخدرى قد وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه: أشد حياء من العذراء فى خدرها (٢).

و أيضا، فإنهم ينقلون عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): أنه أمر رجلا.

١- مجمع الزوائد ج ٩ ص ٨٢، و البدايه و النهايه ج ٧ ص ٢٠٢ عن الطبرانى فى الكبير، و الأوسط، و مسند أحمد، و أبى يعلى، و تاريخ جرجان ص ٤١٦، و المصنف ج ١١ ص ٢٣٢/٢٣٣ و المحاسن و المساوى ج ١ ص ٦١ و حياه الصحابه ج ٢ ص ٦١١ و ٦١٢ عن الأولين و مشكل الآثار ج ٢ ص ٢٨٣/٢٨٤، و مسند أحمد ج ١ ص ٧١ و ج ٦ ص ٦٢ و ١٥٥ و ١٦٧ و صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٦/١٧٧، و الغدير ج ٩ ص ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٨٧ و ص ٢٩٠ عن الأخيرين و عن: مصابيح السنه ج ٢ ص ٢٧٣، و الرياض النضرة ج ٢ ص ٨٨ و راجع: تأويل مختلف الحديث ص ٣٢٣ و التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٣٨٣ و ٣٨٤ و فيه أحاديث أخرى عن حياء الملائكه من عثمان و مسند أبى يعلى ج ٧ ص ٤١٥.

٢- البدايه و النهايه ج ٦ ص ٣٦، و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧، عن الطبرانى بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح، و صحيح مسلم ج ٧ ص ٨٧، و الغدير ج ٩ ص ٢٨١ عن البخارى باب صفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم و عن مسلم، و حياه الصحابه عن بعض من تقدم و عن الترمذى ص ٢٦.

بستر فخذة؛ فإنها من العوره (١).

و أما ما يدل على أن ما بين السره و الركبه عوره، فكثير أيضا (٢).

و عن حياء أبي موسى و أبي بكر، و الخدرى (٣) هناك نصوص لا مجال لإيرادها فعلا.

و قد قال العلامة الامينى: (هب أن النهى عن كشف الأفخاذ تنزيهى، إلا أنه لا شك فى أن سترها أدب من آداب الشريعة، و من لوازم الوقار، و مقارنات الأبهاء، و رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أولى برعايه هذا الأدب، الذى صدع به هو الخ) (٤).

أهل الكتاب، و تعزى الانبياء:

و لا بد أن نشير أخيرا إلى أننا نجد لهذا الأمر أصلا عند أهل الكتاب، ٥.

١- مسند أحمد ج ٥ ص ٢٩٠ و ج ١ ص ٢٧٥، و صحيح البخارى ج ١ ص ٥١ و سنن البيهقى ج ٢ ص ٢٢٨، و الإصابه ج ٣ ص ٤٤٨، و فتح البارى ج ١ ص ٤٠٣، و نيل الأوطار ج ٢ ص ٥٠، و مستدرک الحاكم ج ٤ ص ١٨٠ / ١٨١، و مجمع الزوائد ج ٢ ص ٥٢ عن أحمد و الطبرانى فى الكبير و الغدير ج ٩ ص ٢٨٢ فما بعدها عن من تقدم و عن إرشاد السارى، و ابن حبان فى صحيحه و ليراجع: موطأ مالك، و الترمذى، و أبو داود، و مشكل الآثار ج ٢ ص ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و حتى ص ٢٩٣. و المصنف ج ١١ ص ٢٧ و تأويل مختلف الحديث ص ٣٢٣ / ٣٢٤.

٢- راجع: الغدير ج ٩ ص ٢٨٥، و ٢٨٤، و ٢٨٨، و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢. و المعجم الصغير ج ٢ ص ٩٦. و حياه الصحابه ج ٢ ص ٦١٢ / ٦١٣ تجد كثيرا من أقوال العلماء و النصوص حول ذلك.

٣- راجع: طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١١٣ و ١١٤ و الزهد و الرقائق ص ١٠٧ و ربيع الأبرار ج ١ ص ٧٦٠ و حياه الصحابه ج ٣ ص ٤٨٢ عن كنز العمال ج ٨ ص ٣٠٦ و ج ٥ ص ١٢٤ و عن حليه الأولياء ج ١ ص ٣٤، و الغدير ج ٧ ص ٢٤٨ و ج ٩ ص ٢٨١.

٤- الغدير ج ٩ ص ٢٨٥.

فلعل الخطه الأمويه الملعونه قد استفادت أصل هذا الموضوع من أهل الكتاب!!

فقد جاء فى أخريات العشرين من أشعيا: أن الله أمر نبيه أشعيا: أن يمشى عريانا و حافيا بين الناس ثلاث سنين، ليبلغ الناس، و يقول لهم: هكذا يسوق ملك آشور سبى مصر، و جلاء كوش الفتيان و الشيوخ عراه و حفاه، و مكشوفى الاستاه، خزيا لمصر.

و جاء فى تاسع التكوين الفقره (٢١): و شرب نوح من الخمر فسكر، و تعرّى داخل جنانه.

و فى صموئيل الأولى، الاصحاح التاسع عشر، الفقره ٢٣/٢٤: (فكان يذهب و يتنبأ، حتى جاء نايوت فى الرامه، فخلع هو أيضا ثيابه، و تنبأ هو أيضا أمام صموئيل، و انطرح عريانا ذلك النهار كله، و كل الليل، لذلك يقولون:

أشاول أيضا بين الأنبياء).

ولاده فاطمه بنت الرسول صلى الله عليه و آله وسلم :

يذكر البعض: أن فاطمه الزهراء (عليها السلام)، بنت الرسول الا-كرم (صلى الله عليه و آله و سلم)، قد ولدت قبل البعته، ثم يختلفون- أولئك البعض- فيما بينهم فى تحديد سنه ولادتها، فبعضهم يقول: إنها ولدت سنه بناء الكعبه، أى قبل البعته بخمس سنين (١).

و بعضهم يقول: إنها ولدت قبل البعته بسبع سنين (٢)؛ و قيل (٣):ن.

١- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٧، و ذخائر العقبى ص ٥٢ و مقاتل الطالبين ص ٤٨، و سيره مغلطای ص ١٧ عن ابن الجوزى. و البحار ج ٤٣ ص ٩.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٨، و ذخائر العقبى ص ٥٢.

٣- المصدران السابقان.

بائنتى عشره سنه (١).

و القائلون بأنها ولدت بعد البعثه اختلفوا أيضا، بين قائل: إنها ولدت سنه البعثه (٢)، و قيل: فى الثانيه (٣). و قيل: سنه إحدى و اربعين من عمره الشريف (٤).

القول الحق:

و القول الحق هو ما عليه شيعه أهل البيت تبعاً لأئمتهم (عليهم السلام)، و أهل البيت أدرى بما فيه، و تابعهم عليه جماعه من غيرهم،^٥.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٧، و ذخائر العقبى ص ٥٢، و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٩٨ و الاستيعاب هامش الإصابه ج ٤ ص ٣٧٤، و اختاره الحاكم فى المستدرک ج ٣ ص ١٦١.

٢- البحار ج ٤٣ ص ٨ عن إقبال الأعمال، عن حدائق الرياض، للشيخ المفيد رحمه الله و تاريخ الخلفاء: ص ٧٥. و هو مقتضى كلام العسقلانى فى تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٤٤١ حيث قال: إنها تزوجت فى السنه الثانيه من الهجره و عمرها خمسه عشر سنه و خمسه أشهر و نصفاً.

٣- البحار: ج ٤٣ ص ٩، و فى الاستيعاب (بهامش الإصابه): ج ٤ ص ٣٧٤ أنها ولدت سنه إحدى و اربعين من مولد النبى صلى الله عليه و آله وسلم و نهايه الإرب ج ١٨ ص ٢١٣.

٤- فى مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٦٣ ذكر أنها ماتت و عمرها (٢١) سنه و ولدت على رأس (٤١) من مولده صلى الله عليه و آله وسلم. و كذا فى نهايه الارب ج ١٨ ص ٢١٣ و دلائل النبوه للبيهقى ط دار الكتب العلميه ج ٢ ص ٧١ و التبيين فى أنساب القرشيين ص ٩١ و مختصر تاريخ دمشق ج ٢ ص ٢٦٩ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٩٨ و الاستيعاب بهامش الإصابه ج ٤ ص ٣٧٤. و سيره مغلطای ١٧، و البحار ج ٤٣ ص ٨، و ملحقات احقاق الحق للمرعى ج ١٠ ص ١١ عن الثغور الباسمه للسيوطى. و راجع: البصائر و الذخائر ج ١ ص ١٩٣ و راجع تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٠.

و هو أنها قد ولدت فى السنه الخامسه من البعثه، و توفيت و عمرها ثمانيه عشر عاما (١).

و يدل على ذلك، أو يؤيده:

١- ما تقدم فى البحث عن أولاد خديجه، من أن البعض قد ذكر أنهم كلهم قد ولدوا بعد الاسلام باستثناء عبد مناف (٢)، مع العلم بأن فاطمه (عليه السلام) كانت أصغر أولاده (صلى الله عليه وآله وسلم).

و يدل على ذلك: أنه قد ذكر فى الاستيعاب فى ترجمه خديجه: أن الطيب قد ولد بعد النبوه، و ولدت بعده أم كلثوم، ثم فاطمه.

٢- و يدل على أنها قد ولدت بعد البعثه روايات كثيره، أوردها جماعه من العلماء، على اختلاف نحلهم و مشاريهم، تدل على أن نطفها قد انعقدت من ثمر جاء به جبرئيل إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من الجنه، حين الاسراء و المعراج، و ذلك مروى عن عدد من الصحابه، منهم: عائشه، و عمر بن الخطاب، و سعد بن مالك، و ابن عباس، و غيرهم (٣). ج.

١- ذخائر العقبى ص ٥٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٨ نقلا عن الإمام أبى بكر أحمد بن نصر بن عبد الله الدراع فى كتاب تاريخ مواليد أهل البيت و مروج الذهب: ج ٢ ص ٢٨٩، و البحار ج ٤٣ ص ١-١٠ عن الكافى بسند صحيح، و المصباح الكبير، و دلائل الإمامه، و مصباح الكفعمى، و الروضه، و مناقب ابن شهر آشوب، و فى الأخيرين: أنها ولدت بعد البعثه بخمس سنين، و بعد الإسراء بثلاث سنين، و كذا فى كشف الغمه: ج ٢ ص ٧٥، و إثبات الوصيه للمسعودى، و غير ذلك.

٢- راجع: البدء و التاريخ ج ٥ ص ١٦، و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٩٦، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٢.

٣- تجد بعض هذه الروايات فى كتب الشيعه، مثل: البحار ج ٤٣ ص ٤ و ٥ و ٦ عن أمالى الصدوق، و عيون أخبار الرضا، و معانى الأخبار، و علل الشرائع، و تفسير القمى، و الاحتجاج و غير ذلك. و الأنوار النعمانيه ج ١ ص ٨٠. و فى كتب غيرهم مثل: المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٥٦، و تلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه)، و نزل الأبرار: ص ٨٨، و الدر المنثور: ج ٤ ص ١٥٣، و تاريخ بغداد: ج ٥ ص ٨٧، و المناقب لابن المغازلى: ص ٣٥٧. تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٧٧، و ذخائر العقبى ص ٣٦ و لسان الميزان ج ١ ص ١٣٤ و اللآلى المصنوعه ج ١ ص ٣٩٢-٣٩٤، و نقله النجفى فى ملحقات إحقاق الحق ج ١ ص ١٠-١٠ عن بعض من تقدم و عن ميزان الاعتدال و الروض الفائق، و نزله المجالس، و مجمع الزوائد، و كنز العمال، و منتخبه، و محاضره الأوائى. و مقتل الحسين للخوارزمى، و مفتاح النجاه، و المناقب لعبد الله الشافعى، و إعراب ثلاثين سوره، و اخبار الدول. و ستأتى بغيه المصادر حين الكلام حول تاريخ الإسراء و المعراج.

و إذا أمكنت المناقشه فى بعض تلك الروايات فإن البعض الآخر لا مجال للنقاش فيه.

و يؤيد ذلك أيضا: أن النسائي قد روى: أنه لما خطب أبو بكر و عمر فاطمه ردهما (صلى الله عليه و آله و سلم)، و قال لهما: إنها صغيره (١). فلو كان عمرها سبع عشره سنه أو أكثر، فلا يقال: إنها صغيره.

و يؤيده أيضا: ما روى من أن خديجه رحمها الله كانت قد هجرتها نساء قريش، فلما حملت بفاطمه كانت تحدثها من بطنها، و تصبرها (٢).

بقى أن نشير إلى أن استبعاد حمل خديجه بفاطمه فى السنه الخامسه من البعته؛ لأن سن خديجه كان حينئذ عاليا- هذا الاستبعاد-

فى غير محله؛ لما تقدم، من أن سن خديجه حينئذ كان ما بين ٤٥ حتى ٥٠ سنه بناء على عدد من الأقوال فى مقدار عمرها، و لعل من بينها ما هو الأقوى، و إن كان المشهور خلافه. ٢.

١- راجع: خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب: ص ١١٤، و المناقب لابن شهر اشوب: ج ٣ ص ٣٤٥، و تذكره الخواص: ص ٣٠٦ / ٣٠٧.

٢- البحار ج ٤٣ ص ٢.

و حتى على هذا المشهور؛ فإن عمر خديجه حينئذ كان لا يأبى عن الحمل؛ فإن القرشيه يستمر حيضها إلى الستين، كما هو مقرر في الفقه.

و هذا يعنى أن قابليه الحمل موجوده أيضا، كما هو ظاهر.

و مما ذكرناه، و من قول المصباح: (و العامه تروى: أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين) (١)، نعرف: أن المسعودى قد اشتبه في نسبه القول بالتسع و العشرين إلى أكثر أهل البيت و شيعتهم (٢). و لعله سهو من قلمه، أو عمد أو سهو من النساخ، بحيث كان في الاصل تسع عشره، فبدل إلى تسع و عشرين.

و بعد كل ما تقدم؛ فإنه إذا كانت فاطمه قد ولدت في السنه الخامسه من البعث؛ فإنها تكون قد توفيت و عمرها ثمانيه عشر عاما فقط، كما هو ظاهر.٠.

١- البحار ج ٤٣ ص ٢ و ليراجع حتى ص ١٠

٢- التنبيه و الإشراف ص ٢٥٠.

ص: ١٨٤

الفصل الخامس: بحوث تسبق السيره

اشاره

البحث الأول: إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم (ع):

إشاره

قالوا: إن كلمه الاماميه قد اتفقت على أن آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، من آدم إلى عبد الله كلهم مؤمنون موحدون (١). بل و يضيف المجلسى قوله: (... بل كانوا من الصديقين، إما انبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، و لعل بعضهم لم يظهر الاسلام، لتقيه، أو لمصلحه دينيه). (٢).

و يضيف الصدوق هنا: أن أم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آمنه بنت وهب كانت مسلمه أيضا (٣).

و معنى ذلك: هو أنه ليس فى آباء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا الخير و البركه، و هذا هو ما ورثه الرسول عنهم، و يتأكد بذلك.

-
- ١- راجع: أوائل المقالات ص ١٢، و تصحيح الاعتقاد ص ٦٧، و تفسير الرازى ج ٢٤ ص ١٧٣ ط دار الكتب العلميه بطهران و فى طبعه أخرى ج ٤ ص ١٠٣، و البحار ج ١٥ ص ١١٧، و مجمع البيان ج ٤ ص ٣٢٢، و ليراجع البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٨١.
 - ٢- البحار ج ١٥ ص ١١٧.
 - ٣- نفس المصدر.

طهارته (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأرجاس، و الرذائل، حتى ما يكون عن طريق الوراثه، و الناس معادن كمعادن الذهب و الفضه، و هو ما أثبتته العلم الحديث أيضا، حيث لم يبق ثمه أية شبهه فى تأثير عامل الوراثه فى تكوين شخصيه الإنسان، و فى خصاله و مزاياه.

قال ابو حيان الاندلسى: (ذهبت الرفضه إلى أن آباء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا مؤمنين) (١).

أما غير الاماميه، فذهب اكثرهم إلى كفر والدى النبى و غيرهما من آباءه (صلى الله عليه وآله وسلم)، و ذهب بعضهم إلى ايمانهم.

و ممن صرح بايمان عبد المطلب، و غيره من آباءه (صلى الله عليه وآله وسلم)، المسعودى، و يعقوبى، و هو ظاهر كلام الماوردى، و الرازى فى كتابه اسرار التنزيل، و السنوسى، و التلمسانى محشى الشفاء، و السيوطى، و قد ألف هذا الاخير عدّه رسائل لإثبات ذلك (٢).

و فى المقابل قد الف بعضهم رسائل لإثبات كفرهم، مثل ابراهيم الحلبى، و على القارى الذى فصل ذلك فى شرح الفقه الاكبر، و اتهموا السيوطى بأنه متساهل، لا عبره بكلامه، مالم يوافق كلام الائمة النقاد.

و سيأتى فى آخر هذا البحث إن شاء الله تعالى ما يشير إلى السبب فى الإصرار على كفر آباء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و أعمامه).

١- تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٤٧.

٢- رسائل السيوطى، هى التاليه: ١- مسالك الحنفا. ٢- الدرر المنيفه فى الآباء الشريفه. ٣- المقامه السندسيه فى النسبه المصطفويه. ٤- التعظيم و المنه فى أن أبوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنه. ٥- السبل الجليه فى الآباء العليه. ٦- نشر العلمين المنيفين. فى إثبات عدم وضع حديث إحياء أبويه صلى الله عليه وآله وسلم و إسلامهما على يديه صلى الله عليه وآله وسلم.

بعض الأدلة على إيمانهم:

وقد قال الإمامية: إن ثمة روايات كثيرة تدل على إيمان آبائه (صلى الله عليه وآله وسلم)، بالإضافة إلى اجماع الطائفة المحققة، وهذا الإجماع وإن كان معلوم المستند، فلا بد من النظر إلى مستنده نفسه، و مستند ذلك هو الاخبار. و الاحاطه بجميعها متعسر، إن لم يكن متعذرا (١).

و هذا هو الدليل المعتمد.

و قد استدلوا على ذلك ايضا:

١- بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى ارحام المطهرات، حتى اخرجني في عالمكم، و لم يدنسني بدنس الجاهليه). (٢)

و لو كان في آبائه (صلى الله عليه وآله وسلم) كافر، لم يصفهم كلهم بالطهاره، مع قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ). (٣)
إلا أن يكون المقصود هو الطهاره من العهر، أو من الأرجاس و الرذائل، و هو لا يلزم الكفره.

-
- ١- ذكر طائفه منها العلامه المجلسى رحمه الله فى البحار: ج ١٥، و السيوطى فى رسائله المشار إليها، فراجع رساله السبل الجليه: ص ١٠ فما بعدها، و راجع أيضا: السيره الحلبيه، و غير ذلك و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٤ فما بعدها.
 - ٢- مجمع البيان ج ٤ ص ٣٢٢، و البحار ج ١٥ ص ١١٧ و ١١٨ و تفسير الرازى ج ٢٤ ص ١٧٤ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٣٠، و الدر المنثور ج ٥ ص ٩٨، و سيره دحلان ج ١ ص ١٨ و تصحيح الاعتقاد ص ٦٧ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٤ و تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٤٧.
 - ٣- راجع: المصادر المتقدمه.

٢- و استدلووا على ذلك ايضا بقوله تعالى: (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وَ تَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ) (١). لما روى عن ابن عباس، و أبى جعفر، و أبى عبد الله (عليهما السلام): انه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يزل ينقل من صلب نبي إلى نبي.

و يمكن المناقشه فى ذلك أيضا: بأن الآيه تقول: إنه تعالى يراه حال عبادته و سجوده؛ فهو (صلى الله عليه و آله و سلم) فى جملة الساجدين الموجودين فعلا، و غيرهم.

لا أنه يراه و هو يتقلب فى أصلاب الانبياء.

و لو ثبتت الروايه، فيمكن القول بانها لا تدل على استغراق ذلك لجميع آباءه؛ فلعله يرى تقلبه فى أصلاب الانبياء من آباءه، كما يرى تقلبه فى أصلاب غير الانبياء.

هذا، عدا عن أن من الصعب جدا اثبات نبوه جميع آباءه (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى آدم (عليه السلام).

و أما أدله غير الاماميه فقد استقصاها السيوطى فى رسائله المشار اليها، ولكن استعراضها و الاستقصاء فيها نقضا و ابراما يحتاج إلى وقت طويل، و تأليف مستقل.

٣- و يمكن أن يستدل على ايمان آباءه (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى إبراهيم بقوله تعالى، حكاية لقول إبراهيم و إسماعيل: (وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ، وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) (٢)، مع قوله تعالى: ٨.

١- الشعراء ٢١٨ / ٢١٩ و راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ و تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٤٧.

٢- البقره: ١٢٨.

(وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ (١))، أى فى عقب ابراهيم، فيدل على أنه لا بد أن تبقى كلمه الله فى ذريه ابراهيم، و لا يزال ناس منهم على الفطره يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعه. و لعل ذلك استجابه منه تعالى لدعاء ابراهيم الذى قال: (وَاجْتَبِنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٢)) و قوله:

(رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي (٣)).

و واضح أنه: لو أنه تعالى قد استجاب لابراهيم فى جميع ذريته لما كان ابو لهب من أعظم المشركين، و اشد هم على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم). و هذا ما يفسر الاتيان بمن التبعضيه فى قوله: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي).

استغفار ابراهيم (ع) لآبيه:

و قد اعترض على القائلين بايمان جميع آباءه (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى آدم، بأن القرآن الكريم ينص على كفر آزر أبى ابراهيم، قال تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) (٤).

و أجابوا:

أولاً: إن ابن حجر يدعى اجماع المؤرخين على أن آزر لم يكن أباً لابراهيم، و إنما كان عمه، أو جده لأمه، على اختلاف النقل (٥) و إسم أبيه ٠.

١- الزخرف: ٢٨.

٢- ابراهيم: ٣٥.

٣- ابراهيم: ٤.

٤- التوبه: ١١٤.

٥- راجع: السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٣٧، و راجع: الدر المنثور للعاملى: ج ١ ص ١٦٠.

الحقيقى: تاريخ (١)، و انما اطلق عليه لفظ الاب توسعا، و تجوزا و هذا كقوله تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ (٢)). ثم عد فيهم اسماعيل، و ليس من آباءه؛ و لكنه عمه.

و قد ذكر بعض العلماء: أن اسم آزر لم يذكر فى القرآن إلا مره واحده فى أول الأمر، ثم لم يتكرر إسمه فى غير ذلك المورد، تنبيها على أن المراد بالأب: آزر.

و ثانيا: إن استغفار ابراهيم لاييه قد كان فى اول عهده و فى شبابه، مع أننا نجد أن إبراهيم حين شيخوخته، و بعد أن رزق أولادا، و بلغ من الكبر عتيا يستغفر لوالديه، قال تعالى حكاية عنه: رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٣) قال هذا بعد أن وهب الله له على الكبر اسماعيل و اسحاق حسب نص الآيات الشريفه. (٤) مع أن الآيه تفيد: أن الإستغفار الأول قد تبعه التبرؤ مباشرة.

و لكن من الواضح: أن بين الوالد و الأب فرقا، فإن الأب يطلق على المربى و على العم و الجد، أما (الوالد) فإنما يخص الوالد بلا واسطه.

فالإستغفار الثانى إنما كان للوالد، أما الأول فكان للأب.

و ثالثا: إنه يمكن أن يكون ذلك الذى استغفر له، و تبرأ منه، قد عاد إلى الايمان، فعاد هو إلى الاستغفار له.

هذا، ولكن بعض الأعلام (٥) يرى: أن اجماع المؤرخين على أن أبى.

١- الدر المنثور للعاملى: ج ١ ص ١٦٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦.

٢- البقره ١٣٣.

٣- ابراهيم ٤١.

٤- راجع: تفسير الميزان ج ١٢ ص ٧٨ / ٧٩.

٥- هو العلامه المحقق السيد مهدي الروحانى.

ابراهيم ليس آزر منشؤه التوراه، التي تذكر ان اسم أبى ابراهيم هو: (تارخ). ثم ذكر ما استظهرناه نحن أيضا من أن من الممكن أن يكون نفس والد إبراهيم قد كان مشركا يجادله فى الايمان بالله، فوعده بالاستغفار له، و وفى بوعده، ثم عاد فأمن بعد ذلك فكان يدعو له بعد ذلك أيضا حتى فى أواخر حياته هو كما اسلفنا.

و هذا الإحتمال و إن كان واردا حيث لا ملزم لحمل الأب فى القرآن، و الوالد على المجاز.

إلا- أنه ينافى الإجماع و الأخبار؛ فلا- محيص عن الإلتزام بما ذكرناه آنفا من أن المراد بالأب هو العم و المربى، لا الوالد على الحقيقه. مع عدم قبولنا منه قوله: إن استعمال الاب فى العم المربى، يكون مجازا.

ان أبى و أباك فى النار:

روى مسلم و غيره: أن رجلا سأل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): أين أبى؟ فقال: فى النار. فلما قفا دعاه، و قال له: إن أبى و أباك فى النار (١).

و نقول: إن هذا لا يصح.

أولا: لما تقدم. مما يدل على إيمان جميع آبائه (صلى الله عليه و آله و سلم).

و ثانيا: لقد روى هذه الروايه حماد بن سلمه، عن ثابت، عن أنس. ٢.

١- راجع بالإضافه إلى صحيح مسلم: صفه الصفوه ج ١ ص ١٧٢ عن مسلم و الإصابه ج ١ ص ٣٣٧ عن ابن خزيمه، و سنن أبى داود المطبوع مع عون المعبود ج ١٢ ص ٤٩٤، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٨٠ عن مسلم و مسالك الحنفا ص ٥٤ عن مسلم و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٢.

مع أننا نجد: أن معمرًا قد روى نفس هذا الحديث عن ثابت عن أنس، ولكن بنحو آخر لا يدل على كفر أبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد قال له (صلى الله عليه وآله وسلم): (حيثما- أو إذا- مررت بقبر كافر فبشره بالنار (١)).

وقد نص علماء الجرح والتعديل - من اصحاب هؤلاء الرواه- على أن معمرًا أثبت من حماد. وأن الناس قد تكلموا في حفظ حماد، ووقع في احاديثه مناكير، دسها ربيعه في كتبه، وكان حماد لا يحفظ، فحدث بها، فوهم فيها (٢).

و ثالثا: لقد رويت هذه الروايه بسند صحيح على شرط الشيخين عن سعد بن ابى وقاص، و جاء فيها: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار (٣).

و كذا أيضا روى عن الزهرى، بسند صحيح أيضا (٤).

و رابعا: كيف يكون أبواه (صلى الله عليه وآله وسلم)، و أبو طالب، و عبد المطلب، و غيرهم، فى النار حسب اصرار هؤلاء، ثم يكون ورقه بن نوفل، الذى أدرك البعثه، و لم يسلم، فى الجنه عليه ثياب السندس (٥).

و كذلك فان زيد بن عمرو بن نفيل- ابن عم عمر بن الخطاب- فى الجنه يسحب ذيولا، مع أنه مثل ورقه الأنف الذكر (٦). كما أن أميه بن أبى ا.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ٥٠ / ٥١، مسالك الحنفا ص ٥٤ / ٥٥.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ٥١، و مقدمه فتح البارى ص ٣٩٧، و تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٢- ١٥. و مسالك الحنفا ٥٥.

٣- السيره الحلبيه ج ١ ص ٥١ عن البزار، و الطبرانى، و البيهقى، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٨٠. عن البيهقى، و مسالك الحنفا ص ٥٥ عنهم و ص ٥٦ عن ابن ماجه.

٤- مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ١٠ ص ٤٥٤.

٥- سيأتى بعض الحديث عن ورقه حين الكلام على روايات بدء الوحي فانتظر.

٦- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٣٩ و ١٦٨ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٣٧- ٢٤١.

الصلت كاد يسلم فى شعره، و هكذا؟! (١).

و كيف تطرح كل تلك الاحاديث و التواريخ المتضافره، المتواتره الداله على ايمان أولئك، و يتشبهت لايمان هؤلاء بيت شعر، أو بكلمه عابره، لم يتبعها إلا التصميم على النهج الأول؟!

نعم، و كيف لا- يكون لهؤلاء نجاه و يكونون فى النار (٢)، ثم يدخل المشركون الذين عاشوا فى زمن الفتره الجنه؟! فقد ذكر الحلبى و دحلان و غيرهما: أن أهل الفتره لا عذاب عليهم إلا على قول ضعيف، مبنى على وجوب الايمان و التوحيد بالعقل، و الذى عليه اكثر أهل السنه و الجماعه:

أنه لا يجب ذلك إلا بارسال الرسل.

و اطبق الأشاعره فى الاصول، و الشافعيه فى الفقه على أن من مات و لم تبلغه الدعوه مات ناجيا، و يدخل الجنه؛ فعليه أهل الفتره من العرب لا تعذيب عليهم، و إن غيروا، أو بدلوا، أو عبدوا الأصنام، و الاحاديث الوارده بتعذيب من ذكر مؤوله (٣).

و بهذا، و بالاحاديث المتواتره يرد ما زعموه من أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد منع من الاستغفار لأمه رضوان الله تعالى عليها، و إن كنا نحن نعتقد أن أهل الفتره يعذبون إذا قامت عليهم الحجه العقليه أو النقليه إلا القاصرين منهم؛ فان التوحيد يثبت بالعقل لا بارسال الرسل، و إلا، لم يمكن اثبات شىء على الاطلاق، لا التوحيد، و لا النبوه، و لا الدين من الأساس.ى.

١- الأغانى ط ساسى ج ٣ ص ١٩٠.

٢- عون المعبود ج ١٢ ص ٤٩٤، و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٨١ عن دلائل النبوه للبيهقى.

٣- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٣٢ / ٣٣، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٠٦ / ١٠٧، و هذا هو رأى ابن حجر الهيتمى، و المناوى، و السيوطى.

غريبه:

و من غريب الأمر هنا: أن نجد البعض يوجه روايه: إن أبى و أباك فى النار، بأن المقصود هو عمه أبو طالب؛ لأن العرب تسمى العم أباً، و قد كان (صلى الله عليه و آله و سلم) ينسب بالبنوه إلى أبى طالب (١).

و لا ندرى لماذا ترك عمه أباً لهب لعنه الله تعالى. فان كفره مسلم و مقطوع به، و تمسك بالمدافع عنه، و المناصح له، و الباذل مهجته فى سبيل نبيه و دينه- و سوف يأتى إن شاء الله أن ايمان أبى طالب هو المسلم و المقطوع به. بل هو كالنار على المنار، و كالشمس فى رابعه النهار.

و يكفى أن نذكر أن العظيم آبادى قد قال هنا: و هذا أيضا كلام ضعيف باطل (٢).

ملاحظه:

و يلاحظ هنا أن فى عباره الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) المتقدمه فى حديث: (حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار) توريه لطيفه؛ حيث إن عبارته هذه قد خففت من تأثر السائل. و هى فى نفس الوقت صادقه المضمون، و لا تدل على كفر أبيه (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ إذ أن من الطبيعى أن الكافر مبشر بالنار. و أما أن أباه (صلى الله عليه و آله و سلم) كافر أولاً؛ فذلك مسكوت عنه.

و الغريب هنا: أنه قد روى أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قد قال ذلك عن أمه رحمها الله، فقد قال لرجلين: أمى و أمكما فى النار. ٥.

١- عون المعبود ج ١٢ ص ٤٩٤ / ٤٩٥ عن السندى، و السيره الحليه ج ١ ص ٥١، و مسالك الحنفا ص ٥٨.

٢- عون المعبود ج ١٢ ص ٤٩٥.

و نحن لا نزيد على أن نذكر هنا أن الذهبي قد حلف على عدم صحه هذا الحديث. يعنى حديث كون أمه و أمهما فى النار (١).
 و أخيرا: فإننا نكاد نصدق مقوله: أن السبب فى تكفير آباء رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و أعمامه هو مشاركته على (عليه السلام) له فيهم، أو أنهم يريدون أن لا يكون آباء الخلفاء من بنى أميه و من غيرهم، و آباء رجالات الحكم و أعوانه كفاراً، و يكون آباء النبي و أهل بيت النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) مؤمنين، فلا بد من سلب هذه الفضيله عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) ليستوى هو و غيره فى هذا الأمر.

البحث الثانى بماذا كان يدين النبي صلى الله عليه و آله و سلم قبل البعثة:

إشاره

إن إيمان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و توحيده قبل بعثته يعتبر من المسلمات، و لكن يبقى: أنهم قد اختلفوا فى أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) هل كان متعبدا بشرع أحد من الانبياء قبله او لا. فهل هو متعبد بشرع نوح، أو ابراهيم، أو عيسى، أو بما ثبت أنه شرع، أو لم يكن متعبدا بشرع أحد؟ ذهب إلى كل فريق (٢).

و توقف عبد الجبار، و الغزالي، و السيد المرتضى.

و ذهب المجلسى إلى أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) حسبما صرحت به الروايات: كان قبل البعثة، مذ اكمل الله عقله فى بدو سنه ٤.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ١٠٦ و مسالك الحنفا ص ٥٢.

٢- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٤.

نبيا، مؤيدا بروح القدس (١)، يكلمه الملك، و يسمع الصوت، و يرى فى المنام، ثم بعد أربعين سنه صار رسولا، و كلمه الملك معاينه، و نزل عليه القرآن، و أمر بالتبليغ. و قال المجلسى: إن ذلك ظهر له من الآثار المعتمره، و الاخبار المستفيضه (٢).

و قد استدلووا على نبوته (صلى الله عليه و آله و سلم) منذ صغره بأن الله تعالى قد قال حكايه عن عيسى: **إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ، وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا، وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ، وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣).**

و يقول تعالى عن يحيى (عليه السلام): **وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (٤)** فإذا أضفنا إلى ذلك: أنه قد ورد فى أخبار كثيره بعضها صحيح، كما فى روايه يزيد الكناسى فى الكافى: إن الله لم يعط نبيا فضيله، و لا كرامه، و لا معجزه، إلا أعطاها نبينا الاكرم (صلى الله عليه و آله و سلم).

فان النتيجة تكون: هى أن الله تعالى قد اعطى نبيا محمدا (صلى الله عليه و آله و سلم) الحكم و النبوه منذ صغره (٥)؛ ثم أرسله للناس كافه، حينما بلغ الاربعين من عمره ... و قد أيد المجلسى هذا الدليل بوجوه كثيره (٦). ١.

١- و كان عيسى أيضا مؤيدا بروح القدس؛ قال تعالى: **(وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)** و لو لم يكن نبينا صلى الله عليه و آله و سلم مؤيدا بروح القدس، لكان يحيى و عيسى أفضل منه صلى الله عليه و آله و سلم.

٢- البحار ج ١٨ ص ٢٧٧.

٣- مريم: ٣٠.

٤- مريم: ١٢.

٥- راجع: البحار ج ١٨ ص ٢٧٨ / ٢٧٩.

٦- راجع: البحار: ج ١٨ ص ٢٧٧ - ٢٨١.

و يمكن المناقشه فى ذلك بأن إعطاءه صلى الله عليه وآله وسلم فضائل الانبياء و معجزاتهم الوارده فى الروايه لا يستلزم ما يراد اثباته هنا؛ فان بعض معجزاتهم لم يكن ثمه حاجه إليها فى زمانه (صلى الله عليه وآله وسلم).

نعم هى واقعه تحت اختياره (صلى الله عليه وآله وسلم) و لو احتاجها لاستفاد منها جميعا. و أما الفضائل فقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الجامع لها على النحو الاكمل و الاشمل فى جميعها، حتى انه إذا كان أيوب قد امتاز على غيره من الانبياء بالصبر، فان صبر نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان اكمل من صبر أيوب، و هكذا بالنسبه لسائر الانبياء، و امتيازاتهم فى الفضائل، و مكارم الاخلاق.

و أما الكرامات، فان الظاهر هو أن المقصود بها نفس المعجزات، فان الله تعالى قد اكرمه بها.

و مع الغض عن كل ذلك، فانه لا بد من ثبوت تلك الأخبار؛ ليتمكن الحكم بمضمونها، بعد تسليم دلالتها بشكل قطعى و نهائى.

نعم ثمه روايات كثيره تلمح و تصرح بنبوته قبل بعثته، أشار إليها المجلسى كما قلنا، و أشار العلامة الأمينى أيضا إلى حديث: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان نبيا و آدم بين الروح و الجسد، و رواه عن العديد من المصادر من غير الشيعة (١).

و لكن لا يمكن الحكم بمضمون هذه الروايات إلا بعد التأكد من اسانيدھا و دلالتها، و ثبوت ذلك بشكل قطعى، حيث إنه يراد إثبات أمر إعتقادى بها، و المطلوب فى الإعتقادات هو القطع، و لا يكفى ما دونه.

و بعد كل ما تقدم، فان ما نستطيع نحن الجزم به، هو انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مؤمنا موحدا، يعبد الله، و يلتزم بما ثبت له أنه شرع ٧.

اللّٰه تعالىّ مما هو من دين الحنيفيه شريعته إبراهيم (عليه السلام)، و بما يؤدى إليه عقله الفطرى السليم، و أنه كان مؤيداً و مسدداً، و أنه كان أفضل الخلق و اكملهم خلقاً، و خلقاً و عقلاً.

و كان الملك يعلمه، و يدلّه على محاسن الأخلاق.

كما أننا نجدهم ينقلون عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): انه كان يلتزم بأمر لا تعرف إلا من قبل الشرع و كان لا يأكل الميتة، و يلتزم بالتسميه و التحميد، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لسيرته صلوات الله عليه.

ملّه ايكم إبراهيم:

بل إننا نقول: إن هناك آيات و دلائل تشير إلى أن إبراهيم الخليل (عليه السلام) و نبينا الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم)، هما اللذان كان لديهما شريعته عالميه، و قد بعثنا إلى الناس كافة.

أما موسى و عيسى (عليهما السلام) فإنما بعثنا إلى بنى اسرائيل.

و قد حرصت الآيات القرآنيه العديده على ربط هذه الأمه بإبراهيم (عليه السلام) فلاحظ قوله تعالى: **وَمَا جَعَلْ عَلَيْنَكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ، هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ (١).**

و قال تعالى: **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ، وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً (٢).**

و قال سبحانه: **قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً (٣). ٥.**

١- الحج: ٧٨.

٢- النساء: ١٢٥.

٣- آل عمران: ٩٥.

و قال جل و علا: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، وَ هَذَا النَّبِيُّ، وَ الَّذِينَ آمَنُوا (١).

و قال تعالى: وَ قَالُوا: كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا. قُلْ: بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٢).

ثم نجد القرآن يصرح أيضا أن النبي الأ-عظم (صلى الله عليه و آله و سلم) شخصا كان مأمورا أيضا باتباع مله ابراهيم (عليه السلام)، فقد قال سبحانه:

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ: أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً، وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣).

و قال فى موضع آخر: قُلْ: إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، دِيناً قَيْماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٤).

و هذا، و إن كان ظاهره: أنه (صلى الله عليه و آله) قد أمر بذلك بعد البعثه و بعد نزول الوحي عليه، لكنه يثبت أيضا: أنه لا مانع من تعبده صلى الله عليه و آله و سلم قبل بعثته بما ثبت له أنه من دين الحنيفيه، و من شرع إبراهيم (عليه السلام)، و ليس فى ذلك أيه غضاظه، و لا يلزم من ذلك أن يكون نبى الله إبراهيم أفضل من نبينا (صلى الله عليه و آله و سلم)، فإن التفاضل إنما هو فى ما هو أبعد من ذلك.

هذا كله، لو لم نقتنع بالادله الداله على نبوته صلى الله عليه و آله و سلم من صغره (صلى الله عليه و آله و سلم). ١.

١- آل عمران: ٦٨.

٢- البقره: ١٣٥.

٣- النحل: ١٢٣.

٤- الأنعام: ١٦١.

و وجدك ضالا فهدي:

و بعد ما تقدم نقول: إن قوله تعالى: ما كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَأَ الْإِيمَانُ (١) و قوله سبحانه: وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٢) لا يدل على وجود ضلاله فعليه و لا على وجود جهل فعلى قبل النبوه.

بل غايه ما يدل عليه هو أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لولا هدايه الله له لكان ضالا و لولا تعليم الله له لكان جاهلا. أى لو أن الله أوكله إلى نفسه، فإنه بما له من قدرات ذاتيه و بغض النظر عن اللطاف الإلهيه، و العناية الربانيه ضال قطعاً، و جاهل بلا ريب. فهو من قبيل قولك: ما أنا فى نفسى بفوق أن أخطىء لولا لطف الله و عصمته و توفيقه، لكن بعد أن كان لطف الله حاصلًا من أول الأمر فإن العصمه تكون حاصله بالضروره من أول الأمر أيضا. الصحيح من سيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢ ٢٠٠ أولوا العزم: ص : ٢٠٠

أولوا العزم:

و بعد، فقد نجد فى قوله تعالى حكاية عن آدم (عليه السلام): لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (٣). و قوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ (٤).

و غير ذلك من شواهد و دلائل ما يشجعنا على القول: بأن المراد من إطلاق هذه الصفه على بعض الأنبياء هو التأكيد على رسوخ و عمق درجه ٥.

١- الشورى: ٥٢.

٢- الضحى: ٧.

٣- سوره طه: ١١٥.

٤- سوره الأحقاف: ٣٥.

العصمه فيهم، و قدرتهم الكبيره على التحمل فى مواجهه أعظم التحديات مع الطواغيت و الجبارين، و تحمل المسؤوليات الجسام، و المشاق العظام فى نطاق الدعوه إلى الله سبحانه. و قد يكون بعض أولى العزم، حتى مثل موسى و عيسى (عليهما السلام) لم يبعث للناس كافه، و إنما لخصوص بنى إسرائيل، الذين ربما يحتاجون إلى بعض التشريعات الإستثنائيه الخاصه بهم، مع كون العمل فى المسار العام إنما هو شريعته إبراهيم عليه الصلاه و السلام.

و هذا بحث يحتاج إلى توفر تام، و جهد مستقل، نأمل ان يوفقنا الله لهما فى فرصه أخرى إن شاء الله تعالى.

من الأساطير:

و بعد كل ما تقدم نعلم: أن كل ما يذكر عنه (صلى الله عليه و آله و سلم) من أمور تتنافى مع التسديد، و مع شرع الله تعالى، لا أساس له من الصحه. و نذكر هنا على سبيل المثال:

ما رواه البخارى و غيره، من أنه قد قدّم لزيد بن عمرو بن نفيل سفره فيها شاه ذبحت لغير الله تعالى. (و عند البخارى إنها قدمت للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم))؛ فأبى زيد أن يأكل منها، و قال: أنا لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، و لا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه.

و فى روايه أحمد: إن زيدا مرّ على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و هو يأكل مع سفيان بن الحرث من سفره لهما، فدعواه إلى الطعام فرفض، و قال الخ.

قال: فما رأى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) من يومه ذاك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث.

و يذكرون أيضا: ان زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم و يقول الخ ... (١).

و عليه، فزيد بن عمرو بن نفيل كان أعقل من النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و اعرف منه- و العياذ بالله- لأنه أدرك و عرف قبح اكل ما ذبح على النصب، و لم يذكر اسم الله عليه، أو بلغه ذلك. و لكن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يستطع أن يدرك ذلك، و لا- كان على قرب من مصادر المعرفة، فكان يأكل منه؛ مع أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) اعقل الكل و فوق الكل، و مع أنه قد تربى في حجر عبد المطلب، الذى ترك الاصنام، و ابتعد عنها حسبما تقدم. ثم فى حجر عمه أبى طالب.

و بيتهم كان أرفع بيت فى العرب. و هم أعرف الناس بتعاليم الحنيفيه.

نعم، لقد أدرك زيد ذلك برايه، حسبما يرجحه العسقلانى (٢)، و لم يستطع النبي الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يدركه. لقد كانت النبوه بزيد قريب عمر بن الخطاب (٣) أجدر منها بمحمد، نعوذ بالله من الزلل فى القول و العمل.

و احتمال: أن يكون زيد قد أخذ ذلك عن بعض النصارى أو اليهود، كما احتمله البعض.

يحتاج إلى اثبات: أن النصارى كانوا يحرمون اكل ما ذبح على ٧.

١- راجع: صحيح البخارى ط مشكول المصريه ج ٥ ص ٥٠ و ج ٧ ص ١١٨ باب ما ذبح على النصب و الأصنام، و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٣، و مسند أحمد ج ١ ص ١٨٩ و راجع فتح البارى ج ٧ ص ١٠٨ و ١٠٩ و الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٦ و البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و راجع ص ٢٣٧.

٢- فتح البارى ج ٧ ص ١٠٩.

٣- البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٣٧.

النصب، أو ما لم يذكر اسم الله عليه.

أما اليهود فما كانوا يهتمون بدخول غيرهم في دينهم. وإذا كان ذلك شائعا عنهم؛ فلماذا لم يعرف به غير زيد.

على أن هناك نص يقول: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (كان لم يأكل مما ذبح على النصب) (١).

ومهما يكن من أمر، فقد قال السهيلي: (كيف وفق الله زيدا الى ترك ما ذبح على النصب، و ما لم يذكر اسم الله عليه، و رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أولى بهذه الفضيله فى الجاهليه؛ لما ثبت من عصمه الله تعالى له).

ثم أجاب عن ذلك: بأنه ليس فى الروايه: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اكل من السفره، و بأن شرع ابراهيم إنما جاء بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذبح لغير الله تعالى. فزيد امتنع عن اكل ما ذبح لغير الله برأى رآه لا بشرع متقدم (٢).

و لكنه جواب بارد حقا.

فان إدراك زيد لهذا الأمر الذى وافق فيه نظر الشرع، و عدم إدراكه هو (صلى الله عليه وآله وسلم) له مما لا يمكن قبوله، أو الالتزام به.

هذا .. و لماذا يسدد الله تعالى نبيه حينما كشف عن عورته حين بناء البيت، و يمنعه عن ذلك - حسبما يدعون -، ثم تبغض اليه الاصنام، و الشعر، و لا يسدده الله، و يحفظه من اكل ما ذبح لغير الله تعالى؟! الذى ٩.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٥٤.

٢- الروض الأنف ج ١ ص ٢٥٦، و راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٣ عنه، و فتح البارى ج ٧ ص ١٠٩.

يدرك بعض الناس أنه ليس محبوباً لله تعالى؟!!

استلام الأصنام:

و من أساطيرهم أيضاً ما ذكروه من أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يستلم الأصنام بل لقد ذكر البعض: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (أهديت للعزى شاه عفراء، وأنا على دين قومي) (١).

مع أنهم يذكرون: ان زيدا المتقدم و عمر بن الحويرث، و ابا قيس بن هرمه، و قس بن ساعده، و أسعد بن كريب، و عبید الله بن جحش، و رباب بن البراء و غيرهم، لم يسجدوا لصنم قط، و حرّموا عباده الاوثان.

فلماذا أدركوا هم ذلك دونه؟!.

و ايضاً فقد سئل (صلى الله عليه وآله وسلم): هل عبدت وثناً قط؟

قال: لا.

و قال: ابن حجر: إن الناس قد انكروا حديث استلامه الأصنام.

و قال أحمد بن حنبل - على ما فى الشفاء -: إنه حديث موضوع (٢).

و على كل حال؛ فان هناك تفاهات كثيرة، و أكاذيب عديده عليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، سواء بالنسبة إلى الفتره التى سبقت البعثة، أو التى تلتها. و سيأتى بعض من ذلك، و لكن لابد من الاعتراف:

بأن استقصاءها متعسر بل متعذر؛ و لذا فلا بد من الاقتصار على ما يسعه المجال، ثم الانصراف إلى ما هو أهم، و أجدر، و أولى.٠.

١- السيره النبويه لابن هشام ج ١ ص ٨٦.

٢- راجع السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٥٠ / ٥١ و السيره الحلبيه ج ١ ص ١٢٥ و ٢٧٠.

البحث الثالث: شروط النهضه:

هناك عدة أمور تعتبر ضروريه و حتميه فى بناء الحضاره، و حصول النهضه لأى شعب كان، و أيه أمه كانت. و نود أن نشير إلى بعض مقومات و عناصر ذلك عموماً. ثم .. و بمقارنه بسيطه و موجزه، نستطيع أن نتعرف على جانب من عظمه الاسلام و سموه، و أصالته.

و من اجل تسهيل تصور ما نريد عرضه على القارىء، نقوم بمقارنه محدوده بين واقع و ظروف عرب شمال الجزيره العربيه، و هم اهل الحجاز، و بين واقع و ظروف عرب جنوبها، و هم أهل اليمن.

فنعول:

ألف: لقد عاش اليمينيون فى منطقه غنيه و ثريه، و تستطيع، اذا ما اشتغل أهلها بزراعتها: أن توفر لهم لقمه العيش. و هى بالاضافه إلى ذلك أرض جبلية، صعبه المسالك، فهى إذن تستطيع فى كثير من الأحيان أن توفر لهم حمايه طبيعیه، و قدره على مقاومه الأعداء.

و إذا كان اليمينيون يشتغلون بزراعه أرضهم، و يستفيدون منها، و يعتبرونها المصدر الأول و الاساس لحياتهم، و استمرار وجودهم؛ فمن الطبيعى أن يتولد فيهم لذلك شعور مبهم بمحبه هذه الارض، و التمسك بها، و الحنين إليها.

و هذا بالطبع، هو المهم عادة فى حب الناس لأوطانهم، و حنينهم إليها، حتى إنهم قد يبذلون كل غال و نفيس حتى دماءهم فى سبيل الدفاع

عنها، بل وحتى عن شبر واحد منها؛ فمحبه الوطن تنشأ غالبا من محبه الارض، و محبه الارض تنشأ (عموما) من الشعور بأنها تعطيه كل مقومات الحياه، و بأنها تحفظ له استمرار بقاءه و وجوده، بالشكل المرضي له، و المقبول عنده.

ب: و كان فى اليمن أيضا حكومه مركزيه مهيمنه تفرض النظام و القانون، و تهتم باشاعه الطمأنينه، و الأمن و السلام.

و إذا كان الانسان يشعر بالامن، و يعيش فى ظل القانون، و لا يتخوف من أى عدو يتربص به الغوائل، فانه يجد الفرصه للتفكير فى تغيير الوضع الحياتى الذى يعيشه، إلى وضع أفضل و اكمل.

ج: ثم تتاح الفرصه لآمال و تطلعات هذا الانسان للتعبير عن نفسها، و فرض وجودها، فتدفعه إلى بذل المحاوله. و التصرف فيما تناله قدراته فى توجيهه فى هذا السبيل.

د: ثم يأتى دور الأهم و الأقوى تأثيرا فى النهضه، ألا و هو النظام الأكمل و الاشمل و الأصلاح، الذى يستطيع أن يبنى الانسان من الداخلى، و يحافظ عليه من الخارج، و يزيل من طريقه كل العقبات، التى يمكن أن تعترض سبيل تقدمه؛ و لتنمو، و تتكامل فى ظل ذلك النظام- من ثم- ملكات هذا الانسان، و خصائصه، و لتجد طاقاته و امكانياته الفرصه للتأثير فى عمليه التغيير للحاضر الذى يعيشه، و التخطيط الصحيح و السليم للمستقبل الذى يقدم عليه.

فاذا توفرت كل تلك العناصر لايه أمه، فانها و لا شك سوف تكون قادره على أن تبني حضاره، و تصنع لنفسها مستقبلا مغريا و زاهرا و مجيدا.

و قد كانت كل تلك العناصر متوفره فى منطقه اليمن، باستثناء العنصر الأخير منها. و كان فقدانها له بالذات هو السبب فى أنها لم تستطع أن تفيده شيئا من تلك القدرات و الامكانيات التى توفرت لها، و لا يحدثنا

التاريخ عن شىء ذى بال، تميزت به اليمن فى تاريخها القديم، سواء على الصعيد الفكرى، أو الحضارى، أو غير ذلك، و لا كان فيها ما يعبر عن نظره واعي، أو عقليه متطوره تتلائم مع حجم امكاناتها تلك.

كما أن الديانه اليهوديه المحرفه، التى سيطرت عليها حقبة من الزمن، لم تستطع أن تقدم لها شيئاً يذكر فى مجال النهوض باهلها، و الخروج بهم من ظلمات جهلهم، و التخفيف من شقائهم و آلامهم، تماماً كما لم تستطع المسيحيه المحرفه فى الرومان، و الزرادشتيه فى الفرس:

أن تؤثر تأثيراً يذكر فى ذلك.

أما فى الحجاز، فقد كانت كل تلك العناصر مفقوده؛ و لكن عند ما وجد العنصر الاخير منها- فقط- استطاعت هذه الامه- و ذلك هو الاعجاز حقا- أن تنتقل من أمه متوحشه بدائيه، تتصف بكل صفات الذل و المهانه، إلى امه لا تدانيها، و لن تدانيها أیه أمه أخرى على الاطلاق.

فعراب الحجاز لم يكونوا فى الاكثر أهل زراعه، لان أرضهم لم تكن صالحه لذلك؛ بسبب قله المياه فيها، حيث لم يكن فيها حتى نهر واحد بالمعنى الصحيح للكلمه (١). كما أن الامطار تقل فيها بشكل ملحوظ. و كل ما كان هناك هو بعض الينابيع، التى كانت تظهر فى الشتاء، و تجف فى الصيف، فيرحلون عنها بحثاً عن غيرها. هذا عدا عن أن الارض نفسها كان فيها القليل مما يصلح للزراعه.

إذن، فلا شىء يشد العربى إلى هذه الارض، أو يربطه بها، و يجعله يحبها، و يتفانى فى سبيلها. بل كان مصدر حياتهم و رزقهم هو:

السيف، و الماشيه، و الابل بصوره عامه، و لهذا نرى أن اكثر ما يعزّ عليهم، و له مكانه فى نفوسهم هو هذه الأمور بالذات؛ فنرى الشاعر العربى يتغنى بالجمل، و السيف، و الفرس، و يتغزل بالرياح الطيبه، التيا.

١- راجع: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١٥٧ فما بعدها.

تخفف عنه بعض ما يعانیه من آلام؛ نتیجه حرّ منطقتة، ثم هو یناجی القمر و النجوم كثيرا أيضا.

و إذا ما رأیناه ینکی - أحيانا- الدير و الاطلال، فليس ذلك إلا لأنها كانت في وقت ما مصدر أنس له، أو لأنه هو نفسه كان حضريا.

و لأن العربي هذا قد اتخذ الغزو و السلب و سيلة من وسائل العيش؛ فاننا نراه يهتم بالتغنى بمواقفه هذه، و يفتخر باستمرار بشنّه الغارات فرسانا و ركباناً.

و من الجبهه الاخرى، فانه دائما يتوقع أن يغزى، و أن تشنّ عليه الغارات؛ و لا- يشعر بوجود سلطه تستطيع أن تحميه، فهو في خوف دائم، و رعب مستمر.

و إذا كان الامن غير متوفر له، فكيف يمكن أن تتوفر له الفرصه للتفكير في حياته، و محاوله الخروج من واقعه، و تحسين ظروف عيشه، ثم التخطيط للمستقبل بواقعيه، و أناه، ثم العمل بهدوء و اطمينان على تنفيذ خطته، و تحقيق آماله؟!

و من الجبهه الثالثه، كيف و أنى يمكن لآماله أن تنمو، و لطموحاته أن تتجسد؟ و هو في كل يوم يفقد أملا، و يتحمل ألما.

و خلاصه الامر: إنه لا سلطه مركزيه تستطيع أن تفرض هيبتها و هيمنتها بيسر و فعاليه، بل إن ذلك قد يتعذر بالنسبه إلى أمه تعيش حياه التنقل و الغاره، و تتحول باستمرار من مكان إلى مكان.

و قد كان العرب يتجنّبون الالتحام بالجيوش المنظمه؛ لتفوقها عليهم، فاذا تعقبتم تلك الجيوش هربوا الى الباديه، و اعتصموا بها.

و كذلك يفعلون اذا واجهوا الجيش و وجدوا فيه قوه (١).٣.

١- راجع: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ ص ٤١٣ و ٤١٤ و ٤٢٠. و راجع: تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الأول، الجزء الأول ص ٧٠ و حياه محمد لهيكل ص ٣٩ و محاضرات تاريخ الأمم الإسلاميه للخضرى ج ١ ص ٣٣.

و إذن .. فهم كانوا يفقدون كل اسباب النهضه و التقدم، و لا يملكون منها حتى الامل بالتغيير، فضلا عن ارادته، و العمل من أجله. هذا فضلا عن أن الصفات الذميمة، و العادات السيئه، التي كانت تهيمن عليهم جماعات و أفرادا لم تكن تسمح لهم بأيه نهضه، أو أى تقدم نحو الافضل، إن لم تكن تزيد من بلائهم و شقائهم، و تدفعهم خطوه بل خطوات إلى الوراء.

و لكنهم مع ذلك كله، عندما وجدوا رساله السماويه الحقه، استطاعت تلك الرساله، و ذلك الرسول- و فى فتره و جيزه جدا- ان تنقل هذه الامه من حضيض الذل و المهانه إلى أوج العظمه، و العزه و الكرامه، و أن تغير فيها كل عاداتها و مفاهيمها، و تخفف، بل و تقضى على كل أسباب شقائها، و آلامها. و ذلك هو الاعجاز حقا.

نعم لقد استطاع الاسلام فى فتره لا تتجاوز سنواتها عدد أصابع اليدين أن يحدث انقلابا حقيقيا و جذريا فى عقله و مواقف و سلوك تلك الامه، و فى مفاهيمها، و ان ينقلها من العدم إلى الوجود، و من الموت إلى الحياه.

و لو أن المسيحيه و اليهوديه و غيرها من الأديان و المذاهب كان فيها أدنى صلاح، و مع توفر كل الظروف الملائمه لنجاحها فى تغيير الاوضاع السيئه آنذاك- لعبرت عن نفسها، و لأثبتت وجودها، مع أن المسيحيه قد كانت فى العرب أيضا قبل الاسلام، و كذلك اليهوديه، و لكنها لم تستطع أن تغير من عقله العربى، و سلوكه، و مفاهيمه عن الحياه و المستقبل شيئا، بل بقى يند البنات، و يشن الغارات، إلى غير ذلك من أفعال و صفات.

بل إنهم ليدكرون أن القبيله العربيه الفلانيه التي كانت تدين

بالمسيحيه ما كانت تعرف من المسيحيه غير شرب الخمر، كما سيأتى.

كما أن اليهود قد عاشوا بينهم، و كان العرب يحترمونهم جدا، و يعتبرونهم وحدهم مصدرا للمعرفه و العلم- كما تقدم فى الجزء السابق- و لكنهم لم يكن لهم فى سلوكهم، و عقليتهم، أثر يذكر.

البحث الرابع: العوامل المساعده على انتصار الاسلام و انتشاره:

اشاره

و بعد ذلك الموجز الذى قدمناه لابد أن نشير إلى بعض العوامل و الظروف التى ساعدت على انتصار الاسلام و انتشاره، فى منطقه لها تلك الصفات و المميزات المشار إليها فى البحث السابق.

و بعض تلك العوامل يرجع إلى شخصيه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)، و بعضها يرجع إلى رساله نفسها، و بعضها يعود إلى أمور أخرى، خارجه عن هذا و ذاك. و يمكن أن نلخص ما نريد الاشاره إليه فى الامور التاليه:

١- منطلق الدعوه: مكه:

أ: إنه يلاحظ أن الاسلام قد انطلق من أقدس بلد لدى الانسان العربى، بل ولدى غيره أيضا، و هو المكان الذى تهوى إليه ثمار الافئده من كل مكان. و هو ملتقى لكل العواطف، و محل آمال الناس، و غايه رجائهم.

ب: يقول البوطى: (البقع الجغرافيه للجزيره العربيه ترشحها للقيام بعبء مثل هذه الدعوه؛ بسبب أنها تقع - كما قلنا- فى نقطه الوسط بين الأمم المختلفه التى من حولها. و هذا مما يجعل اشاعات الدعوه

الاسلاميه تنتشر بين جميع الشعوب و الدول المحيطه بها فى سهوله و يسر (١).

و طبيعى: أن هذا الدين لو كان ظهر فى بلاد كسرى؛ فان اتباع قيصر لا يتبعونه، و كذلك العكس؛ و ذلك بسبب المنافسه القائمه بين الامبراطوريتين و الحواجز النفسيه الحاكمه و المهيمنه على الأمتين.

ج: لقد بدأ (صلى الله عليه و آله و سلم) دعوته فى مكان بعيد عن نفوذ الدولتين العظيمتين: الرومان، و الفرس، و غيرهما من الدول ذات القوه.

إذن، فلا-قوه قاهره تستطيع أن تضرب الضربه الحاسمه، و تقضى على دعوته فى مهدها؛ و ذلك لأن المحيط الذى بدأ فيه دعوته، و الحجاز عموما، كانت تسيطر عليه الروح القبليه، و يطغى عليه التعصب القبلى.

و القوى فيه متكافئه: تقريبا، و كانت القبائل المتعدده كثيره- فبطون قريش وحدها كانت عشره أو تزيد- يرقب بعضها بعضا، و يخشى بعضها بأس بعض.

هذا كله، عدا عن أنها كانت تعرف: أنها إذا أرادت أن تنتهك حرمة الحرم، و يحارب بعضها بعضا؛ فان مكانتها و احترامها- و بالتالى مصالحتها الحيويه، سوف تتعرض لدى سائر العرب لنكسه قاسيه، إن لم تكن قاضيه.

٢- خصائص شخصيه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم :

أ: لقد كان صاحب هذه الدعوه: محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) من قريش، أعظم قبائل العرب خطرا، و قوه، و نفوذا، و التى كان .

ينظر إليها من كل أحد بعين الاجلال و الاكبار، و بالأخص هو من البيت الهاشمى منها، الذى كان يمتاز بالنزاهه و الطهر، و له السيادة و الزعامه، و السؤدد فى مكه، و له الشرف الرفيع الذى لا يدانيه و لا ينازعه فيه أحد.

فمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم) إذن ليس بحاجه إلى الشرف و الزعامه؛ ليجعل من ادعاء النبوه و سيله للوصول إليها، و الحصول عليها.

و قد كان واضحا- لو قيست الأمور بالمقاييس العاديه- أن دعواه تلك لسوف تجرّ عليه الكثير من المتاعب و المصائب، و يكون بذلك قد فرط بكل ما لديه من رصيد إجتماعى فى هذا المجال، فإستمراره فى دعوته مع وضوح اخطارها له يعتبر امرا غير منطقى، لو كان ما يدعيه لا واقعيه له.

كما أن كل أحد يكون على استعداد لقبول الدعوه من بنى اسماعيل، الذين هم مهبط الوحي، و معدن الطهر. و سيأتى إن شاء الله تعالى فى مباحث عرض الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) دعوته على القبائل. أنه لما عرض دعوته على بنى عامر بن صعصعه، و رفضوا إلا- أن يجعل الامر فيهم بعده، و رفض هو، و عادوا إلى بلادهم، و تحدثوا بما كان لشيخ لهم، وضع ذلك الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بنى عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذنا باها من مطلب؟ و الذى نفس فلان بيده، ما تقولها إسماعيلي قط، و إنها لحق؛ فأين رأيكم كان عنكم (١).

ب: تلك الخصائص و المميزات فى الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه، و التى اشار إليها جعفر بن أبى طالب بقوله: (بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه، و صدقه، و أمانته و عفافه). حتى لقد لُقّب ب (الصادق الأمين) فقد كان لذلك أثر كبير فى ظهور دعوته، و انتصار و انتشار رسالته. و قد كان تحليّه (صلى الله عليه و آله و سلم) بهذه.

١- سيأتى ذلك مع مصادره فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، فى فصل: حتى بيعه العقبه.

المواصفات ضروريا؛ لأن فقدانها موجب لريبتهم، كما قال تعالى: (إِذَا لَارْتَابَ الْمُجْطَلُونَ).

هذا كله، بالاضافه إلى ما قد تمدحه الله عليه من خلقه العظيم، فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (١).

و مع ذلك فاننا نود أن نخص بالذكر هنا ما يلي:

١- اننا نجد البعض يسلم استنادا إلى شهادته الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، فقد ورد أن رجلا دخل على جمل؛ فأناخه في المسجد؛ وعقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ و النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متكى ء بين ظهرايتهم.

فقلنا: هذا الرجل الايبض المتكى.

فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟

فقال له (صلى الله عليه وآله وسلم): قد أجبتيك.

فقال الرجل: إني سائلك فمشدد عليك في المسأله؛ فلا تجد على في نفسك.

فقال: سل عما بدالك.

فقال: أسألك بربك و رب من قبلك، أ الله أرسلك إلى الناس كلهم؟

فقال: اللهم نعم.

فقال: أنشدك بالله، أ الله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس في اليوم و الليله؟.

قال: اللهم نعم.م.

١- سورة القلم/ ٤ و ثمه احتمال آخر في الآيه الشريفه راجع مقالا لنا بعنوان: فلسفه الأخلاق في الإسلام في كتابنا: دراسات و بحوث في التاريخ و الإسلام.

قال: انشدك الله ... إلى أن قال:

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، و أنا رسول من ورائي من قومي، و أنا ضمّام بن ثعلبه الخ. (١)

فان عدم قدره ضمّام على تمييزه (صلى الله عليه و آله و سلم) عن أصحابه، لخير دليل على خلق النبي العظيم، و على أن الاسلام لا يعترف بتلك الفوارق المصطنعه بين الحاكم و رعيته، و لا يعتبر أن الحكم يعطى للحاكم امتيازاً، و إنما هو مسؤوليه.

كما أن اسلام ضمّام استناداً إلى شهاده النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) نفسه ليعتبر الذروه فى الثقة به (صلى الله عليه و آله و سلم)، و تأثير هذه الثقة فى قبول دعوته، و انتشار رسالته.

٢- هذا مع ما كانت تعرفه قريش فيه، من وفور العقل، و حسن التدبير، و أصاله الرأى- و قد تقدمت قضيه رفع الحجر الاسود إلى موضعه عند بناء البيت، و حلّه (صلى الله عليه و آله و سلم) المشكله التى كانت تواجههم.

ثم ما ظهر له من الآيات و البراهين، حين ولادته، و بعدها، و كونه ابن الذبيحين، الأمر الذى جعل له قدسيه خاصه فى نفوس الناس.

نعم، إن كل ذلك قد وضع قريشا، و سائر الناس أمام الأمر الواقع، فكان كل من يحاول تكذيبه (صلى الله عليه و آله و سلم) يجد نفسه أمام صراع داخلى، و وجدانى؛ لأن وجدانه و ضميره كان يقول له: انت الكاذب الحقيقى، و هو الصادق الامين، و هو محل الثقة المطلقه، و انت ٤.

١- البخارى هامش فتح البارى ج ١ ص ١٣٩-١٤١، و ليراجع فتح البارى نفسه أيضاً. للإطلاع على العديد من المصادر، و البدايه و النهايه ج ٥ ص ٦٠ عن ابن إسحاق و تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٨٤.

مظنه الخيانه، و هو صاحب الرأى و التدبير، و العقل الكبير، و أنت القاصر المقصر فى ذلك. و هكذا الحال فى سائر صفاته الغرّ، و أخلاقه الفضلى.

٣- و قد عزز ذلك و قواه: أن كل أحد كان يعرف أميته (صلى الله عليه و آله و سلم)، و أنه لم يتلق العلم و المعرفة من أحد. و ها هو لا يستطيع أحد على وجه الارض أن يدعى المعرفة بجزء مما جاء به، فضلا عن بيئته المتناهيه فى الجهل و الضياع، فلم يكن ثمه مجال للارتياح فى صدقه، و صحه دعوته، إلا من مكابر، لا يرى إلا نفسه، و لا يفكر الا فيها.

و حتى لو كان قارئاً، فماذا عساه يجد فى كتب السابقين، و هل يمكن ان يقاس ذلك بما جاء به (صلى الله عليه و آله و سلم) من المعارف العالیه، و التشريعات المعجزه، بلسان القرآن، الذى يعجز الجن و الإنس عن ان يأتوا بسوره من مثله؟!

٤- ثم هو لم يسجد لصنم قط؛ فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه، بأنك أنت كنت بالامس تسجد للاصنام، و تعبد الاوثان؛ فلماذا تكفر بها اليوم؟! فان كانت عبادتها تخالف العقل و الفطره، فأين كان عنك عقلك، و لماذا شذت بك فطرتك؟!.

٥- ثم يأتى بعد ذلك اسلوب دعوته المتطور، على وفق الحكمه، و على حسب مقتضيات الأحوال، و فى حدود الاهداف الرساليه، التى لا بد من التقيد بها، و فى حدودها.

٦- ثم هناك اصراره، و صبره، و تحمله لكل المشاق و الآلام، و رفضه لكل المساومات، حتى إنهم لو وضعوا الشمس فى يمينه، و القمر فى شماله على أن يترك هذا الأمر، ما تركه. بل هو لا يقبل منهم أن يسلموا شرط أن يعطيهم فرصه زمنيه للتزود من عباده أو ثانهم، مما أوضح لهم: أن المسأله تتجاوز حدود اختياره، و أن رب السماء هو الذى يرفع

هذا الامر، و يريد مناهم.

٣- الحالة الاجتماعيه:

و يأتى بعد ذلك كله دور الحالة الاجتماعيه التي كانت سائده آنذاك، حيث كان الناس يعيشون حياه الشقاء و البلاء، بكل ما لهذه الكلمه من معنى، كما دلت عليه كلمات الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) المتقدمه، فى أوائل هذا الجزء عن الحالة الاجتماعيه عند العرب- و هى لا- تختلف كثيرا عما عند غيرهم- و نضيف إلى ذلك هنا ما قاله جعفر (رحمه الله) لملك الحبشه، حينما ذهب عمرو بن العاص ليخذه عنهم:

(كنا قوما أهل جاهليه، نعبد الاصنام، و نأكل الميته، و نأتى الفواحش، و نقطع الارحام، و نسيء الجوار، و يأكل القوى منا الضعيف) (١).

فهذه الحالة الاجتماعيه القاسيه التي كانت تهيم على الأمه، و ذلك الضياع الذى يسيطر عليها قد هيا الانسان الجاهلى نفسيا، لقبول الحق، و التفاعل معه، و جعله يتطلع للدعوه التي يجد فيها الحق و الخير، و يعرف: أنها تستطيع أن تخفف من شقائه و آلامه، و تنقذه من واقعه المزرى و المهين ذاك. و قد عبر جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) عن ذلك، لملك الحبشه، بعد عبارته المتقدمه، فقال:

(فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه و أمائته، و عفاه فدعانا إلى الله؛ لنوحده، و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه، من الحجاره و الاوثان. و أمرنا بصدق الحديث، و أداء٤.

١- راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠ و قاموس الرجال ج ٢ ص ٣٧١ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧٣ و ٧٤.

الامانه، وصله الرحم، و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء.

و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و اكل مال اليتيم، و قذف المحصنه إلخ (١).

و قد عبر أهل المدينه على لسان أسعد بن زراره عن أمهم فى أن يحلّ (صلى الله عليه و آله و سلم) بدعوته تلك مشاكلهم المستعصيه، حيث يذكر المؤرخون: أن الأوس و الخزرج ما كانوا يضعون السلاح فى ليل و لا نهار (٢)، فمن الطبيعى إذن أن يشتاقوا إلى الخروج من وضع كهذا إذ:

نعمتان مجهولتان: الصحه و الامان.

و سيأتى الحديث عن ذلك حين الكلام على دخول الاسلام إلى المدينه.

هذا، و لا بد من الاشاره هنا إلى أن الاندفاع نحو الاسلام، إنما كان ظاهرا و قويا فى جملته الضعفاء و العبيد، و الفقراء. أما اولئك المستغلون و المستكبرون و أصحاب الاموال، و الاطماع، من أمثال: أبى جهل، و أبى سفيان؛ فقد كانوا هم الذين يهتمون بالقضاء على الدعوه، و منعها من الانتشار. و إن المطالع لتاريخ الاسلام فى مكه ليجد الكثير الكثير من الشواهد، التى تؤيد ما ذكرناه هنا. مع تأكيدنا على أن ذلك لا يختص بما جرى بالنسبه لنبينا (صلى الله عليه و آله و سلم) بل هو ينسحب على غيره من الانبياء السابقين. و قد عبر القرآن عن هؤلاء المخالفين من الطبقة الارستقراطية ب (المأ) فى اكثر من مورد، و اكثر من مناسبه.

٤- نوع معجزته «صلى الله عليه و آله و سلم»:

و مما ساعد على انتشار الاسلام و انتصاره نوع المعجزه التى جاء ٥.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠ و راجع: البدايه و النهايه ج ٣ ص ٧٣ و ٧٤.

٢- البحار ج ١٩ ص ٨ و ٩ و ١٠ و اعلام الورى ص ٥٥.

بها (صلى الله عليه وآله وسلم) فان هذا القرآن قد حير العرب، ليس فقط بما يتضمنه من قوانين عامه و شامله، و من معان و اخبارات غيبية، و من قصص فيها العبر و العظات، رأى فيها غير المسلمين تصحيحا دقيقا لما جاء منها فى كتبهم، و غير ذلك من علوم و معارف. و إنما قهرهم و بهرهم فيما كانوا يعتبرون أنفسهم، و يعتبرهم العالم بأسره قمه فيه، اكمالا للحجه، و حتى لا يبقى مجال لأى خيار؛ لأن خروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى بيئه كهذه، بحجه كهذه، لا بد أن يجعلهم يذعنون و ينقادون للحق، و إلا فلسوف يراهم كل أحد، و يرون أنفسهم أيضا معاندين للحق، و مناصرين للباطل.

نعم، لقد بهرهم هذا القرآن و حيرهم، و لم يترك لهم مجالاً للخيار فإما الجحود على علم. (و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم)، و اما الايمان و التسليم.

و إذا كنا نعلم: أن من مميزات العربى، و بحكم حياته و طبيعته: أنه كان يعيش حياه الحرية بكل ما لهذه الكلمه من معنى، و لم تلوث فكره و عقله الافكار و الشبهات و الآراء المصطنعه- كما كان الحال بالنسبه لسائر الأمم، كالرومان و الفرس و غيرهما، الذين كانوا يحاولون فلسفه أديانهم البعيده عن الفطره، و المنافره لها، و إظهارها بمظاهر معقوله و مقبوله-

إذا كنا نعلم و نرى ذلك، فان هذا القرآن قد جاء منسجما مع فطره العربى، و متلائما مع طبعه و سجيته، و مع صفاء نفسه و قريحته، تماما كما كانت الدعوه نفسها منسجمه مع فطرته و روحه، و يستجيب لها عقله، و ضميره و وجدانه، لأنه كان يعيش على الفطره، و الاسلام دين الفطره: (فطره الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم) (١).٠.

و لذلك نراه سرعان ما صار يبذل ماله، و ولده، و دمه فى سبيل هذه الدعوه، و يقتل حتى أباه، و أخاه من أجلها. و لسوف نتحدث إن شاء الله تعالى عن سر اعجاز القرآن فيما يأتى من فصول.

٥- بشارت اليهود و النصارى به صلى الله عليه و آله وسلم :

إشارة

و أيضا، فان بشارت أهل الكتاب بقرب ظهور نبى فى المنطقه العربيه، قد سهّل هو الآخر قبول دعوته، و انتشار رسالته.

فقد جاء فى التوراه المتداوله: (و هذه هى البركه، التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، و أشرق لهم من ساعير، و تلاًلاً من جبل فاران) (١).

فالمجيبى ء من سيناء كنايه عن تكليم الله لموسى (عليه السلام) فى سيناء، و ساعير هى جبال فلسطين، و هو إشاره لعيسى (صلى الله عليه و آله و سلم). و فاران اسم قديم لأرض مكه (٢)، التى لم يظهر فيها الا- نبينا الاعظم محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)، الذى انزل عليه القرآن.

و النبى محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) هو من نسل ابراهيم (صلى الله عليه و آله و سلم)، الذى جعلها أرض غربته، تقول التوراه: (و أعطى لك و لنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان، ملكا أبديا) (٣).

فالمقصود بأرض غربه ابراهيم خصوص مكه، لأنها هى التى اسكن أهلها فيها.

و أرض كنعان و إن كانت هى بلاد الشام و لكن المقصود فيها هنا.

١- سفر التثنيه، الإصحاح ٣٣ الفقره ١.

٢- معجم البلدان للحموى ج ٤ ص ٢٢٥.

٣- سفر التكوين الإصحاح ١٧، الفقره ٨.

عموم بلاد العرب، بضرب من التجوز، لأن ابراهيم لم يهاجر إلى الشام، و لا أسكن اهله فيها (١).

و جاء فى الانجيل قوله: (و هذه شهاده يوحنا حين أرسل اليهود من اورشليم كهنه و لاويين؛ ليسألوه: من أنت؟ فاعترف، و لم ينكر، و أقر:

أنى لست أنا المسيح. فسألوه: إذن ماذا؟ إيليا؟ فقال: لست أنا. النبى أنت؟ فأجاب: لا (٢)).

فالمراد بايليا ليس الياسا- كما ربما يدعى- و ذلك لأنه قد كان قبل عيسى بقرون، فلا بد أن يكون المقصود به رجلا يأتى بعد عيسى. و كذلك الحال بالنسبه إلى النبى الذى سأله عنه.

و من المعلوم أنه لم يأت بعد عيسى غير نبينا محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)، و اوصيائه (عليهم السلام) ففعل المقصود بالنبى هو محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) و بايليا وصيه على (عليه السلام).

هذا و بشارات العهدين به (صلى الله عليه و آله و سلم) كثيره جدا، فمن أرادها فليراجع الكتب المعده لذلك (٣) مع الأخذ بعين الاعتبار: أن التوراه و الانجيل الموجودين فعلا- قد نالتهما يد التحريف و التزوير، كما يظهر لمن راجع كتاب: الهدى الى دين المصطفى، و الرحله المدرسيه، للمرحوم البلاغى. و اظهار الحق لرحمه الله الهندى، و غير ذلك.

و يكفى أن نذكر هنا: أن القرآن قد قرر: أن أهل الكتاب (يعرفونهم).

١- كما يفهم من مراجعه تاريخ حياته فى كتب التاريخ؛ فراجع على سبيل المثال كتاب: قصص الأنبياء لطباره.

٢- إنجيل يوحنا الإصحاح الأول، الفقره ١٩-٢١.

٣- راجع كتاب: أنيس الإعلام (فارسى)، و الرحله المدرسيه و الهدى إلى دين المصطفى، و رسول الإسلام فى الكتب السماويه، و غير ذلك.

كما يعرفون ابناءهم، و ان فريقا منهم ليكتمون الحق، و هم يعلمون (١).

و قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ (٢)).

و لو أن اهل الكتاب كان يمكنهم اثبات خلاف هذا النص القرآني، لبادروا إليه، و لما عرضوا أنفسهم للحروب و البلايا، في سعيهم الدائب لإطفاء نور الله، هم و مشركوا مكه، الذين كانوا يتعاونون معهم تعاوننا وثيقا.

بل إن اهل الكتاب انفسهم كانوا يتوعدون العرب، و يقولون لهم: (ليخرجنّ نبي، فيكسرن أصنامكم، فلما خرج رسول الله كفروا به) (٣).

و يقول مغلطاي: إنه لما شاع قبل ولادته: أن نبيا اسمه محمد، هذا إبان ظهوره، سمي جماعه أبناءهم محمدا، رجاء أن يكون هو، منهم محمد بن سفيان بن مجاشع إلخ. ثم عد جماعه من المسمين بهذا الاسم (٤).

و لما دعا رسول الإسلام بعض المدنيين- قبل الهجره- إلى الإسلام، قال بعضهم لبعض: يا قوم، إن هذا الذي كانت اليهود يدعوننا به، أن يخرج في آخر الزمان، و كانت اليهود إذا كان بينهم شىء، قالوا:

(إننا ننتظر نبيا يبعث الآن يقتلكم قتل عاد و ثمود، فتتبعه، و نظهر عليكم معه الخ (٥)).

١- البقره: ١٤٧.

٢- الأعراف: ١٥٧.

٣- البحار ج ١٥ ص ٢٣١.

٤- راجع: سيره مغلطاي ص ٧.

٥- الثقات، لابن حبان ج ١ ص ٩٠.

مناطق سكنى أهل الكتاب:

و بعد، فإن النصارى لم يتوغلوا فى قلب الجزيرة العربيه، بل كانوا يسكنون على اطرافها: الحيره، و بلاد الشام، و كانت بعض القبائل العربيه تدين بالنصرانيه، دون ان يلتزموا بطقوسها الدينيه الا بصوره ضعيفه كما سنرى.

أما اليهود، فقد كانوا أولا هم حكام يثرب، بعد أن قدموها من بلاد فلسطين، فرارا من الاضطهاد الذى حاق بهم، ثم قدمها الأوس و الخزرج القحطانيون من اليمن، و تغلبوا عليها، و حصروا اليهود- و هم ثلاث قبائل:

بنو النضير، و قينقاع، و قريظه- فى مناطق معينه فى المدينه و اطرافها، و كانوا يسكنون فدكا و تيماء أيضا.

و يذكر هيكل: أنه كان يحظر على اليهود و النصارى سكنى مكه، إلا أن يكون أجيرا، لا يتحدث بشىء من امر دينه و من أمر كتابه. ثم يستثنى فى موضع آخر: العبيد منهم (١).

و لكننا نجد: أنه كان يسكنها المتنصره من العرب كورقه بن نوفل و اضرابه، و على كل حال، فان هذا الامر لا يهمننا تحقيقه كثيرا.

اهل الكتاب و هيمنتهم العلميه على العرب:

و ما يهمننا هنا: هو الاشاره إلى أن العرب كانوا ينظرون إلى أهل الكتاب نظر التلميذ إلى معلمه، و يعتبرونهم مصدر الثقافه و المعرفه لهم، حتى إننا لنجد فى التاريخ: أن العربى كان إذا أراد الاسلام يستشير حبرا، أو راهبا فى ذلك. بل نجد قبيله بكاملها تذهب إلى يهود فدك و تسألهم عن ٦.

١- راجع: حياه محمد، لمحمد حسين هيكل ص ٦٥ و ٦٦.

رسول الله، بعد أن عرض دعوته عليهم (١).

كما و يعرض الاسلام على كنده؛ فيأبونه؛ فيستدل بعضهم على صدق هذا النبي بأن اليهود قد قالوا: إنه سوف يظهر نبي من الحرم قد أظل زمانه (٢).

و اسلام أهل المدينة كان في مبدئه مستندا إلى نظير هذه الحجة، كما أشرنا، و سنشير إليه ان شاء الله تعالى (٣).

و عن ابن عباس، قال: (كان هذا الحى من الانصار- و هم اهل وثن- مع هذا الحى من اليهود، و هم اهل كتاب، فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم. و كانوا يقتدون بكثير من فعلهم (٤).

و قد اسلم وفد أهل الحيره، و كعب بن عدى، فلما توفى (صلى الله عليه و آله و سلم) ارتابوا؛ فثبت كعب على الاسلام، قال: ثم خرجت أريد المدينة، فمررت براهب كنا لا نقطع أمرا دونه (٥). إلى آخر كلامه، الذى ذكر فيه حصول اليقين له، بسبب كلام الراهب.

و ليلاحظ بدقه قوله: (كنا لا نقطع أمرا دونه)!

و أيضا، فقد تقدم فى الفصل الاول من هذا الجزء و سيأتى (٦): أن ٦

١- راجع: البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٤٥، و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ١٠٢.

٢- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ١٠٣.

٣- سيأتى ذلك فى الجزء الثانى فى فصل: حتى بيعه العقبه حين الكلام حول دخول الإسلام إلى المدينة.

٤- الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص ١٠٩ عن أبى داود. و قال: و انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٦١.

٥- الإصابه ج ٣ ص ٢٩٨ عن البغوى، و ابن شاهين، و ابن السكن، و ابن يونس فى تاريخ مصر، و أبى نعيم.

٦- سيأتى ذلك فى فصل: غدر اليهود، و الاغتيالات عن البدايه و النهايه ج ٤ ص ٦

أبا سفيان قد سأل كعب بن الأشرف عن: أن أي الدينين أَرْضَى لِّلَّهِ تَعَالَى، دينه أم دين محمد.

وقالت قريش لبعض يهود بنى النضير، وهم: سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، وكنانه بن الربيع، حين ذهبوا إلى مكة ليحرّضوا الأحزاب على حرب المسلمين، قالت لهم قريش: (يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد؛ أفديننا خير أم دينه، قالوا: بل دينكم خير من دينه، و انتم أولى بالحق منه، فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم، و نشطوا لما دعوهم إليه الخ) (١).

و نحن، و إن كنا نعلم أن زعماء قريش كانوا يعلمون الحق، و لكنهم كانوا يكتُمونه عنادا و استكبارا لقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ. و لكن الذى يلفت نظرنا هو هذا الاستغلال لنفوذ اليهود، و هيمنتهم العلميه، و اعتبارهم مصدرا للمعارف الدينيه.

و بالمناسبه فان التاريخ يعيد نفسه، فان نظره المسلمين إلى الاوروبيين الآن تشبه تماما، ما كانت عليه فى الجاهليه.

و أخيرا، فقد قال الحلبي و ابن هشام: (لا يخفى: أن كفار قريش بعثوا النضر بن الحرث، و عقبه بن أبي معيط، إلى احبار يهود بالمدينه.

و قالوا لهما: اسألاهم عن محمد، و صفا لهم صفته، و أخبراهم بقوله؛ فانهم أهل الكتاب الأول) (٢) ثم ذكر ما جرى بينهم و بين اليهود، ثم ما جرى لهم مع النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى مكه.

و الخلاصه: أن اخبارات أهل الكتاب تلك قد غرست فى ذهن ا.

١- سيره ابن هشام ج ٣ ص ٢٢٥/٢٢٦. و ستأتى بقيه المصادر فى غزوه الخندق.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ٣١٠، و سيره ابن هشام ج ١ ص ٣٢١.

العربي: أن نبيا سوف يخرج من منطقته، مما سهل عليه قبول دعوته (صلى الله عليه وآله وسلم)، و الإذعان للحق الذي جاء به؛ لأن الناس - باستثناء اصحاب المطامح والأهواء، والطواغيت منهم - لصفاء و سلامه طباعهم، و كونهم أقرب الى الفطره، و عدم تلوث فكرهم بالشبهات و الفلسفات المعقده كانوا يتقبلون الحق، و يذعنون له. و قبلتهم و عاداتهم إنما كانت تمنع فقط من انقياد بعضهم لبعض، بسبب غلظتهم، و انفتهم، و بعد همهم. و لكن لم يكن ذلك يمنعهم من قبول الحق، و الإذعان لإرادته السماء (١).

٦- الفراغ العقائدى و السياسى: أ: الفراغ العقائدى:

لقد كان العرب يعانون من فراغ عقائدى هائل، عبر عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله المتقدم: (بعثه، و الناس ضلال فى حيره، و حاطبون فى فتنه، حيارى فى زلزال من الأمر، و بلاء من الجهل).

و يكفى أن نذكر: انهم حتى عبادتهم للاصنام قد كانت ملونه باللون القبلى، فلكل قبيله بل لكل بيت وثن، و طريقه.

و كثيرا ما كانت دوافعهم إلى عباده تلك الاصنام عاطفيه، بعيده عن اساليب التبرير العقلى، و المنطقى، فارتباط العربى بهذا الصنم إنما هو لأن هذا الصنم مرتبط بتاريخ أبيه أو جدّه. فالعربى يعتز بنسبه بحسب طبعه، و بما ينسب إليه، قال تعالى حكاية لذلك عنهم: (بَلْ قَالُوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّهٖ، وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّهْتَدُونَ (٢)).

١- راجع: البيان و التبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٢٧.

٢- الزخرف: ٢٢.

و مما يدل على أن عبادتهم للاصنام لم تكن عن تعقل و قناعه هو أن الذين كانوا يرجعون إلى فطرتهم، و الى عقولهم سرعان ما يدركون منافرتها للفطره، و لأحكام العقل السليم، و يرغبون بالخروج من هذا الجو، و لذلك نجد المؤرخين يذكرون: أن عبد المطلب قد رفض عباده الاوثان، كما و يذكرون: أن ورقه بن نوفل، و عثمان بن الحويرث، و زيد بن عمرو بن نفيل، و عبید الله بن جحش قد تبرموا من عباده الاوثان، و عبروا عن ضعف ثقتهم فيها، فاجتمعوا و تشاوروا فتنصر الأولان، و بقى الآخران فى حيرتهم و شكهم (١).

ب: الفراغ السياسى: فإن أرض العرب القاحله، و الجو الحار الذى تتميز به، و حياتهم المتنقله من مكان الى مكان، و قدرتهم على تحمل المشاق. قد جعل السيطره عليهم شبه مستحيله حسبما قدمنا. بل جعلهم بحسب طبيعه ظروفهم الحياتيه قادرين على توجيه الضربات القاصمه لكل دخيل، و جعله فى رعب دائم، و خوف مستمر، الأمر، الذى اسهم بشكل فعال فى ابعاد أطماع المستعمرين عن منطقتهم، مع قناعه المستعمر بأنه سوف لا- يجنى الكثير من النفع، فى مقابل الكثير من الضرر الذى سوف يتعرض له، و لا- سيما مع علمه بأن حب الانطلاق فى البدايه بلا- رقيب و لا حسيب مغروس فى دم العربى، و فى روحه، و فى أعماق أعماقه، و لا يتنازل عن ذلك بأى ثمن كان.

فكل ذلك قد جعل المنطقه فى فراغ سياسى محسوس، بل إن شمالي الجزيره العربيه لم يتعرض لأى حكم أجنبى أصلا نعم قد تعرض جنوبها و هو اليمن لسلطه الاحباش لفته قصيره (٢). ٨.

١- راجع: البدايه و النهايه ج ٢ ص ٢٣٧-٢٣٨ و حياه محمد لهيكل ص ٨٩ و غير ذلك.

٢- راجع: مختصر تاريخ العرب، للسيد أمير على ص ٨.

و هذا الفراغ السياسى قد جعلها بعيده عن نفوذ الأديان الكبرى بشكل فعال، و لو بفرض من السلطه الحاكمه، كالنصرانيه و الزرادشتيه، و حتى عن التأثير باليهوديه التى كانت تعيش بينهم و معهم، فبقيت المنطقه بعيده عن الشبهات و الافكار الغريبه و الدخيله، و إن كان قد تسرّب إليها بعض اليهود فرارا من الرومان، و لكن لم يكن لهم أى نشاط دينى، أو لعله كان، و لكنه لم يثمر، إذ لم يكن ثمة سلطه تدعمه سياسيا و اعلاميا، و لذلك فقد اشرنا الى أنهم يذكرون أن نصارى تغلب ما كانوا يتمسكون من النصرانيه إلا بشرب الخمر (١) بل إن جميع نصارى العرب كانوا كذلك (٢).

و ما ذلك إلا لأن النصرانيه بعيده عن عقل و فطره الانسان، و لا تستطيع أن تتصل بروحه و وجدانه لتفرض هيمنتها على أفعاله، و سلوكه.

أما الاسلام دين الفطره الذى استطاع بفترة و جيزه أن يصنع أمثال أبى ذر، و عمار، و سلمان، فانه يتصل أولا بعقل الانسان، ثم بروحه و وجدانه، حتى يحوله إلى انسان إلهى بكل ما لهذه الكلمه من معنى، و قد استطاع أن يجعل من هؤلاء المتوحشين إلى الامس القريب، و الذين لا يلتزمون بنظام، و لا يحكمهم قانون، اكثر الامم أتباعا للنظم، و اشدها إيمانا و اخلاصا للقانون الالهى.

كما و يلاحظ أن من رباهم النبى و الائمة فى فترات و جيزه جدا. مع محدوديه إمكاناتهم لم تستطع الحكومات الاخرى، حتى التى تنسب نفسها إلى الاسلام أن تأتى بأمثالهم، رغم توفر كل الامكانيات لها، الأمر الذى يشير بوضوح إلى الدور الكبير الذى يضطلع به القائد و الحاكم الحق ٧.

١- المصنف للصنعانى ج ٦ ص ٧٢ و ج ٧ ص ١٨٦ و السنن الكبرى ج ٩ ص ٢٨٤.

٢- المصنف للصنعانى ج ٦ ص ٧٢ و ٧٣ و ج ٧ ص ١٨٦ و السنن الكبرى ج ٩ ص ٢١٧.

فى تربيه المجتمع، و فى تزكيتة.

قال المعتزلى: (و الغالب على أهل الحجاز الجفاء و العجريفه، و خشونه الطبع. و من سكن المدن منهم، كأهل مكه، و المدينه، و الطائف؛ فطباعهم قريبه من طباع أهل الباديه بالمجاوره.

و لم يكن فيهم من قبل حكيم و لا فيلسوف، و لا صاحب نظر و جدل، و لا موقع شبهه، و لا مبتدع نحله الخ) (١).

و خلاصه الأمر: إن صفاء نفوس عرب الحجاز و عدم تلوثها بالافكار، و الانحرافات و الشبهات الغريبه عن الفطره، بالاضافه إلى الفراغ العقائدى، و عدم معقوليه شركهم، و عبادتهم للاوثان، ثم الحاله الاجتماعيه السيئه التى كانوا يعانون منها- كل ذلك قد اسهم اسهاما كبيرا فى نشر الدعوه الاسلاميه، و قبولها.

و لذلك ترى أن كثيرا منهم كانوا يسلمون بمجرد سماعهم كلامه (صلى الله عليه و آله و سلم)، و اطلاعهم على أصول دعوته و اهدافها، أو بمجرد ان يتلو عليهم القرآن.

و إذا ما رأينا ساداتهم و كبراءهم- عموما- كانوا يجحدون بهذه الدعوه الحقه، فليس ذلك لأنهم لم يجدوا فيها ما يقنعهم، بل لأنهم وجدوها تضر بمصالحهم الدنيويه، و تصدهم عن مطامعهم اللانسانيه؛ فهم مصداق لقوله تعالى: (وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ) (٢).

و لذلك نلاحظ: أن الناس ما كانوا يتطلبون الاستدلال على التعاليم و الافكار الدينيه كثيرا، فى أول الأمر؛ لأن صفاء نفوسهم، و سلامه فطرتهم، و عدم ارباكها و ارهاقها بالافكار، و الفلسفات، و الشبهات كان ٤.

١- شرح النهج للمعتزلى ج ٧ ص ٥١.

٢- النمل / ١٤.

كافيا لادراك حقانيه الدعوه، و سلامه افكارها. و كانت الآيات انما تحاول إرجاعهم إلى الفطره و تدعوهم إلى التفكير، و التعقل.

و لكن بعد أن دخلت الفلسفات و الافكار الغريبه، و الشبهات المغرضه، إلى فكر و عقل هذا الانسان، و حجت فطرته، و أربكت تفكيره و أرهقت عقله، صار الناس يحتاجون اكثر فأكثر إلى الادله، و يتطلبونها من الائمه، بحسب نسبه تلوث فطرتهم بالشبهات و الافكار الغريبه.

٧- الحياه الصعبه، و التضحيه بالنفس:

و كانت بدائيه العرب، و حياتهم الصعبه، التي يعانون منها، قد جعلتهم اكثر اقداما على التضحيه في سبيل الدعوه التي يؤمنون بها عن قناعه وجدانيه راسخه، و يتفاعلون معها تفاعلا روحيا خالصا.

و ذلك لأنهم لم ينعموا بحياه النعيم و الرفاهيه، التي لا تعب فيها و لا نصب، و لا آلام؛ ليصبح لهم تعلق شديد بالحياه، و حب، بل و عشق لها، فان من الملاحظ: أنه كلما كانت الحياه رخييه ناعمه مرفهه، كلما ازداد تعلق الانسان بها، و حبه لها. و كلما كان العكس، سهل عليه تركها، و التخلي عنها.

كما أن الدعوه التي سوف يتعرض أفرادها لمختلف أنواع الضغوط النفسيه، و الاقتصاديه، و الاجتماعيه و اقساها، بحاجه ماسه إلى جماعه قادرين على مواجهه تلك الضغوط، و تحمل تلك الآلام، و الصبر على التعذيب، و الجوع و الاضطهاد، بمختلف انواعه.

و قد كان العرب- عموما- كذلك؛ لأنهم قد عانوا من مشاق الحياه و الطبيعه ما عانوا. و أصبحت الآلام و المتاعب و المصاعب هي الصفه المميزه لحياتهم بل هي خبزهم اليومي و غير ذلك هو الاستثناء. فهم أقدر من غيرهم على تحمل ما ينتظر أتباع هذه الدعوه؛ لأن المنعمين لا

يستطيعون عادة تحمل المشاق، وواجهه الصعوبات فان الشجره البريه اصلب عودا، و أبطأ خمودا؛ و لذلك نجد: أن بعض المسلمين كانوا يودّون لو يجعلون امتيازاً لأحدهم، و هو ابن عمير لأنه كان منعماً قبل أن يسلم، و حينما أسلم تعرض للمشاق و الآلام، فذلك جعلهم يشعرون بأنه قد تحمل من المصاعب و الآلام ما يوجب الرثاء و الرحمه له؛ و ما ذلك إلا إنطلاقاً من الناحيه التي اشرنا اليها آنفاً.

٨- بقايا الحنيفيه فى العرب:

و بعد، فان مما ساعد على ذلك أيضاً، وجود بقايا الحنيفيه- دين ابراهيم كالحج و آدابه- فى الجزيره العربيه، و فى مكه بالذات؛ لأن العرب، و هم أولاد اسماعيل، قد توارثوا عنه الدين الحق و كانوا يعتزون بذلك، و قد قال الله تعالى لهم: **مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** .. و لكنهم على مر السنين بدؤا يخلطون هذا الحق بكثير من الباطل، شأن سائر الأمم، عند ما يغشاها الجهل، و تستبد بها الاهواء، و الانحرافات.

ثم تسرب إليهم الشرك، و عباده الاوثان، حسبما قدمنا، ثم الكثير من الامور الباطله، و الاخلاق الذميه، و الفواحش، حتى اصبحوا فى الجاهليه العمياء، و حتى أدى بهم الامر الى الحاله التى وصفها لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما تقدم، غير أن بقيه منهم- و ان كانت قليله جدا- قد بقيت متمسكه بعقيده التوحيد، و ترفض عباده الاوثان. و تعبد الله على حسب ما تراه مناسباً، و قريباً إلى تعاليم دين ابراهيم. و من هؤلاء عبد المطلب، و أضرابه، من رجالات بنى هاشم الأبرار.

و كان من بقايا الحنيفيه تعظيم البيت، و الطواف به، و الوقوف بعرفه، و التلبيه (١) و هدى البدن، و إن كانوا يطبقون ذلك مشوهاً و ممسوخاً، ع.

١- ذكر اليعقوبى فى تاريخه ج ١ ص ٢٥٤-٢٥٧ ط صادر تلييات كل قبيله، و أعطى نبذه عن شعائهم فى مكه، فمن أراد فليراجع.

و يقحمون فيه ما ليس منه. و كانت هذه المعالم تضعف رويدا رويدا، مع الزمن، حتى لم يبق منها إلا-الاسماء، و الرسوم الشوهاء.

و قد روى عن الامام الصادق (عليه السلام) ما مفاده: إن العرب كانوا أقرب الى الدين الحنيفى من المجوس؛ فان العرب يغتسلون من الجنابه، و الإغتسال من خالص شرايع الحنيفيه. و هم أيضا يختنون، و هو من سنن الانبياء، كما أنهم يغسلون موتاهم، و يكفنونهم، و يوارونهم فى القبور، و يلحدونهم، و يحرمون نكاح البنات و الأخوات، و كانوا يحجون إلى البيت و يعظموه، و يقولون: بيت ربنا، و يقرون بالتوراه و الانجيل، و يسألون أهل الكتب، و يأخذون منهم. و كانت العرب فى كل الاسباب اقرب إلى الدين الحنيفى من المجوس (١).

إذن، فقد كان ثمة ذكريات بعيدة فى ضمير و وجدان الانسان العربى، تربطه بالحنيفيه السهله السمحاء، دين آبائه و أجداده- و هو الذى يعتز بالانساب وصفائها، بحكم ما يتعرض له من الغزو و السبى الموجب للتهمة أحيانا- و إذا كان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قد بعث ليتمها؛ فمن الطبيعى أن يكون لهذه الذكريات أثر فى نظره كثير من الناس إليه، و إلى ما جاء به بإيجابه و واقعيه.

٩- الخصائص و العادات العربيه:

و لقد كان لبعض الخصائص، و الاخلاق، و العادات العربيه، اثر كبير فى نشر دعوه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)، التى هى دعوه الحق و الخير و شمولها. و إن كان الاسلام الذى استفاد من تلك الخصائص و العادات و الأخلاق، قد حاول إلى جانب ذلك تركيزها من حيث المنطلقات و الأهداف على أسس صحيحه و مقبوله. و أما إن كانت مرفوضه ٨.

١- راجع: الاحتجاج، للطبرسى ج ٢ ص ٩١/٩٢ و البحار ط مؤسسه الوفاء ج ٧٨ ص ٨.

إسلاميا، فانه- و إن كانت قد أفادته تلقائيا، و من دون أن يتطلب هو ذلك- كان يحاول القضاء عليها، و استئصالها، بالحكمه و الموظه الحسنه، كلما سنحت له الفرصه، و واته الظرف.

فمثلا: لقد استفاد الاسلام كثيرا من شجاعه العربى، و استهانتته بالصعاب، فى الدفاع عن الاسلام.

و أيضا، فقد كان للتعصب القبلى بعض الفوائد الهامه، حتى ليدكرون أنه بعد الهجره الى المدينه؛ كان الأوس و الخزرج: (يتصاولان مع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا فيه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) غناء الإ قالت الخزرج: و الله، لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى الاسلام؛ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها. قال: و إذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلك) (١).

و أما قبل الهجره فى مكه، فقد كان للقبليه أثر كبير فى منع قريش و غيرها مده طويله من المضايقات لكثير ممن اعتنقوا الاسلام، ثم من محاوله الاعتداء على حياته (صلى الله عليه و آله و سلم)، أو على حياه اكثر المسلمين آنذاك، و إن كانت تواجههم بالمضايقات أحيانا، و احيانا بالتعذيب القاسى، إن لم يكن لهم عشيره يرهب جانبها، حتى أذن الله تعالى لهم بالهجره إلى المدينه.

و لذلك نلاحظ: أن أبا طالب (رحمه الله) قد استفاد كثيرا من العامل القبلى، حتى إن بنى هاشم مسلمهم و كافرهم قد قبلوا بمحاصره قريش لهم. و كانوا معه فى شعب ابى طالب كما سيأتى. و تجد فى شعر أبى طالب الكثير من التأكيد على عامل القرابه بين بنى هاشم و طوائف من ٦.

١- تاريخ الطبرى ط الاستقامه ج ٢ ص ١٨٤ د و راجع الكامل لابن الأثير ط صادر ج ٢ ص ١٤٦.

قريش. الأمر الذى كان له أثر كبير فى حفظ حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) من كيد أعدائه كما قلنا.

بل إننا نجد المشركين حتى فى عدائهم له (صلى الله عليه وآله وسلم)!!، وحتى حينما تأمروا عليه ليقتلوه- وكان ذلك هو سبب هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم)- قد أخذوا بعين الاعتبار العلاقات القبليه، و ردّات الفعل التى سوف تنجم عنها فاخترتوا عشره اشخاص، من كل قبيله رجلا، ليضربوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسيوفهم فى آن واحد و سيأتى ذلك إنشاء الله تعالى.

و فى المدينه ايضا كان ثمه أثر كبير لكرم ضيافه العربى، و لوفائه بالعهد و الذمار، و لحسن الجوار، و لحرите، و حميته، و انفته و عزته، و اعتداده بنفسه، و قوه إرادته، و للشجاعه، و الاقدام، و حتى لصفات القوه و الغلظه، التى ولدتها فيهم حياه الغزو و الحرب، و جعلتهم قادرين على التخلّى عن العواطف فى سبيل دينهم و عقيدتهم، حتى لقد كانوا يقتلون ابناءهم، و آباءهم، و اخوانهم.

١٠- دور أبى طالب، و على (ع) و أموال خديجه «عليها السلام»:

ثم إننا يجب أن لا ننسى الدور الذى اضطلع به الرجل العظيم، أبو طالب شيخ الابطح (عليه السلام)، الذى وقر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حمايته المطلقه من كل أعدائه و مناوئيه.

ثم هنالك العامل الاقتصادى الذى وفرته له زوجته أم المؤمنين خديجه صلوات الله و سلامه عليها، و التى كانت تمتلك- حسبما يرى البعض- عصب الاقتصاد فى الجزيره العربيه كلها.

و قد أنفقت كل تلك الأموال على المسلمين، فى الظروف الحرجه

التي واجهوها، إبان اضطهاد قريش و حصارها الاقتصادي لهم.

و مما يدل على أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) كان يتولى الانفاق على المسلمين، من أموال خديجه و أبي طالب (١) قول أسماء بنت عميس لعمر (٢) حين عثرتا بأنه سبقها بالهجره، و إنها حبشيه حجريه- على ما نقل عن صحيح مسلم و غيره- قالت له: (كنتم مع النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) يطعم جائعكم، و يعظ جاهلكم (٣)).

و أخيراً، فيجب أن لا ننسى دور وصي و أخى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، أمير المؤمنين (عليه السلام)، حسبما سيظهر ان شاء الله- و لو بنحو محدود- في مطاوى هذه السيره العطره.

نعم لقد كان لكل ذلك دور هام في حفظ الدعوه، و انتصارها، و انتشارها، كما لا يخفى على الناقد البصير، و المتتبع الخبير.

و ثمة أسباب أخرى قد ساعدت على ظهور الاسلام، و انتشاره، و انتصاره، يمكن استجلاء بعضها من مطاوى التاريخ الاسلامي.

و نحن نكتفى هنا بهذا القدر؛ لنوفر الفرصه لعرض حياه النبي الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) بعد البعثه، و بشكل موجز و واضح قدر الامكان.٤.

١- البحار ج ١٩ ص ١٦ و أموال خديجه أمرها أشهر من أن يذكر فراجع أمالي الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨١ / ٨٢ و البحار ج ١٩ ص ٦١ و ٦٢.

٢- ستأتى مصادر ذلك في فصل: هجره الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم ، حين الكلام حول ثروه أبي بكر.

٣- قاموس الرجال ج ١٠ ص ٣٨٠ و حياه الصحابه ج ١ ص ٣٦١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٢٠٥ و صحيح مسلم ج ٧ ص ١٧٢ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٧٢ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٣٥ ط سنه ١٣٠٩ هـ، و كنز العمال ج ٢٢ ص ٢٠٦ عن أبي نعيم، و الطيالسي، و مسند أحمد ج ٤ ص ٣٩٥ و الأوائل ج ١ ص ٣١٤.

تنبيه هام و ضرورى:

إن كل ما ذكرناه آنفا لا يعنى: أن ظهور الاسلام، و انتشاره فى الجزيره العربيه قد كان أمرا طبيعيا، بحيث إنه لو توفرت هذه العوامل لأى دعوه أخرى، فانها تستطيع أن تحقق نفس النتائج التى حققها الاسلام.

بل الامر على العكس من ذلك تماما، فان ظهور الاسلام، و انتصاره فى هذه المنطقه هو بذاته معجزه له، و دليل على حقانيه الاسلام؛ و ذلك لأن اليهوديه قد كانت موجوده، و كانت هذه الظروف أيضا موجوده، و لكنها لم تستطع أن تؤثر أثرا يذكر فى عقله العربى، و لا فى سلوكه، و تصرفاته (١).

و كذلك الحال بالنسبه للنصرانيه، التى كانت تهتم فى تنصير كل من تقدر على تنصيره. ثم هناك الزرادشتيه و غيرها من الاديان.

و هذا معناه: أن لنفس المبدأ، و الرساله، و القائد دورا هاما جدا، بل و الدور الأول و الاساس فى عمليه التغيير و فى النجاح و فى استمراره.

و بدون ذلك، فان كل نجاح- لو كان- فلسوف يكون محدودا جدا، و لظروف معينه، و لسوف ينتهى بمجرد انتهاء تلك الظروف.

و قد رأينا الاسلام رغم ما عاناه من مصائب و بلايا حتى على أيدى أبنائه- كان و لا يزال يزداد قوه و فعاليه على مر الزمن، و فى مختلف الظروف و الأحوال، و لم يؤثر فقدان تلك الظروف و العوامل، و لا تحولها و تقلبها لا فى الاسلام، و لا فى فعاليته، إن لم نقل: إنه قد زاد فى ذلك بشكل ظاهر.

و الذى يفسر لنا هذه الظاهره، هو ما ذكرناه آنفا من أن الاسلام يستطيع أن يستوعب طاقات الانسان، و يحولها و يطورها فى مصلحتهن.

١- و إن كان دين اليهود مقصورا عليهم و لا يتعداهم إلى غيرهم من الأميين.

الرساله و الحق. كما أنه يستطيع أن يتلائم مع الظروف المختلفه، فهو يملك لكل داء دواء، و لكل مشكله حلا، و لكل ظرف ما يناسبه، على عكس غيره من الدعوات الجامده، و المحدوده.

و لذلك، فان الاسلام عند ما نجح فى الجزيره العربيه، و إن كان قد استفاد من بعض الظروف، و حوّل و طوّر الاوضاع السائده فى صالحه، إلا أنه كان فى نفس الوقت لا يجد فى المنطقه التى ظهر فيها الكثير من المميزات الهامه التى من شأنها أن تساعد فى مهمته. و لولاها فان أى دعوه أخرى لا تستطيع أن تنجح. و لكن فقدما لم يؤثر على الاسلام، كما أن امتلاك اعدائه لها لم يؤثر عليه أيضا.

و هذا أحد أسرار عظمه الاسلام و سموه. وفقنا الله للعمل فى سبيله، و الاهتداء بهديه، إنه ولى قدير.

ص: ٢٣٧

القسم الثاني من البعثه حتى الهجره

اشاره

ص: ٢٤٠

الباب الأول: من البعثه الى الاعلان بالدعوه

اشاره

ص: ٢٤٢

الفصل الأول: البعثه و المعجزه

اشاره

عمر النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» حين البعثة:

لقد بعث (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد عام الفيل بأربعين عاما، أى حينما بلغ الأربعين من عمره الشريف، على قول أكثر أهل السير، والعلم بالأثر. و كان قبل ذلك يسمع الصوت ولا يرى الشخص حتى تراءى له جبرائيل وهو فى سن الأربعين.

وقيل: بل كان عمره (صلى الله عليه وآله وسلم) حين بعثته إثنين، وقيل: ثلاثا. وقيل خمسا وأربعين سنة (١).

و ربما لا يكون بين هذه الأقوال منافاه إذا كان القائلون بها يأخذ بعضهم، وبعضهم الآخر لا يأخذ السنوات الأولى، وهى فتره الدعوه الإختيارية، أو فقل: السريه بنظر الإعتبار و التى قد اختلف فى مقدارها من ثلاث إلى خمس سنوات (٢).٣.

١- راجع فى ذلك كلاً أو بعضاً سيره مغلطاي ص ١٤، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٢٤، و تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٢ و ٤٣، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٤، و فى الطبرى ج ٢ ص ٤٢ روايه تفيد: ان عمره صلى الله عليه وآله وسلم كان حينئذ عشرين سنة، و هى روايه لا يرتاب أحد فى بطلانها. و راجع مشاهير علماء الأمصار ص ٣.

٢- البحار ج ١٨ ص ١٧٧ و ١٩٤ عن إكمال الدين ص ١٩٧ و التمهيد فى علوم القرآن ج ١ ص ٨١ / ٨٢ و راجع: تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٩ و سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٨٠، و المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٣.

أو لعل بعضهم لم يكن يرى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرسل في تلك الفترة إلى الناس كافة، أو أنه كان مكلفاً بدعوه الأقرين فقط.

كما أن ذلك لعله هو سبب الإختلاف الظاهري في مده بقاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة داعياً إلى الله فيها قبل الهجرة، حيث قال بعضهم إنه: (صلى الله عليه وآله وسلم) بقى عشر سنين. وقال آخرون: ثلاث عشره سنه.

تاريخ البعثة، وكيفيه نزول القرآن:

والمروى عن أهل البيت (عليهم السلام) - وأهل البيت أدرى بما فيه وأقرب إلى معرفه شؤون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الخاصه:-

أن بعثه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت في السابع والعشرين من شهر رجب. وهذا هو المشهور بل ادعى المجلسي الإجماع عليه عند الشيعة، وروى عن غيرهم أيضاً (١).

وقيل: إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث في شهر رمضان المبارك، و اختلفوا في أى يوم منه (٢) وقيل في شهر ربيع الأول، و اختلف أيضاً في أى يوم منه (٣). ٨.

١- راجع السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٣٨ عن أبى هريره، و سيره مغلطاي ص ١٤ عن كتاب العتقى عن الحسين، و منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٣ ص ٣٦٢، و مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٣ و البحار ج ١٨ ص ٢٠٤ و ١٩٠.

٢- راجع: تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٤ و سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٥٦، و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٣/٢٢ ط صادر و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٦.

٣- المواهب اللدنيه ج ١ ص ٣٩، و سيره مغلطاي ص ١٤، و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٢ و التنبيه و الإشراف ص ١٩٨، و مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٧، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٣٨.

و استدلال القائلون بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بعث في شهر رمضان المبارك، وليس في رجب بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما بعث بالقرآن، و القرآن قد أنزل في شهر رمضان، قال تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)**، و قال: **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ (٢)**.

ثم ان هنا اشكالا آخر لا بد من الاشاره اليه؛ و حاصله: أن الآيتين المتقدمتين، و إن كانتا تدلان على نزول القرآن دفعه واحده على أحد الاحتمالين في معنى الآيتين، إلا أن قوله تعالى: **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ، وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (٣)** يدل على نزول القرآن متفرقا؛ لأنه عبر فيها ب (نزل)، الدال على النزول التدريجي، و فيما تقدم عبر بأنزل، الدال على النزول الدفعي بالاضافه إلى انه يقول فيها: **فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**. و بالاضافه إلى قوله تعالى: **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً (٤)** حيث دلت الآية على نزول القرآن تدريجا.

و أيضا، يجب ان لا ننسى هنا: ان بعض الآيات مرتبط بحوادث آنيه، مقيده بالزمان، كقوله تعالى: **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا (٥)** و كاعتراض الكفار الآنف و غير ذلك.

هذا كله عدا عن أن التاريخ المتواتر يشهد بأن نزول القرآن كان تدريجا، في مدة ثلاث و عشرين سنة، هي مدة الدعوه.

و قد اجيب عن إشكال التنافي بين ما دل على النزول الدفعي و النزول التدريجي؛ بأن النزول الدفعي كان إلى البيت المعمور؛ حسبما نظقت به الروايات الكثيره، ثم صار ينزل تدريجا على الرسول الأعظم (صلى ١).

١- سورة القدر: ١.

٢- سورة البقره: ١٨٥.

٣- الإسراء: ١٠٦.

٤- الفرقان: ٣٢.

٥- المجادله: ١.

اللّٰه عليه وآله وسلم) (١).

و إذن، فليكن نزوله الدفعى كان ليله القدر و نزوله التدريجى قد بدأ فى السابع و العشرين من شهر رجب، و لا يبقى ثمة منافاه. و جواب آخر، يعتمد على القول بأن القرآن قد نزل أولاً دفعه واحده على قلب النبى الأعظم (صلى اللّٰه عليه وآله وسلم)، لكنه لم يؤمر بتبليغه، ثم صار ينزل تدريجاً بحسب المناسبات.

و ربما يستأنس لهذا الرأى ببعض الشواهد التى لا مجال لها (٢).

و رأى ثالث يقول: إن بدء نزول القرآن كان بعد البعثة بثلاث سنوات، أى بعد انتهاء الفتره السريه للدعوه، كما ورد فى عدد من الروايات، و نص عليه بعضهم (٣) و على هذا فلا يبقى تناق بين بعثته (صلى اللّٰه عليه وآله وسلم) و سلم فى شهر رجب، و بين نزول القرآن فى شهر رمضان المبارك (٤).

أما نحن فنقول:

أولاً: قال اللّٰه تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً (٥) فاستعمل التنزيل و أريد به النزول جمله واحده؛ فقولهم:

(تستعمل نزل فى خصوص التدريجى) لا يصح. ٢.

-
- ١- راجع: تفسير الميزان ج ٢ ص ١٥.
 - ٢- راجع: تفسير الميزان ج ٢ ص ١٨ و تفسير الصافى ج ١ المقدمه التاسعه، و تاريخ القرآن للزنجانى ص ١٠.
 - ٣- راجع: التمهيد فى علوم القرآن ج ١ ص ٨٢ / ٨٣ عن الكافى ج ٢ ص ٤٦٠، و تفسير العياشى ج ١ ص ٨٠ و الاعتقادات للصدوق ص ١٠١، و البحار ج ١٨ ص ٢٥٣، و مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٦١٠ و الاتقان ج ١ ص ٣٩ و تفسير شبر ص ٣٥٠، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٤ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٣٤.
 - ٤- التمهيد ج ١ ص ٨١ و ٨٣.
 - ٥- الفرقان: ٣٢.

ثانيا: إن تتبع الآيات القرآنيه يعطى عدم ثبوت الفرق المذكور بين:

(الانزال) و (التنزيل) مثلا- قد ورد فى القرآن قوله تعالى: **وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزَيْكِكَ حَتَّىٰ تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ** (١) مع أن الكتاب المقروء إنما ينزل دفعه واحده.

كما و يلاحظ: أنه يستعمل كلمه (نزل) تاره، و كلمه (أنزل) مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا.

و مثل ذلك كثير، لا مجال لنا لتتبعه فعلا. و كل ذلك يدل على عدم صحه هذا الفرق بين هاتين الصيغتين و قد أشار إلى هذا الجواب بعض المحققين أيضا (٢).

و ثالثا: قولهم: إن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قد بعث بالقرآن، غير مسلم. و لتكن الروايات الوارده عن أهل البيت، و القائله بأنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد بعث فى شهر رجب موجه لوهن قولهم هذا.

و رابعا: روايات نزول القرآن إلى البيت المعمور لا- مجال لإثباتها من طريق أهل البيت (عليهم السلام) و لا إلى الاطمينان إلى صحتها، كما ذكره الشيخ المفيد (٣).

و أما نزول القرآن أولا دفعه واحده على قلبه (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ فإن إثباته مشكل، و لا يمكن المصير إليه إلا بحجه.

و خامسا: حديث نزول القرآن بعد البعثه بثلاث سنوات، إستنادا إلى ما ورد من أن القرآن قد نزل خلال عشرين سنه، لا يمكن الإطمينان إليه، إذ يمكن أن يكون ذلك قد جاء على نحو التقريب و التسامح، و لم يرد ٨.

١-الإسراء: ٩٣.

٢- هو العلامه السيد مهدي الروحاني حفظه الله.

٣- تصحيح الاعتقاد ص ٥٨.

فى مقام التحديد الدقيق - و من عاده الناس: أن يلقوا الزائد القليل، أو أن يضيفوه فى إخباراتهم، و ليس فى ذلك اخبار بخلاف الواقع؛ لأن المقصود هو الاخبار بما هو قريب من الحد، لا بالحد نفسه، مع إدارك السامع لذلك، و التفاته إليه.

نعم يمكن أن تكون معانى القرآن و حقائقه قد نزلت على قلبه الشريف ليكون (صلى الله عليه و آله و سلم) إنسانا كاملا، يربى نفسه على تلك المعانى.

و لكن هذا ايضا يبقى مجرد احتمال، و يحتاج إلى إثبات.

و النتيجة هى: أنه لا مانع من أن يكون (صلى الله عليه و آله و سلم) قد بعث و صار نبيا فى شهر رجب، كما أخبر به أهل البيت (عليهم السلام) و هبى ليتلقى الوحي القرآنى. **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (١)**، ثم بدأ نزول القرآن عليه تدريجا فى شهر رمضان المبارك.

كما أنه لا مانع من ان تكون حقائق القرآن و معانيه قد نزلت عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) دفعه واحده، ثم صار ينزل عليه تدريجا.

و يؤيد هذا الإحتمال الأخير روايه رواها المفضل عن الإمام الصادق (عليه السلام) تفيد ذلك فلتراجع (٢) و يؤيده أيضا: ما ورد من أنه كان له ملك يسدده، و يأمره بمحاسن الأخلاق. و أن الملك كان يترائى له، قبل ان ينزل عليه القرآن (٣) و أن جبرئيل قد لقيه الخ ..

و يرى بعض المحققين (٤): أنه يمكن الجمع بين الآيات، بأن يقال:ه.

١- المزمّل: ٥.

٢- البحار ج ٩٢ ص ٣٨ و ج ١ ص ٥٣.

٣- التمهيد فى علوم القرآن ج ١ ص ٨٣ و يحتمل أيضا: أن يكون القرآن قد نزل فى شهر رمضان فى ليله القدر دفعه، لكنه لم يؤمر بتبليغه، ثم صار ينزل عليه تدريجا لأجل التبليغ فى المناسبات المقتضيه لذلك.

٤- هو العلامه السيد مهدي الروحاني حفظه الله.

إن شروع نزول القرآن كان فى ليله مباركه، هى ليله القدر من شهر رمضان، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن). و كان أول ما نزل حسب روايات أهل البيت (عليهم السلام)، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.

و الاستدلال بهذه الآيات: على أن القرآن نزل أولا- دفعه إلى البيت المعمور أو على قلب النبى، ثم صار ينزل تدريجا فى مده عشرين، أو ثلاث و عشرين سنه و ذلك إعتمادا على قرينه الحال، حيث إن المسلمين يرون نزوله تدريجا.

هذا الإستدلال غير صحيح، لأن من الممكن أن يكون المراد بالإتزال و التنزيل واحد و هو بدء النزول، فإنه إذا شرع نزول المطر فى اليوم الفلانى، و استمر لعهه أيام، فيصح أن يقال مثلا: سافرت يوم أمطرت السماء، أى فى اليوم الأول من بدء نزوله. و كذلك الحال بالنسبه للقرآن؛ فإنه إذا بدأ نزوله فى شهر رمضان، فى ليله القدر، فيصح أن يقال مجازا مع وجود القرينه، و هى النزول التدريجى: نزل القرآن فى شهر رمضان، و يكون المراد أنه قد بدأ نزوله التدريجى فيه.

و قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ محتف بقرينه حالیه؛ يعلمها كل أحد و هو نزول خصوص أول سوره (إقرأ) و استمر ينزل تدريجا بعد ذلك. و هذا كما صح أن يقال: كما أنزلناه من السماء، مع أن المطر ينزل تدريجا. و ما ذلك إلا لأهميه ذلك اليوم و خطره، و كل حادث خطير له امتداد زمنى، إنما يسجل يوم شروعه، فإذا قيل مثلا: متى كانت دوله العباسيين، فسيكون الجواب بذكر سنه التأسيس قطعاً.

و أما حديث البخارى فى بدء الوحى و الدال على اقتران نزول القرآن بالنبوه فسيأتى أنه باطل لا يصح.

ثم إنه يمكن تقريب كلام هذا المحقق بنحو آخر و هو أن قوله تعالى:

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ حِكَايَةٌ عَنْ أَمْرٍ سَابِقٍ، و لا يشمل هذا الكلام الحاكى له إلا بضرب من العناية و التجوز، و لا الذى يأتى بعده، و إلا لجاء التعبير بصيغه المضارع، أو الوصف فإنه يكون حينئذ هو الاوفق (١).

و لعل ابن شهر آشوب كان ينظر إلى هذا حين قال فى متشابهات القرآن: (و الصحيح: أن القرآن فى هذا الوضع لا يفيد العموم، و إنما يفيد الجنس، فأى شىء نزل فيه؛ فقد طابق الظاهر) (٢).

هذا و لكن قد ورد ما يؤيد نزول القرآن دفعه واحده أولاً، ثم صار ينزل تدريجاً بعد ذلك؛ فقد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: يا مفضل، إن القرآن نزل فى ثلاث و عشرين سنة، و الله يقول: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ. و قال: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ و قال: لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ.

قال المفضل: يا مولاي فهذا تنزيله الذى ذكره الله فى كتابه، و كيف ظهر الوحي فى ثلاث و عشرين سنة؟

قال نعم يا مفضل، أعطاه الله القرآن فى شهر رمضان و كان لا يبلغه إلا فى وقت استحقاق الخطاب، و لا يؤديه إلا فى وقت أمر و نهى فهبط جبرائيل بالوحي، فبلغ ما يؤمر به و قوله: لا تحرك به لسانك لتعجل به (٣).

و لكن ما سبق يضعف درجه الإعتقاد على هذه الرواية.٨.

١- قد أشار إلى ذلك فى: التمهيد فى علوم القرآن ج ١ ص ٨٤.

٢- التمهيد فى علوم القرآن ج ١ ص ٨٥.

٣- البحار ج ٨٩ ص ٣٨.

بدء الوحي و أول ما أنزل:

لقد كان بدء الوحي في غار حراء، و هو جبل على ثلاثه اميال من مكه و يقال: هو جبل فاران، الذى ورد ذكره فى التوراه إلا إن الظاهر هو أن فاران إسم لجبال مكه، كما صرح به ياقوت الحموى، حسبما تقدم، لا لخصوص حراء.

و كان (صلى الله عليه و آله و سلم) يتعبد فى حراء هذا، على النحو الذى ثبتت له مشروعيته، و كان قبل ذلك يتعبد فيه عبد المطلب.

و أول ما نزل عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) هو قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (١).

و هذا هو المروى عن أهل البيت (عليهم السلام) (٢)، و روى أيضا عن غيرهم بكثره. و يدل عليه أيضا سياق الآيات المذكوره. (٣)

و ربما يقال: إن أول ما نزل عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) هو فاتحه الكتاب (٤)، و لا سيما بملاحظه: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد صلى فى اليوم الثانى هو (صلى الله عليه و آله و سلم) و على (عليه السلام)، و خديجه (عليها السلام)، حسبما ورد فى الروايات.

و لكن من الواضح: أن ذلك لا يثبت شيئا؛ إذ يمكن أن تنزل الفاتحه بعد سوره إقرأ، بلا فصل، ثم يصلى و يقرؤها فى صلاته. كما أن ٤.

١- سوره العلق: ١ و ٢ و راجع تفسير البرهان.

٢- تفسير البرهان ج ١ ص ٢٩.

٣- الدر المنثور ج ٦ ص ٣٦٨ و الاتقان ج ١ ص ٢٣.

٤- الدر المنثور ج ١ ص ٢٤.

من الممكن أن تكون صلاتهم آتتد غير مشتمله على فاتحه الكتاب، ثم وجبت بعد ذلك و إن كان لم يذكر أحد ذلك.

أما قوله: عن الذى لا يقرأ بفاتحه الكتاب: لا صلاه له (١) وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): كل صلاه لا يقرأ فيها بفاتحه الكتاب فهى خداج (٢).

فهو لا ينافى ذلك إذ يمكن أن يكون ذلك تشريعا حادثا بعد ذلك.

هذا كله عدا عن أنهم يروون: أن سورة الفاتحه قد نزلت بعد المدثر (٣) أى بعد عده سنوات من البعثة.

هذا، و ثمة قول آخر، و هو أن أول ما نزل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) هو سورة المدثر (٤)! و ستأتى الإشاره إلى أنها قد نزلت بعد المرحله الإختياريه أو فقل: السريه، كما أنهم يروون روايات عديده تنافى قولهم هذا (٥).

و على كل حال، فإن تحقيق هذا الأمر لا يهمننا كثيرا، فلا بد من توفير الفرصه للحديث عن الأهم فالأهم.

و لا بأس بأن نعطف الكلام هنا إلى الحديث عن معجزته (صلى الله عليه وآله وسلم)، و هى القرآن، و سر إعجازه، فان ذلك ربما تكون له أهميته البالغه، لمن يريد أن يقرأ سيره النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، و يستفيد منها: عقيدته، و شريعته، و أدبا، و سلوكا. ٢.

١- الوسائل ج ٤ ص ٧٣٢.

٢- الوسائل ج ٤ ص ٧٣٣.

٣- الاتقان ج ١ ص ٢٤.

٤- الاتقان ج ١ ص ٢٣، و البخارى، و غيره و الأوائل للطبرانى ص ٤٣ و ستأتى الروايه.

٥- راجع تفسير الميزان ج ٢ ص ٢٢.

مع العلم بأن كثيرا من الأحداث قد جاءت مرتبطة بالقرآن، و كانت سببا في نزول طائفه من آياته و لا بد من الإستدلال به عليها، فنقول:

إعجاز القرآن:

لقد تحدى الله أعداء الإسلام بأن يأتوا بمثل القرآن، فلما عجزوا تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن، فعجزوا عن ذلك أيضا، ثم صعد تحديه لهم، و طلب منهم أن يأتوا بسوره واحده من مثله، فلو أنهم استطاعوا أن يأتوا و لو بقدر سوره الكوثر، التي هي سطر واحد، لثبت بطلان هذا الدين الجديد من أساسه، ما دام أنه هو قد قبل بهذا التحدى مسبقا، و لكانوا قد وفروا على أنفسهم الكثير من الويلات، التي أقدموا عليها بإعلانهم الحرب على النبي الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و التي أدت إلى إزهاق النفوس الكثيره، و هدر الطاقات العظيمه، و غير ذلك من مصائب و كوارث، انتهت بهزيمتهم، و انتصار الإسلام و قائده الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم).

فما هي تلك الخصيصة التي في القرآن، و التي جعلتهم يعجزون عن مجاراته، و حتى عن أن يأتوا ب (سوره من مثله)؟!.

بل ما هي تلك الخصيصة التي سوغت التحدى بالقرآن للإنس و الجن معا دون اختصاص بزمان دون زمان، قال تعالى: قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (١).

ربما يقال: إنها اخباراته الغيبية الصادقه، سواء بالنسبه إلى الماضين كقوله تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ، ما كُنْتَ أ.

تَعَلَّمَهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا (١). أو بالنسبة لتنبؤاته المستقبلية، كقوله تعالى: الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ (٢). و كاخباره بنتائج حرب بدر العظمى، و غير ذلك (٣).

و ربما يقال: إنه لتضمن القرآن للمعارف العلميه، التي تنسجم مع العقل و البرهان. و اخباراته عن سنن الكون و أسرار الخليقه، و أحوال النظام الكونى، و غير ذلك من أمور لا يمكن الوصول إليها إلا بالعلم و المعرفه الشامله و الواسعه، الأمر الذى لم يكن متوفرا فى البيئه التى عاش فيها النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) كقوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ وَ غير ذلك من الآيات التى تشير إلى دقائق و حقائق علميه، فى مختلف العلوم و الفنون.

و ربما يقال: إن إعجازه إنما هو فى نظامه التشريعى الذى جاء به، و الذى لا يمكن لرجل عاش فى بيئه كاليئه التى عاش فيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) و عانى من الظروف و الأحوال الإجتماعيه، و مستوى الثقافه فى ذلك العصر، أن يأتى بمثل ذلك مهما كان عظيما فى فكره، و ذكائه، و سعه أفقه.

و لربما نجد الإشاره إلى هذين الرأيين فى قوله تعالى: قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤). ٤.

١- هود ٤٩ و ليراجع أيضا سوره يوسف ١٠٢ و سوره آل عمران ٤٤ و غير ذلك.

٢- أول سوره الروم.

٣- راجع: البيان للخواجى ص ٨١-٨٤.

٤- يونس: ١٦.

و أخيراً، فلربما يقال: إن إعجاز القرآن هو فى عدم وجود الإختلاف فيه، و لذلك ترى أنه قد تحداهم بذلك فقال: أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا (١).

و ثمة إشارات أخرى لجزئيات ربما يدخل أكثرها فما قدمناه ...

و لعل فيما ذكرناه كفايه.

و ثمة قول آخر، أكثر شيوعاً و معروفية و لا- سيما بين القدماء. و هو إعجاز القرآن فى الفصاحة و البلاغه. و قد كتبوا فى هذا الموضوع الشئ الكثير قديماً و حديثاً.

اما نحن فنقول: إن هذا الأخير هو السر الأعظم فى اعجاز القرآن الكريم حقاً. و هو يستبطن سائر الجوانب الإعجازيه المذكوره آنفاً و غيرها مما لم نذكره (٢).

لماذا الأخير فقط:

و أما لماذا هذا الأخير فقط دون سواه فإن ذلك واضح، حيث إننا نقصد ب (البلاغه) معنى أوسع مما يقصده علماء المعانى و البيان، و هذا المعنى يستبطن جميع وجوه الإعجاز و ينطبق عليها، و بيان ذلك يحتاج إلى شئ من البسط فى البيان فنقول:

إنه إذا كان الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أرسل للناسن.

١- النساء: ٨١.

٢- حيث يجد كل فريق فى هذا القرآن ما يناسب فكره و عقليته و يراه معجزاً حقاً؛ فالإخبارات الغيبية و النظام الكامل الذى أتى به و غير ذلك من أمور لا تخفى مما يمكن لأهل كل لغة أن يدركوها هى من مصاديق البلاغه لهم. و حتى الفصاحة و البلاغه فإن بالإمكان لغير العربى أن يدركها أيضاً بتعلم اللغة العربيه و معرفه سر القرآن أو الاعتماد على النقل القطعى ممن قد اطلع على بعض جوانب إعجاز القرآن.

كافه فلا- بد أن تكون معجزته بحيث يستطيع كل من واجهها: أن يدرك إعجازها، و أنها أمر خارق للعادة و أنها صادرة عن قدره عليا، و قوه قاهره، تهيمن على النواميس الطبيعيه، و تقهرها. و إلا فإنه إذا جاء شخص مثلا إلى بلد، و ادعى أنه يعرف اللغه الفلانيه، و لم يكن أحد في البلد يعرف شيئا من تلك اللغه، و لا سمع بها، فإنهم لا يستطيعون أن يحكموا بصدقه و لا بكذبه، إذ ليس لهم طريق لاثبات هذا الصدق أو الكذب.

و أما إذا ادعى أمرا لهم خبره فيه، و استطاعوا ان يتلمسوا فيه مواقع خرقه للنواميس الطبيعيه فلا- بد لهم من التسليم له و القبول بدعوته، لأن ذلك يكون قاطعا لعذرهم، و موجبا لخضوع عقولهم لما يأتي به.

و بكلمه .. لا- بد أن تكون معجزه النبي في كل عصر متناسبه مع خبرات ذلك العصر، و لكل من أرسل إليهم؛ ليتمكن إثبات إعجازها لهم، و إقامة الحجج عليهم. و إذا كان القرآن قد تحداهم أن يأتوا بسوره واحده من مثله، فلا بد أن يكون وجه الإعجاز فيه ساريا ليصل حتى إلى أصغر سوره فيه.

و إذا نظرنا إلى ما ذكره آنفا، فإننا نجد أن بعض السور لا تشتمل على شىء مما ذكره. مع ان التحدى به وارد.

اضف الى ذلك: أن الاخبار بالغيب مثلا لا يمكن ان يكون قاطعا لعذر من ألقى إليهم إلا بعد تحقق المخبر عنه. و قد يطول ذلك إلى سنوات عديده. أما من يأتون بعد ذلك فلربما يصعب عليهم الجزم بتحقيق ما أخبر به.

أما القضايا العلميه- فلربما لا- يكون من بينهم من له الخبرات اللازمه في تلك العلوم؛ ليتمكن إدراك الإعجاز فيها؛ فإن ذلك رهن بتقدم العلم، و تمكن العلماء من استجلاء تلك الحقائق من القرآن.

و حتى لو أدرك ذلك بعضهم، فلربما يحمله اللجاج، أو غير ذلك

من مصالحة الشخصية (بنظره) على إنكار ذلك وإخفائه - كما كان الحال بالنسبة الى أهل الكتاب، الذين كانوا يعرفون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يعرفون آبائهم، و يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه و الإنجيل.

و لكن الاحبار و الرهبان أخفوا ذلك و أنكروه، لمصالح شخصيه، أو لغير ذلك، مما وجدوا فيه مبررا للاقدام على خداع أنفسهم، و خداع غيرهم.

و هكذا يقال بالنسبه للإعجاز التشريعى، و غير ذلك من أمور.

و يبقى سؤال.

ما هو وجه الإعجاز فى القرآن إذن؟

و فى مقام الإجابة على هذا السؤال نقول:

بلاغه القرآن:

قبل كل شىء ينبغى التذكير بأن ما ذكرناه آنفا.

لا يعنى أن الإخبار بالغيب، و غير ذلك مما ذكرناه، و مما لم نذكره، غير موجود فى القرآن. بل هو موجود فيه بأجلى مظاهره و أعظمها، و هى معجزات أيضا لكل أحد و لكننا نقول: إن ذلك ليس هو الملاك الأول و الأخير لإعجاز القرآن، و إنما ملاك الإعجاز فيه هو أمر يستطيع كل أحد أن يدركه، و أن يفهمه - و هو أمر تشتمل عليه حتى السوره التى لا تزيد على السطر الواحد، كسوره الكوثر مثلا. و هو أيضا أمر يجده كل أحد، مهما كان تخصصه، و مهما كان مستواه الفكرى، و أيا كان نوع ثقافته، و فى أى عصر، و فى أى ظرف. و هو كذلك أمر يشمل كل ما تقدم، و سواه مما لم نذكره، و يضمه تحت جناحيه؛ و ذلك الأمر هو:

البلاغه:

فأما أن ما تقدم يرجع: إلى البلاغه؛ فلأن حقيقه البلاغه - كما

عرفوها- هي: مطابقه الكلام لمقتضى الحال، أو للاعتبار المناسب.

و القرآن مطابق لمقتضى الحال دائما و فى كل زمان، و الى الابد و مع كل شخص؛ لأنه خطاب لهم جميعا، و معجز له جميعا؛ فحين يخبر عن الغيب، فإنما اقتضى الحال ذلك. و كذلك حين يكشف عن أسرار الكون، و خفايا الطبيعه، و يشير الى بعض الحقائق العلميه، و كذلك أيضا حين يضع أعظم تشريع، و أروع نظام عرفته الإنسانيه، إلى غير ذلك مما تقدم ذكره و ما لم نذكره.

بل أن تكون ظروف نشأه الرسول الاعظم هي تلك، فإن ذلك له أهميه كبرى فى قبول الدعوه، و الإذعان لها. و كذلك فان الكلام الذى يختلف صدره و ذيله، أو يختلف من وقت لآخر. مع كون الهدف واحدا، و المخاطب و المتكلم واحدا. لا يمكن أن يكون بليغا، و لا مطابقا لمقتضى الحال، كما يقولون.

الإعجاز بالبلاغه كيف؟ و لماذا!؟!

و أما كيف عجزت الإنس و الجن، عن مجاراه هذا القرآن. و كيف أمكن اعتبار البلاغه القرآنيه هي سر الإعجاز فيه؛ فان ذلك يحتاج إلى توسع فى القول، و بسط فى البيان، فنقول:

إن لدلاله الكلام على المعنى فى مقام التفهم و التفهيم شروطا:

منها: أن يكون اللفظ الذى يليه المتكلم قادرا على تحمل المعنى المطلوب، بأى نحو من أنحاء التحمل، سواء من حيث مفردات الجملة، أو من حيث نوعيه تركيبها، أو من جهه المقايسه بينها و بين غيرها.

و منها: أن يكون المستوى الفكرى و الثقافى للمتكلم بحيث يستطيع أن يقصد تلك المعانى التى يقدر اللفظ على تحملها.

و منها: أن يكون ذلك المعنى منسجما أيضا مع نوعيه اختصاص

ذلك المتكلم، و مع مراميه و أهدافه.

و منها: قدره المخاطب او المخاطبين على استيعاب مقصود المتكلم، و لو على امتداد الزمن.

هذه هي الشروط التي لا بد أن تتوفر في عملية التفهم و التفهيم بين كل متكلم و مخاطب.

و لكن ذلك يحتاج إلى توضيح و تطبيق بالنسبه لما نحن بصددده، فنقول:

التوضيح و التطبيق:

و في مجال التوضيح و التطبيق نقول:

إن اللغة العربيه بما لها من خصائص و مميزات أقدر اللغات إطلاقاً على تحمل المعاني، فنجد أنهم يذكرون للجمله المؤلفه من كلمتين فقط عشرات الخصائص و المميزات التي تشير كل منها إلى العديد من الآثار المحتمله، التي يمكن للفظ أن يتحملها بالنسبه للمعنى المدلول، فالمسند إليه مثلا تاره يكون إسما جامدا، و أخرى مشتقا. و تاره يكون ظاهرا، و أخرى مضمرا، مقدا أو مؤخرا، محذوفا أو مذكورا، منكرا أو معرفا، و التعريف لكل واحد منها له أنحاء، لكل منها آثار و إشارات لخصوصيات في المعنى.

و كذا الحال في جانب المسند، الذي تاره يكون فعلا- بأقسامه الثلاثه- و أخرى إسما، جامدا، أو مشتقا، معرفا أو منكرا، مقدا أو مؤخرا، مذكورا أو محذوفا، إلى آخر ما هنالك. و كل واحد من هذه لها آثار مختلفه و متعدده يحتمل إرادتها أيضا.

فمثلا قد يكون ذكره للتحقير أو عكسه، أو للتبرك به، أو إيهام

استلذاذه، أو للتنبيه على غباوه السامع، أو للتقرير، أو للايضاح إلى غير ذلك.

و قد يحذف للتعظيم، أو للتحقير، أو للاستغناء عنه، أو لإيقاع السامع فى حيره، إلى غير ذلك مما هو مذكور فى محله.

و كذا سائر الخصوصيات التى ذكرناها، و مالم نذكره أكثر بكثير.

هذا بالاضافه الى الاستعارات، و الكنايات، و التعريضات، و الإشارات، و غير ذلك مما تكفل لبيانه علم المعانى و البيان و البديع.

حتى إنهم ليدكرون العديد من الإمتيازات لقوله تعالى: **فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ عَلَىٰ مَا كَانَ أَبْلَغَ كَلَامٍ عِنْدَ الْعَرَبِ.** و هو قولهم: (القتل أنفى للقتل).

و يكفى أن نشير الى أن جملة زيد قائم، إذا لوحظ المسند اليه فيها فإنه ظاهر، و مقدم، و معرف بالعلميه. و كل من هذا الثلاثه يقع على حالات كثيره. و كذا الحال بالنسبه للمسند و هو كلمه - قائم. ثم لا بد من ملاحظه الهيئه التركيبيه، و موقعها من غيرها، و مع مالها من متعلقات.

و هكذا يتضح أن الجملة الواحده ربما تفيد معنى له العديد من الخصوصيات الهامه، فكيف إذا لوحظت تلك الجملة مع غيرها من الهيئات التركيبيه الأخرى، ثم أريد استخلاص المعانى من المجموع.

هذا كله، بالإضافه الى لزوم معرفه أساليب العرب، و طرائق استعمالاتهم للكلام و مقاماتها، فإن ذلك يفيد كثيرا فى الوقوف على معانى القرآن، و فهم مراميه.

و قد روى أن بعضهم كان فى مجلس الإمام السجاد (عليه السلام)؛ فقال له: يا ابن رسول الله، كيف يعاتب الله، و يوبخ هؤلاء الاخلاف على قبائح اتاها أسلافهم، و هو يقول: **لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ؟!**

فقال زين العابدين (عليه السلام):

(إن القرآن نزل بلغة العرب، فهو يخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم؛ يقول الرجل التميمي، قد أغار قومه على بلد، و قتلوا من فيه: أغرتم على بلد كذا، و فعلتم كذا!)

و يقول العربي: نحن فعلنا ببني فلان، و نحن سبينا آل فلان، و نحن خربنا بلد كذا، لا يريد أنهم باشروا ذلك، و لكن يريد هؤلاء بالعدل، و أولئك بالافتخار: أن قومهم فعلوا كذا.

و قول الله عز و جل هذه الآيات انما هو توبيخ لأسلافهم، و توبيخ العدل على هؤلاء الموجودين؛ لأن ذلك هو اللغه التي نزل بها القرآن؛ و لأن هؤلاء الأخلاف أيضا راضون بما فعل أسلافهم، مصوبون لهم؛ فجاز أن يقال: أنتم فعلتم؛ إذ رضيتم قبح فعلهم (١).

و لا بد أيضا من معرفه خصوصيات الألفاظ و أسرار إختياراتها لمواقعها. و قد روى: انه لما نزل قوله تعالى: **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ** قال ابن الزبيرى: فنحن نعبد الملائكة و اليهود تعبد عزيرا، و النصرى تعبد عيسى (عليه السلام) فأخبر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: يا ويل أمه، أما علم إن ما لما لا يعقل و من لمن يعقل الخ (٢).

هذا، و لقدره اللغه العربيه على تحمل المعانى الدقيقه و العميقه، نجد أن الله تعالى قد اختارها لتكون لغه القرآن، و قد نوه بذلك، و وجه إليه الأنظار و الافكار، و دعا الى استخلاص المعانى الدقيقه من كتابه الكريم ٤.

١- الاحتجاج ج ٢ ص ٤١ و البحار ج ٤٥ ص ٢٩٦.

٢- راجع: الكنى و الألقاب ج ١ ص ٢٩٤.

فقال: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١) و قال: كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢) و قال: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (٣) إلى غير ذلك من الآيات؛ فلننظر بدقه إلى قوله: لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ و إلى قوله: لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ و إلى قوله: مُبِينٌ فإنه كله يشير إلى ما ذكرنا.

و بالنسبه للمستوى الفكرى، و هو الشرط الثانى نقول: لو قال شخص عادى لا اطلاع له على شىء من العلوم: (كل شىء يحتاج إلى عله). فإننا لا نفكر فى مقصوده كثيرا، بل ينتقل ذهننا مباشرة إلى أن مراده هو المؤثر الظاهرى فى وجود الشىء؛ فإذا أراد شخص أن يقول: لعله أراد العله الغائيه أو الماديه، أو الصوريه، أو قصد بالعله السبب، أو العله التامه و نحو ذلك. فإننا نقول له فوراً: لا، إن كلامه لا يدل على ذلك و لا ينظر إليه.

ولكن - لو قال نفس هذه الكلمه ابن سينا مثلاً؛ فإننا لا بد أن نفكر لنعرف: هل أراد بالعله واحداً مما تقدم أم لا؟. و هل أراد بالشىء البسيط أم المركب؟! و هل؟ و هل؟، إلى آخر ما هنالك من احتمالات، يمكن لابن سينا أن يقصدها من كلمه كهذه.

و إذا كان القائل طبيياً مثلاً فإننا لا بد أن نفتش عن معان تتناسب مع اختصاصه و نوع ثقافته. و حتى أهدافه، فإن كل ذلك يؤثر تأثيراً كبيراً فى تفهيم المعنى، و معرفه نوعه و مستواه، حيث لا بد و ان ينسجم مع تلك الاهداف، و يتلائم مع المستوى الثقافى و الفكرى للمتكلم.

و أما إذا كان القائل يمتاز بسعه الافق و الشموليه، كأمر المؤمنين ٩.

١- يوسف: ٢.

٢- فصلت: ٣.

٣- الشعراء: ١٩٩.

(عليه السلام)؛ فإننا لا بد و أن نعد أنفسنا لطرح أى احتمال، يتناسب مع شخصيه و مستوى و ثقافه و اهداف أمير المؤمنين (عليه السلام). و لا- بد أن نبحت الأعوام و السنين لتتمكن من التقرب- و لو بشكل محدود- إلى مراميه و أهدافه؛ لأن فهم جميع الخصوصيات التى يرمى إليها المتكلم لا يمكن إلا من قبل من يدانى ذلك المتكلم فى سعه الافق، و الشموليه، و عمق الفكر، و الغوص فى لجج الحقائق. و أين يمكن أن يوجد من هو مثل على فى مستواه العلمى الشامخ، سوى معلمه و أستاذه، النبى الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، ثم الأئمه من ولده؟

و لعل إلى هذا يشير ما روى عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): يا على، ما عرف الله إلا أنا و انت، و لا عرفنى إلا الله و أنت، و لا عرفك إلا الله و أنا (١).

و بعد هذا فقد أصبح من الواضح: أن الله سبحانه و تعالى، و هو محيط بالكائنات، و مهيمن على كل الموجودات. و ليس لعلمه حد محدود، و لا- لصفته نعت موجود، إذا اختار اللغه العربيه ليحملها بعض مراميه و أهدافه- و هى اللغه القادره على التحمل بشكل مذهل و هائل، و لا تضارعها فى ذلك أى لغه أخرى- فإن هذا الإنسان المحدود فى ملكاته، و قدراته، و طاقاته النفسيه، و الفكرية، و غيرها، لا يمكنه حتى و لو بقى أبد الدهر، و حتى لو استعان بكل مخلوق و موجود، و سخر كل ما لديه من طاقات و إمكانيات- لا- يمكنه- أن يكتشف إلا القليل القليل من المعارف القرآنيه، و لن يكون بإمكانه أن يأتى هو و كل من معه بمثل هذا القرآن، و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

إذن، فلا بد أن نبقى ننتظر- باستمرار- أن يكتشف الإنسان كل ٤.

١- مدينه المعاجز ص ١١٦ عن تأويل الآيات الباهره فى الأئمه الطاهره و مستدرک البحار ج ٧ ص ١٨١ و ١٨٠ و البحار ج ٣٩

جديد فى هذا القرآن، تبعا لتقدم معارفه، و نمو قدراته الفكرية و الثقافية.

و هذا تاريخ القرآن عبر القرون و الأجيال، خير شاهد و دليل على ما نقول؛ حيث إننا نلاحظ: أن كل عصر يمتاز بتقدم علم أو علوم، و يتألق فيه نجمها، و يقوى سلطانها، ثم تعود تدريجا للتراجع أمام زحف علم أو علوم أخرى لتحتل هى بدورها أيضا مكان الصدارة فى البحث و العمق و التحقيق و هكذا و لكن هذا القرآن العظيم يبقى هو المهيمن فى العصور كلها على العلوم و العلماء جميعا، و يدرك الكل أنه فوق مستواهم، و لا- تبلغه عقولهم، و لا- تناله قدراتهم، و يجدون فيه ما يوجب خضوعهم لعظمته، و يدركون انه لا يزال فيه ما يعجزون عن إدراكه، و الإحاطه به، فضلا عن مجاراته.

كما أنه مع اختلاف الثقافات، و الإتجاهات، و المستويات على مَرَّ العصور؛ فإن الكل يجدون هذا القرآن مطابقا لمقتضى الحال دائما و منسجما معه، و هذا هو الإعجاز حقا!!

و خلاصه الأمر: هذه المئات من السنين تمر، و الاجيال تأتى و تذهب، و الإنسان لا يزال يكتشف المزيد من معارف القرآن، و أسرارها، و مراميه. و كلما توصل إلى شىء، فإنه يجد أن هذا القرآن- ليس فقط قد جاء بمعارف و مرام لا تتناسب مع عقلية و ثقافته عصر نزوله، الأمر الذى يؤكد على أنه من عند الله تعالى- و إنما يتجاوز ذلك كله، ليثبت لكل أحد: أن أغواره لا تزال تحتضن المزيد من المعانى و الاسرار، التى يرى هذا الإنسان نفسه عاجزا عن الوصول إليها و الحصول عليها. الصحيح من سيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢ ٢٦٤ التوضيح و التطبيق: ص : ٢٥٩

و أكثر من ذلك، فلقد أصبح معروفا: أن الإنسان كلما أعاد قراءه هذا القرآن؛ فإنه يجده جديدا عليه فى معانيه و مراميه، و ذلك بسبب اختلاف حالات و توجهات الإنسان، و نوعيه الصور الحاضره آنيا لديه، و الاجواء و الحالات النفسية المهيمنه عليه. و هذه خصوصيه ثابتة فى

القرآن لا- تتغير ولا- تتبدل على مر الدهور و العصور، و سيأتي انه كلما ذهب قرن يأتي قرن آخر؛ فيطلعون على معنى جديد للآيات القرآنيه و لا- يزال الناس على ذلك الى يوم القيامه، على اعتبار أنه كلما ترقت البشريه فى مدراكها و معارفها، كلما كانت أفدر على اكتشاف معارف القرآن، و استكناه أسرارہ. و عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حول القرآن: فيه علم ما مضى، و علم ما يأتي إلى يوم القيامه. و حكم ما بينكم. و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون (١).

و عنه (عليه السلام): (لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحه الكتاب) (٢).

و عنهم (عليهم السلام): (ظاهره أنيق، و باطنه عميق).

و عنهم (عليهم السلام): (ظاهره حكم، و باطنه علم) (٣) و ما يشير إلى هذا المعنى كثير جدا لا مجال لاستقصائه.

و لعل إلى جميع ذلك يشير ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) و عن الإمام الحسين (عليه السلام): كتاب الله على أربعة أشياء، على العباره، و الإشاره، و اللطائف، و الحقائق؛ فالعباره للعوام، و الإشاره للخواص، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء (٤). ٩.

١- البحار ج ٩٢ ص ٨٢ عن تفسير القمى ج ١ ص ٤.

٢- البحار ج ٩٢ ص ١٠٣ عن أسرار الصلاه و ص ١٠٤ عن الغزالي: أنه (ع) لو أذن له الله و رسوله لشرح معانى ألف الفاتحه حتى يبلغ أربعين و قرا أو جملا.

٣- أصول الكافى ج ٢ ص ٤٣٨.

٤- البحار ج ٩٢ ص ١٠٣ و ٢٠ و ج ٧٨ ص ٢٧٨ عن كتاب الأربعين، و عن الدرہ الباهره، و جامع الاخبار ص ٤٨ / ٤٩.

ترجمه القرآن و تفسيره:

و مما تقدم نعرف: أن ترجمه القرآن و تفسيره غير ممكنين لهذا الإنسان المحدود بحدود الزمان و المكان، و غير المحيط بكل العلاقات الكونية، و لا المطلع على النواميس الطبيعيه، في مختلف المجالات.

نعم، يمكن لمن يتصدى لترجمه القرآن أو لتفسيره أن يقول: هذا ما فهمته من القرآن، بحسب ما توفر لدى من أدوات تساعد على اكتشاف المعاني، من المفردات و الهيئات التركيبية، و بحسب مستوى ثقافتى و معارفى و قدراتى المحدوده بالنسبه الى الله الذى ليس لعلمه حد.

للقرآن ظهر و بطن:

قد تقدم آنفا عن أمير المؤمنين (عليه السلام): لو أردت أن أوقر على الفاتحه سبعين بعيرا لفعت او بما معناه. و يظهر صدق قوله هذا مما ذكرناه.

و يمكن بعد هذا: أن نفهم معنى قولهم (عليهم السلام): إن للقرآن ظهرا و بطناً، أو أكثر، و قد روى هذا المعنى من طرق غير الشيعة أيضا.

و فسر بما يشير إلى ما ذكرناه.

ففى خطبه منسوبه له (صلى الله عليه و آله و سلم): (له ظهر و بطن، فظاهره حكم، و باطنه علم، لا تحصى عجائبه، و لا يشبع منه علماءؤه) (١).

و عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): (ما فى كتاب الله آيه إلا و لها ظهر و بطن، و لكل حد مطلع) (٢). ص

١- كتر العمال ج ٢ ص ١٨٦، و ليراجع ج ١ ص ٣٣٧، و حياه الصحابه ج ٣ ص ٤٥٦ عنه و عن العسكرى، و راجع: نور القبس ص ٢٦٨ / ٢٦٩.

٢- الزهد و الرقائق، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص ٢٣ و فى الهامش عن المشكاه ص

قال ابن المبارك: (سمعت غير واحد في هذا الحديث: ما في كتاب الله آيه إلا و لها ظهر و بطن، يقول: لها تفسير ظاهر، و تفسير خفي، و لكل حد مطلع، يقول: يطالع عليه قوم فيستعملونه على تلك المعاني، ثم يذهب ذلك القرن، فيجيء قرن آخر، فيطلعون منها على معنى آخر، فيذهب عليه ما كان عليه من قبلهم؛ فلا يزال الناس على ذلك إلى يوم القيامة) (١).

و عن ابن عباس قال: (إن القرآن ذو شجون، و فنون، و بطون، و محكم، و متشابه، و ظهر و بطن، فظهره التلاوه، و بطنه التأويل) (٢).

و عن الحسن البصرى: ما أنزل الله عز و جل آيه ألاً و لها ظهر و بطن، و لكل حرف حد، و كل حد مطلع (٣).

و عن ابن مسعود: (إن القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف و له ظهر و بطن و إن على بن أبي طالب عنده منه الظاهر و الباطن (٤). ص

١- الزهد و الرقائق، قسم ما رواه نعيم بن حماد ص ٢٣.

٢- الاتقان ج ٢ ص ١٨٥ عن ابن أبي حاتم.

٣- كنز العمال ج ١ ص ٤٨٨ عن أبي عبيد في فضائله، و عن أبي نصر السجزي في الإبانة.

٤- حليه الأولياء ج ١ ص ٦٥ و الاتقان ج ٢ ص ١٨٧، و هامش الموافقات ج ٣ ص ٣٨٢ عن كتاب المصاييح، و مصاييح السنه ج ١ ص ١٧٦ و في هامشه عن موارد الظمان ص ٤٤٠-٤٤١ و عن غيره، و جامع البيان ج ١ ص ٩ و كشف الأستار ج ٣ ص ٩٠ و نزل الأبرار ص ٧٣ و أسمى المناقب ص ٨٢ و مجمع الزوائد ج ٧ ص

و أوضح من ذلك فى الدلالة على ما ذكرناه، ما نقل عن أبى الدرءاء: (لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة) (١).

و قال على (عليه السلام) لابن عباس، حينما أرسله لحجاج الخوارج: (القرآن حمال ذو وجوه) (٢).

و راجع ما يروى عن الإمام أبى جعفر (عليه السلام) حول أن للقرآن ظهرا و بطنا فى المصادر المعده لذلك (٣).

بل قال بعضهم: إن الاخبار تدل على أن (للقرآن بطونا سبعة أو سبعين) (٤).

- ١- المصنف للصنعانى ج ١١ ص ٢٥٥، و الاتقان ج ٢ ص ١٨٥ عن ابن سبع فى شفاء الصدور، و حليه الأولياء ج ١ ص ٢١١ و الطبقات الكبرى ج ٢ قسم ٢ ص ١١٤ و الغدير ج ٣ ص ٩٩ و ج ٢ ص ٤٥ عن أبى نعيم و عن مفتاح السعاده ج ١ ص ١٠٠.
- ٢- نهج البلاغه ج ٢ ص ١٥٠ بشرح عبده قسم الكتب و الوصايا رقم ٧٧.
- ٣- المحاسن للبرقى ص ٢٧٠ و البحار ج ٩٢ ص ٧٨-١٠٦ و تفسير العياشى ج ١ ص ١١ و تفسير البرهان ج ١ ص ١٩-٢١ و تفسير الصافى ج ١ ص ٢٩ و ٣١. و معانى الأخبار ص ٢٥٩ و الغدير ج ٧ ص ١٠٨ عن ابن مسعود، و ميزان الحكمة ج ١ ص ٩٥.
- ٤- كفايه الأصول آخر مبحث استعمال اللفظ فى أكثر من معنى و وسائل الشيعة للكاظمى ص ١٣.

و قد ألفوا كتباً فيما تضمنه القرآن من علم الباطن (١).

و إذن فلماذا ينسب القول بأن للقرآن بطناً و ظهراً إلى الشيعة فقط؟!

و لماذا أيضاً يشنعون على الشيعة إذا تفوهوا بهذا الأمر، أو كتبوه، إذا كانت الروايات الداله عليه موجوده عند غيرهم، كما هي موجوده عندهم؟!

و إذا كان معنى الظهر و البطن: هو أن يكون ذلك المعنى الذى يزاح عنه الستار مما يمكن للفظ أن يتحملة، و للمتكلم أن يقصده ليكون بالنسبه للبعض بمنزله البطن لهذا المعنى المكشوف؛ فأى محذور عقلى أو شرعى يحصل من الإلتزام بهذا؟!

وليكن للقرآن بطون سبعة أو سبعون، أو أكثر، يكتشفها هذا الإنسان كلما ترقى فى مدارج المعرفة، أو يكشفها له الأئمه الراسخون فى العلم، الذين أشار إليهم القرآن الكريم.

التقوى تعين على فهم القرآن:

و بعد، فإن من الواضح: أن الطهاره من الذنوب تعين على فهم القرآن، ففى دعاء ختم القرآن عن زين العابدين (عليه السلام) قال:

(و اجعل القرآن لنا فى ظلم الليالى مؤنسا، و من نزغات الشيطان، و خطرات الوسوس حارسا، و لأقدامنا عن نقلها إلى المعاصى حابسا، و لألسنتنا عن الخوض فى الباطل من غير ما آفه مخرسا، و لجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجرا، و لما طوت الغفله عنا من تصفح الإعتبار ناشرا، حتى توصل الى قلوبنا فهم عجائبه، و زواجر أمثاله الخ) (٢).ن.

١- التراتيب الإداريه ج ٢ ص ١٧٩.

٢- الصحيفه السجاده ص ١٣٦ الدعاء عند ختم القرآن.

المحكم و المتشابه:

هذا و قد أشير الى وجود المحكم و المتشابه في القرآن في قوله تعالى: (مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ، هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ؛ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ، وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) (١).

هذا، مع العلم بأن الله تعالى لا- يريد أن ينزل لعباده كتابا فيه الألغاز و الاحاجي، بل هو كما قال تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ، وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢). و قال: أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣).

إذن، فلا- بد أن يراد بالمتشابه معنى ينسجم مع واقع القرآن و أهدافه، و لعل التأمل فيما قدمناه يسهل علينا فهم المراد منه؛ و لأجل إيضاح ذلك نقول:

إن المتشابه هو الكلام الذي لا ينبىء ظاهره عن المراد، بل يحتمل من لم يكن راسخا في العلم فيه وجوها من المعاني، التي لا يكون بعضها منسجما مع أهداف و مبادئ المتكلم، و لكن لو دقق في اللفظ و في خصوصياته، و جمع بين بعضها البعض لأمكنه إدراك عدم إمكان تحملها لذلك المعنى الفاسد.

و لأجل ذلك، نجد الذين في قلوبهم زيغ يحاولون انتهاز الفرصه للتشبيث بهذا النوع من الآيات ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله، و عطف اتجاهه؛ ليلائم أهواءهم، و من أجل الطعن في القرآن و الإسلام، و لو ردوه إلى ٢.

١- آل عمران: ٧.

٢- سوره ص: ٢٩.

٣- سوره يوسف: ٢.

الرسول، و الى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه (١)؛ لأنهم يردون المتشابه الى المحكم الذى يبين أهداف و مرامى الله تعالى، و يوجه التعبير فى المتشابهات ليفيد المعنى المقصود، و يبين بعض ما خفى من وجوهه و خصوصياته.

لابد من وجود المتشابه فى القرآن:

و ينقل الرزاي: أن من الملاحظه من طعن فى القرآن لاشتماله على المتشابه، إذ كيف يكون مرجعا للناس فى كل عصر، مع وفرة دواعى الإختلاف فيه؛ حيث يجد كل صاحب مذهب فيه مأربه؛ فان هذا لا يصدر عن الحكيم (٢).

و لعل ما ذكرناه فيما تقدم يكفى فى الإجابة عن هذه الترهات. و نزيد هنا ما ذكره العلامة الطباطبائي، فإنه قال ما حاصله:

إنه كان لا- محيص عن وقوع التشابه فى القرآن، لأنه كان يجرى فى تعابيره الرقيقه مع اساليب القوم، مع سمو معناه، و عمق مغزاه، فى مقابل انحطاطهم فى المستوى الفكرى و الثقافى.

و قد جاء القرآن بمفاهيم جديده، كانت غريبه عن نوعيه أفكار و مفاهيم المجتمع البشرى آنذاك، و لا سيما فى جزيره العرب، البعيده عن الثقافه و المعرفه، فى حين التزامه فى التعبير عن تلك المقاصد العاليه بنفس الأساليب التى كانت معروفه فى ذلك العهد، الأمر الذى ضاق بتلك الألفاظ التى كانت موضوعه للتعبير عن معان محسوسه، أو قريبه من الحس، و محدوده فى نطاق ضيق، تتناسب مع ذهنيه العربى و ثقافته و التعبير عن معان مبتدله- لقد ضاق الأمر بتلك الألفاظ- عن أن تحيط بتلك ١.

١- النساء: ٨٣.

٢- تفسير الرازى ج ٧ ص ١٧١.

المفاهيم الرحبه الآفاق، البعيده الاغوار، و جاء استعمال تلك الألفاظ للتعبير عن هذه المقاصد العاليه غريبا عن المؤلف العام، و عن ذهنه الإنسان العادى.

و من ثم، فقد قصرت أفهامهم عن إدراك حقائقها و دقائقها، و لا سيما حين رأوا: أن القرآن يستعمل فى التعبير عن مقاصده صنوف المجاز، و الإستعارات، و التشبيهات، و الكنايات، و دقائق الإشارات، و استعمال مختلف خصائص اللغه العربيه، سواء منها ما يتعلق بالمفردات، أو بالهيئات التركيبية؛ ليتمكن إخضاع تلك المعانى الساميه للقوالب اللفظيه المحدوده و المؤلفه.

و كان ذلك سببا فى تقريب تلك المعانى الى أفهام العامه، من حيث أنه أخضعها للقوالب اللفظيه، المأنوسه و المؤلفه لديهم، و سببا فى بعدها، من حيث عدم قدره تلك القوالب اللفظيه على استيعاب معان لم تكن هى مستعده للتعبير عن مثلها (١). إلا بالتوسل بلطائف الاشارات و الكنايات، و دقائق الخصائص اللفظيه للتعبير عنها، حسبما أشرنا اليه من قبل؛ فصعب على الإنسان العادى إدراك تلك المقاصد العاليه، و اشتبه عليه الأمر؛ فكان لا بد له من الاستعانه بالراسخين فى العلم، الذين اختصهم الله بفضله و كرمه لإيضاح مقاصده و أهدافه و مراميه، ممن كانوا على مستوى رفيع من عمق الفهم، و سلامه التفكير، و نفذت بصيرتهم الى الحقائق الراهنه، فنالوها، و هم أئمه أهل البيت الأطهار (عليهم السلام).

التأويل:

لقد أشير الى التأويل فى القرآن الكريم، و أن ثمه من يعرف هذاك.

١- راجع: التمهيد فى علوم القرآن ج ٣ ص ١٩-٢٢ و الميزان للعلامه الطباطبائى ج ٣ ص ٥٨-٦٢ و عن تفسير المنارج ٣ ص ١٧٠. و قد نقلنا كلامهم بتصرف، فليلاحظ ذلك.

التأويل، و هم الراسخون فى العلم، و ان كانوا يعترفون بعجزهم عن إدراك كل الملايسات التى يمكن ان تكتشف هذا المعنى المقصود، إلا- إذا أوقفهم الله تعالى على ذلك. قال تعالى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا (١).

و قد رأينا: أن بعض الفئات الضاله تحاول الإستفاده من موضوع التأويل بما يخدم أهدافها الهدامه، و مذاهبها الضاله؛ فجاؤا بالتأويلات التى تضحك الثكلى، حتى إنك لتجد بعض الأحزاب المنحرفه من الذين يعتنقون الماركسيه، و يتظاهرون بالاسلام، يحاولون تفسير الاسلام و القرآن بحيث ينسجم مع الماركسيه التى تناقضه أساسا، فيقولون- مثلا- فى قوله تعالى: قُلْ لِعِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَ لَا خِلَالَ (٢)- يقولون:- إن المراد بهذا اليوم ليس هو يوم القيامه، و إنما المراد به اليوم الذى تتحقق فيه الاشتراكيه، و يزول النظام الطبقي، و تنتفى فيه الملكيه الشخصيه (٣).

بل قالوا: إن المقصود بالمعاد فى الإسلام و القرآن، هو القضاء على النظام الطبقي فى المجتمع ليس إلا.

الى غير ذلك من ترهات بعيده عن روح الإسلام و القرآن، جاء بها هؤلاء و غيرهم من الفئات الضاله.

و الحقيقه هى: أن هذا ليس هو التأويل الذى أشار إليه القرآن، و إنما هو التفسير بالرأى الذى ورد النهى عنه بشده من قبل المعصومين).

١- آل عمران: ٧.

٢- ابراهيم: ٣١.

٣- راجع كتاب: توحيد عاشورى (فارسي).

(عليهم السلام). و هذا بعينه هو اتباع ما تشابه من القرآن، ابتغاء الفتنة، و ابتغاء تأويله.

و أما التأويل الذى لا يعلمه إلا الله و الراسخون فى العلم، الذين هم أهل البيت (عليهم السلام)، حسب نص الروايات (١) فهو معرفه ما يؤول إليه الأمر، بحسب ما تضمنه الكلام من إشارات و دلالات؛ كقوله: هذا تأويل رؤياى.

و بعبارة أخرى: التأويل هو الكشف عن المرامى و المعانى التى يشير اليها اللفظ، بما له من خصوصيات، فى مفرداته، و هيئاته التركيبية، و بعد مقياسه بغيره و ملاحظه مدى انسجام ذلك المعنى مع مبادئه و أهداف المتكلم نفسه.

و إذا ما أريد الوصول إلى واقع المعنى، من الآيات القرآنية بما له من خصوصيات و أحوال؛ فلا بد من الرجوع إلى من يتمكن بما أوتى من معارف و علوم، حتى أصبح من الراسخين فى العلم، للكشف عن المعانى القرآنية الدقيقة، التى يخفى على غير الراسخين كيفية تحمل اللفظ لها.

و إن كان بالنسبة إليهم ربما يكون من البديهيات. فيرجعون ذلك المتشابه إلى ذلك المحكم.

و من هنا تبرز الحاجة المستمرة إلى هؤلاء الراسخين فى العلم، الذين ورد فى الروايات أنهم - بالذات - أئمة أهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.

فالتأويل هو الكشف عما تؤول إليه المعانى، بواسطة معرفه سائر خصوصياتها و مراميها.٥.

١- راجع تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦٢، و تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٧٠.

الحروف المقطعه فى القرآن

وقد كثر الحديث عن الحروف المقطعه الوارده فى فواتح السور القرآنيه، و تعددت و تشعبت الأقوال فى ذلك، حتى عدّ المفسرون ما يقرب من عشرين قولاً حول المراد منها، نذكر منها ما يلى:

١- هى من المتشابه الذى لا يعلم تأويله إلا الله سبحانه.

١- هى أسماء للسور التى وقعت فى أوائلها.

٣- إنها أسماء لمجموع القرآن.

٤- إنها أسماء لله سبحانه ف (ألم) معناها: أنا الله العالم و (ألمر) معناها: أنا الله أعلم و أرى. و هكذا.

٥- إنها أسماء لله مقطعه لو أحسن تأليفها لعلم إسم الله الأعظم، ف (ألر، و حم، و ن). تصوير: الرحمان. و هكذا.

٦- إن هذه الحروف شريفه لكونها مباني كتبه المنزله و أسمائه الحسنى و صفاته العليا، و أصول لغات الأمم .. و قد أقسم الله تعالى بهذه الحروف.

٧- إنها إشارات إلى آلائه سبحانه، و بلائه، و مده الأقسام و أعمارهم و آجالهم (١)!

٨- إنها إشاره إلى بقاء هذه الأمم بحسب حساب الجمل.

٩- إنها تسكيت للكفار الذين تواصلوا فيما بينهم أن: (لا- تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيها)؛ فكانوا إذا سمعوا هذه الحروف استغربوها، و تفكروا فيها، فيقرع القرآن مسامعهم..

١- هناك روايه تشير إلى شىء من ذلك أيضاً، فراجع: المحاسن للبرقى ص ٢٧٠ و البحار ج ٩٢ ص ٩٠.

١٠- إنها للإشارة الى معان فى السوره؛ فكلمه (ن) إشاره الى ما تشتمل عليه السوره من النصر الموعود و كلمه (ق) إشاره الى القرآن، أو الى القهر (١).

إلى غير ذلك من أقوال لا مجال لتتبعها.

و لعل آخر ما يمكن أن يعتبر رأياً فى هذا المجال .. هو ما ذكره بعض المتأخرين، و اعتبر بمثابة (إعجاز مدهش جديد للقرآن الكريم يكتشفه عالم مصرى). و هو: أن هذه الحروف المقطعه تدخل كعنصر هام و حاسم فى موضوع الإعجاز العددي للقرآن ..

و نحن لا نريد أن نسى ء الظن فيما يتعلق بهذا الرأى، على اعتبار أنه يعتمد الرقم (١٩)، و يتخذة محورا فى مجمل استنتاجاته، و هو الرقم المقدس عند طائفه البهائية الضاله ..

كما أننا لا نريد المبالغه فى التشاؤم إلى حد أن نعتبر أن ذلك يهدف إلى صرف الأنظار عن دقائق المعانى القرآنيه الباهره الى الإهتمام بالظواهر و القوالب اللفظيه.

لا.. لا.. نريد ذلك .. فإننا نأمل أن يكون ثمه قدر كبير من حسن النيه، و سمو الهدف. و إنما نريد أن نؤكد على أن بعض الباحثين (٢) قد تتبع هذه النظرية بالبحث و التمحيص، حتى خرج بنتيجه حاسمه، مفادها: الجزم بخطأ هذه النظرية، و ذلك لعدم صحه الأرقام التى قدمتها، و اعتبرتها أساسا صالحا للتدليل على قيمتها العلميه.

فقد قال هذا المحقق الذى رمز لنفسه ب «أبو محمد»:

قولهم: كلمه (اسم) تتكرر ١٩ مره بالضبط.ى.

١- تفسير الميزان ج ١٨ ص ٦، ٧.

٢- هو العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني.

أقول: ذكر في المعجم المفهرس عدد ١٩ تحت كلمه إسم و ذكر أن كلمه (بسم) تكررت ثلاث مرات في قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا، وَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ.

و ذكر كلمه (إسمه).

و قال: إنها تكررت خمس مرات.

و قولهم: إن كلمه الرحيم تكرر ١١٤ مره نقول: بل تكرر ١١٥ مره بالضبط.

و قالوا: إن حرف (ن) قد تكرر في سورة القلم ١٣٣ أى ١٩* ٧

و نقول: بل يتكرر ١٢٩ مره فقط. و لو كررنا المشددات مثل أن فإن المجموع يصير أكثر من ذلك بكثير.

و قالوا: إن حرف صلى الله عليه و آله وسلم يتكرر في كل من: سورة الاعراف التى أولها (المص) و سورة ص، و سورة مريم التى أولها (كهيعص) ١٥٣ أى ١٩* ٨

و نقول: إن عدد الصادات في سورة الأعراف هو ٩٠ صاداً، و لعله قد اشتبه على واحد أو إثنان، و في سورة مريم ٢٤ (كذلك) و في سورة ص ٢٧ مره فليس المجموع ١٥٣ و لا في كل واحده منها ١٥٣ أيضاً (١)

أما العلامه الطباطبائى قدس سره، فقد أورد على الاقوال التى سلفت باستثناء هذا الاخير، حيث لم يذكره قدس سره .. بأن:

دعوى كون الحروف المقطعه من المتشابهات لا يصح، و ذلك لأن التشابه من صفات الآيات التى لها دلالة لفظيه على مداليلها، و ليست الحروف المقطعه من هذا القبيل.٢.

و أما سائر الأقوال، فإنما هي تصويرات لا تتعدى الاحتمال، و لا دليل يدل على شىء منها، و أما الروايات التى ربما يستظهر منها بعض التأييد لبعض تلك الأقوال، فقد ردها رحمه الله تعالى بضعف السند تاره و لضعف الدلالة أخرى، حيث لا يوجد فيها تقرير من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لما فهمه الآخرون منها أو لأن مفاد الروايه أن هذه الحروف من قبيل الرمز لمعان تكرر بيانها، و لا حاجة لاستعمال الرمز فى التعبير عنها.

ثم استظهر رحمه الله: أن هذه الحروف هي رمز بين الله سبحانه و بين رسوله، خفى عنا، لا سبيل لأفهامنا العاديه إليها إلا بمقدار أن نستشعر أن بينها و بين المضامين المودعه فى السور ارتباطا خاصا، حيث وجد رحمه الله تشابها فى سياق و فى مضامين السور التى اشتركت حروف معينه فى فواتحها، كالطواسين و الحواميم، و الميمات و الرءات و نحو ذلك.

و نقول:

إننا لا- نستطيع الموافقه على ما ذكره رحمه الله تعالى، فإن القرآن ليس كتاب الغاز، أو أحاجى، و إنما أنزله الله تعالى: هُدىً لِلنَّاسِ (١)، لِيُذَبِّحُوا آيَاتِهِ (٢)، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (٣)، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٤)، كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥).٣.

١- سورة البقره: ١٨٥.

٢- ص ٣٨.

٣- سورة الشعراء، ١٩٩.

٤- سورة يوسف: ٢.

٥- فصلت: ٣.

و قد لاحظ بعض المحققين: أن تعقيب هذه الأحرف بأن هذا الكتاب مبين و واضح، و أنه قرآن عربى لقوم يعملون، أو لعلكم تعقلون، لا- يناسب كون تلك الألفاظ رموزا، أو من قبيل الألفاظ و الأحاجى، قال تعالى فى سورة يوسف: الر، تَلَمَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

و مهما يكن من أمر، فإن لدينا من الشواهد و الدلائل ما يكفى لإعطاء فكره عن المراد من هذه الحروف. و نستطيع بيان ذلك فى ضمن النقاط التاليه:

١- إننا فى نفس الوقت الذى نعتبر فيه أن ما سندهب إليه ليس هو المقصود النهائى من هذه الأحرف، فإننا نؤكد على أننا لا نستبعد إرادته سائر المعانى، مما ذكر أو لم يذكر منها، إذ دل الدليل على إرادتها أيضا، فإن للقرآن ظهرا و بطنا، و لعل لإختلاف الأزمنه، و تقدم الفكر و العلم، تأثيرا فى فهم الكثير من المعانى الأخرى، التى يمكن أن تكون هذه الأحرف مشيره إليها، أو داله عليها كبير، بنحو من أنحاء الإشاره و الدلاله.

٢- إننا نلاحظ: أننا لم نجد فى التاريخ ما يشير إلى أن أيا من الصحابه أو من غيرهم من المشركين أو من أعداء الإسلام قد تصدى للسؤال أو الإستفهام عن معانى هذه الأحرف، و عما ترمى إليه ..

و لو سلمنا جدلا أن سكوت الصحابه يمكن أن يكون ناشئا عن إيمانهم العميق. و عن وصولهم الى درجه التسليم و الخضوع لكل ما يأتى به النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) نتيجة لما رأوه من الآيات الباهره، و المعجزات القاهره- رغم أن ذلك لا ينطبق على كثيرين غيرهم .. و رغم عدم منافاه ذلك للسؤال الاستفهامى عن أمر كهذا- فإننا لا- نستطيع أن نفسر سكوت المشركين و غيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا. و هم فى موقع التحدى و المجابهه، و يحاولون التشبث و لو بالطحلب للظعن فى

الإسلام و النبوه و القرآن.

فسكوتهم هذا- و حاله هذه- لا- يعنى إلا أنهم قد فهموا منها معنى قريبا إلى أذهانهم، و أن ذلك المعنى الذى فهموه كان يكفى للإجابة عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات ..

٣- إننا نجد: أن هذه الحروف قد وردت فى تسع و عشرين سوره.

سته و عشرون منها نزلت فى مكه، و ثلاث منها نزلت فى المدينه. و حتى هذه السور التى نزلت فى المدينه يلاحظ: أن إثنين منها قد نزلتا فى أوائل الهجره، حيث كان الوضع الدينى و الإيمانى فيها لا يختلف كثيرا عنه فى مكه، و لا سيما مع وجود اليهود و شبهاتهم و مؤامراتهم إلى جانب المشركين فيها.

و واحده منها و هى سوره الرعد قد نزلت بعد ان كثر الداخلون فى الإسلام رغبا أو رهبا، و كثر المنافقون حتى ليرجع ابن أبى بثلث الجيش فى غزوه أحد .. و أصبح اليهود و غيرهم ممن و ترهم الإسلام يهتمون بالكيده للإسلام من الداخل، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكريا و فكريا، و عقائديا بشكل سافر .. فجاءت سوره الرعد لتكرر التحدى بهذه المعجزه: القرآن، كأسلوب أمثل لبعث عمق عقيدى و إيمانى جديد فى المسلمين، و مواجهه غيرهم بالواقع الذى لا يجدون لمواجهته سبيلا إلا بالتسليم و البخوع و الإنقياد له.

و هذا ما يفسر لنا السر فى أننا نجد أسلوب و أجواء سوره الرعد لا تختلف كثيرا عن أجواء و أسلوب غيرها من السور المكيه، و أن هنالك توافقا فيما بينها فى إيدانه و ضرب كل أساليب التضليل أو التزوير، و الصدود عن الحق ..

و نستطيع بعد كل ما تقدم أن نصل إلى النتيجة التاليه، و هى:

أن ورود هذه الحروف فى خصوص السور المكيه، و فى ثلاث سور نزلت فى أجواء لا تختلف كثيرا عن أجواء مكه ليدل دلاله قاطعه على أنها إنما جاءت فى مقام التحدى للمشركين، ولأعداء الإسلام .. و أن عدم اعتراض هؤلاء، أو حتى عدم سؤالهم، و كذلك عدم سؤال أى من الصحابه المؤمنين عن معانى هذه الحروف إنما يشير الى انهم إنما فهموا معناها من قريبه إلى أذهانهم، كافيه للإجابة على ما ربما يختلج فى نفوسهم من أسئلة حولها. و ليس ذلك إلا ما ذكرنا من التحدى بهذا القرآن، المركب من أمثال هذه الحروف التى هى تحت اختيار الجميع، مع أنه يعجز عن مجاراته و الإتيان بمثله و حتى بسوره من مثله، الجميع.

٤- إننا إذا راجعنا الآيات التى وقعت بعد هذه الحروف، فإننا نجد:

ألف: أن جميع السور التى وقعت الحروف المقطعه فى فواتحها باستثناء سورتين أو ثلاث نجد الآيات التى وقعت بعد هذه الحروف تتحدث عن الكتاب و آياته، أو القلم أو القرآن، و نحو ذلك كقوله تعالى:

المص. كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ (الاعراف).

الر. كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (إبراهيم).

حم. وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (الزخرف).

الر. كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود).

حم. وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ (الدخان)

ص. وَ الْقُرْآنِ ذِي الذُّكْرِ

ن. وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ.

و حتى تلك السور الاثنتان أو الثلاث يمكن أن يكون في تلك القصه، أو التنبؤات، أو الحكم التي تذكر بعد هذه الحروف من الاعجاز ما يكفي لأن يجعل تركيبها من أمثال تلك الحروف المذكوره، و عجز الغير عن الإتيان بمثلها كافيا عن التصريح في ذلك ..

ب: إننا نجد أن الآيات التي وقعت بعد الأحرف المقطعه قد صدرت باسم الإشاره ليكون خبرا عن الحروف المقطعه، لأنه إشاره لما قبله. و لا يصح أن يكون إشاره لما بعده لأن ما بعده ليس الالف ليكون بدلا أو عطف بيان له .. و ذلك مثل قوله تعالى:

الر. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (يوسف).

الر. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ (الحجر)

الر. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (يونس).

و كذلك الحال بالنسبه لسوره الرعد، و الحجر و غيرها من السور.

أما مثل قوله تعالى: الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ فَالْكِتَابُ بَدَلٌ أَوْ عَطْفٌ بَيَانٌ.

ج: ما هو من قبيل قوله تعالى:

حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (فصلت). فإن قوله تنزيل خبر لقوله: حم. كما قاله الفراء، و كما هو الظاهر ..

و جعل كتاب خبرا لتنزيل، لا- يستسيغه الذوق السليم، و لا- ينسجم مع المعنى المقصود، و لا- سيما مع تنوين كلمه تنزيل و تنكيرها. و كذلك

الحال فى قوله تعالى:

الم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (السجده).

حم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (المؤمن).

و كذا الحال فيما ورد فى أول سورة الجاثية و الاحقاف ..

و قد أعرب المفسرون، و غيرهم هذه الموارد على ان كلمه (تنزيل) خبر لمبتدأ محذوف، أو نحو ذلك مع إن إعرابها على النحو الذى ذكرناه هو الأنسب و الأظهر، و إن كان إعرابهم لا ينافى ما ذكرناه أيضا، فإن تقدير كلمه (هو)، أو كلمه: (هذا) المقدره مبتدأ ظاهرها الإشاره إلى ما قبلها أيضا ..

د: قوله تعالى:

حم عسق. كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الشورى).

فإن قوله (كذلك) يشاربها فى القرآن عاده إلى ما قبلها. أى كتلك الحروف التى سبقت يوحى إليك الله تعالى، أى أن آيات الله هى من جنس هذه الأحرف.

ه: و بعد، فلقد جاء فى روايه عن الإمام العسكرى صلوات الله و سلامه عليه، أنه قال: كذبت قريش و اليهود بالقرآن، و قالوا: سحر مبین تقوله.

فقال الله: الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ أَى يا محمد هذا الكتاب الذى انزلناه عليك هو الحروف المقطعه التى منها (ألف، لام، ميم) و هو بلغتكم و حروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، و استعينوا على ذلك بسائر شهدائكم.

ثم بين أنهم لا يقدرون عليه بقوله: قل: لئن اجتمعت الإنس

وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا .. (١).

و ضعف هذه الروايه لا يضر ما دامت مؤيده بما قدمناه من الشواهد و الدلائل .. هذا على الرغم من أننا نجد في كلام المجلسي ما يشير إلى إمكان الاعتماد على روايات تفسير العسكرى .. مع أننا لا نجد ما يبرر الوضع و الجعل في أمر كهذا ..

آخر ما نقوله حول الحروف المقطعه:

و أخيرا فإنه يمكن أن تكون في القصة التي تذكر بعد هذه الحروف المقطعه، أو في الحكم، أو التنبؤات من الإعجاز ما يكفي لأن يجعل تركيبها من الحروف المذكوره في بدايه السوره، و عجز الغير عن الاثيان بمثلها كافيا في ذلك.

و مع كل ما قدمناه، فإننا نعود و نؤكد على أن ما ذكرناه ليس هو كل المراد من هذه الحروف، فقد يكون لها إشارات و مرامى أخرى تضاف الى ما ذكرناه، و لا- مانع مع صحه كثير من الإحتمالات التي ذكرت في معانيها. و لربما يكون لاختلاف الأزمنه تأثير في فهم هذه المعاني، كما أشرنا إليه حين الكلام حول أن للقرآن ظهرا و بطنا. ٦.

١- معانى الأخبار ص ٢٢، و تفسير البرهان ج ١ ص ٥٤ و تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٣ و البحار ج ٩٢ ص ٣٧٧ و تفسير الميزان ج ١٨ ص ١٦.

ص: ٢٨٦

الفصل الثاني: روايات بدء الوحي

اشاره

ما روى فى بدء الوحي:

روى البخارى و مسلم وغيرهما، عن الزهرى، عن عروه بن الزبير، عن عائشه فى بدء الوحي، ما ملخصه: أن الملك جاء للنبي، صلى الله عليه وآله وسلم و هو فى غار حراء، فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ: فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذنى فغطنى الثانية، حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى؛ فقال: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ.

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجف فؤاده؛ فدخل على خديجه بنت خويلد، فقال زملونى، زملونى، حتى ذهب عنه الروح؛ فقال لخديجه - وقد أخبرها الخبر -: لقد خشيت على نفسى. فقالت خديجه: كلا و الله، ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، و تحمل الكل، و تكسب المعدوم، و تقرى الضيف، و تعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجه، حتى أتت به ورقه بن نوفل، بن أسد، بن عبد العزى، ابن عم خديجه، و كان امراء قد تنصر فى الجاهليه، و كان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانيه ما شاء الله أن يكتب، و كان شيخا كبيرا قد

عمى، فقالت له خديجه: يا بن عم إسمع من ابن أخيك. فقال له ورقه:

ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقه: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعا، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا.

ثم لم ينشب ورقه أن توفى. و فتر الوحي (١).

و ثمه روايات كثيرة أخرى متناقضة و متعارضه، و نذكر منها على سبيل المثال:

١- هناك روايه تقول: إن خديجه أرسلته مع أبى بكر الى ورقه بن نوفل فأخبره صلى الله عليه وآله وسلم أنه يسمع نداء خلفه: يا محمد، يا محمد، فينطلق هاربا فى الارض، فأمره ورقه أن يثبت؛ لسمع ما يقول ثم يخبره، ففعل فناداه: يا محمد، قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حتى بلغ، وَ لَمَّا الضَّالِّينَ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فأخبر ورقه؛ فبشره بأنه هو الذى بشر به ابن مريم؛ فلما توفى ورقه قال صلى الله عليه وآله وسلم: لقد رأيت القس فى الجنة، عليه ثياب الحرير؛ لأنه آمن بى و صدقنى (٢).

٢- و روايه أخرى تقول: بعد أن ذكرت: أن خديجه أخبرت ورقه ٥.

١- صحيح البخارى ط مشكول ج ١ ص ٥-٦ و ج ٩ ص ٣٨، و صحيح مسلم ج ١ ص ٩٧، و ليراجع تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٧، و المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٢/٣٢٣، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٢، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٢ و السيره الحليه ج ١ ص ٢٤٢/٢٤٣ و راجع: الأوائل ج ١ ص ١٤٥/١٤٦.

٢- البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٠/٩ و الروض الأنف ج ١ ص ٢٧٤/٢٧٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٣/٨٤ و السيره الحليه ج ١ ص ٢٥٠، و سيره مغلطاي ص ١٥.

بالأمر، فأخبرها أنه نبي هذه الأمة - إنه بعد مدته التقى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم و هما يطوفان، فسأله ورقه عما رأى و سمع؛ فأخبره. فأخبره ورقه انه نبي هذه الأمة (١).

٣- انه لما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خديجه بما رأى، بشرته بأنه نبي هذه الأمة، و أن الذى أخبرها بذلك هو غلامها ناصح، و بحيرا الراهب. و أمرها أن تتزوجه منذ أكثر من عشرين سنه، و لم تزل برسول الله حتى طعم، و شرب، و ضحك، ثم خرجت إلى الراهب، و كان قريبا من مكه فأخبرته، فأخبرها: أن جبرئيل هو أمين الله، و رسوله إلى الأنبياء. ثم أتت عداسا، فسألته، فأخبرها بمثل ذلك.

ثم أتت ورقه، فأخبرها بمثل ذلك. ولكنها حلفته أن يكتم الأمر، فطلب منها أن ترسل ابن عبد الله اليه؛ ليسأله، و يسمع منه؛ مخافه أن يكون الذى جاءه هو غير جبرئيل، فإن بعض الشياطين يتشبه ليضل و يفسد، حتى يصير الرجل بعد العقل الرضى مدلها مجنونا، فرجعت الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، و أخبرته بمقاله ورقه، فنزل قوله تعالى: ن. وَ الْقَلَمَ وَ مَا يَشْطُرُونَ. ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. و لكنها أصرت عليه أن يذهب إلى ورقه، ففعل، و صدقه ورقه، فذاع قول ورقه و تصديقه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فشق ذلك على الملائم من قومه (٢).

٤- إن خديجه طلبت منه أن يخبرها حين يأتيه الملك ففعل، فأمرته أن يجلس إلى شقها الأيمن؛ ففعل، فلم يذهب الملك، فأجلسته فى حجرها، فلم يذهب. فتحسرت فشالت خمارها، و رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ٤.

١- البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٢/١٣ و سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٥٤، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٣٩ / ٢٤٠، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨١ / ٨٢.

٢- البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٤ / ١٥ و راجع: الأوائل لابي هلال العسكرى ج ١ ص ١٤٦.

عليه وآله وسلم) في حجرها، فذهب الملك، فقالت: ما هذا بشيطان، إن هذا لملك يا ابن عم، فاثبت و ابشر.

و في روايه: أنها أدخلت رسول الله بين جلدها و درعها، و أخرجت رأسه من جيبتها؛ فذهب جبرئيل (ع) عند ذلك (١).

و في روايه: أن ذلك كان بإشاره ورقه (٢).

٥- و في روايه: إن ورقه قال لخديجه: إسألني من هذا الذي ياتيه، فإن كان ميكائيل، فقد أتاه بالخفض و الدعه و اللين و إن كان جبرئيل، فقد أتاه بالقتل و السبي؛ فسألته، فقال: فقال جبرئيل. فضربت خديجه جبهتها (٣).

٦- و في روايه: أنه لما أتاه الوحي قال: (... ان الأبعد- يعنى نفسه- لشاعر أو مجنون، لا تحدّث بها قريش عنى أبدا، لأعمدن إلى حالق من الجبل؛ فلاطرحن نفسى منه، فلاقتلنها، و لأستريحن. قال:

فخرجت أريد ذلك) حتى إذا كان في وسط جبل سمع صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله.

ثم تستمر الروايه حتى تذكر: أنه ذكر لخديجه: أن الأبعد لشاعر أو مجنون. فقالت: أعيدك بالله من ذلك، ثم التقت بورقه؛ فأرسل إليه بالثبات، ثم التقى به في الطواف، فجرى له معه ما جرى (٤).

و عند السهيلي و غيره: أن خديجه سألت ورقه، و عداسا، و نسطورا،.

١- البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٥ / ١٦، و سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٥٥، و الطبرى ج ٢ ص ٥٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٣، و

السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥١، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٤.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥٢.

٣- تاريخ اليعقوبى ط صادر ج ٢ ص ٢٣.

٤- تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٩ / ٥٠.

عن أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

٧- وفي روايه: أن عداسا أعطها كتابا لتضعه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ فان كان مجنونا شفى، وإلا لم يضره شيئا، فلما عادت إليه بالكتاب وجدت معه جبرئيل يقرئه الآيات من سورة القلم، ففرحت، وأخذته إلى عداس، فكشف عداس عن ظهره؛ فوجد خاتم النبوه بين كتفيه إلخ .. (٢).

و يروى البعض: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أخبرها بجبرئيل كتبت إلى بحيرا الراهب، وقيل: سافرت بنفسها إليه لتسأله عن الأمر (٣).

٨- وفي روايه: أنه حين ذهب ليرتدى من شواحق الجبال، كان إذا ارتقى بذروه جبل، تبدى له جبرئيل، و يخاطبه بالرساله، فيسكن جأشه، و تطمئن نفسه (٤).

٩- و يروون أيضا: أنه كان قبل النبوه يتعرض للرعده، و تغميض العينين، و تربد الوجه، و لما يشبه الاغماء، و يغط كغطيط البكر. (٥)

١٠- وفي روايه: انه صلى الله عليه وآله وسلم عاد إلى أهله مسرورا موقنا: أنه قد رأى أمرا عظيما، فلما دخل على خديجه قال: أريتك الذى كنت حدثتك: أنى رأيت فى المنام؛ فإن جبرئيل استعلن إلى، أرسله إلى ربي عز و جل، و أخبرها بالذى جاءه من الله، و ما يسمع منه، فقالت له: أبشر، فو الله لا يفعل الله بك إلا خيرا، و اقبل الذى جاءك من أمر الله، فإنه حق، و أبشر؛ ٢.

١- الروض الأنف ج ١ ص ٢٧٣، والأوائل لأبى هلال العسكري ج ١ ص ١٤٦.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٤، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٣ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٤٣ / ٢٤٤.

٣- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٣ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٤٤.

٤- المصنف ج ٥ ص ٣٢٣.

٥- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٤ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥٢.

فإنك رسول الله حقا.

ثم انطلقت إلى عداس النصراني، غلام عتبه بن ربيعه من أهل نينوى، فسألته عن جبرائيل؛ فتعجب من ذكر جبرائيل بتلك الارض، ثم أخبرها بأنه أمين الله بينه وبين الأنبياء. ثم جاءت إلى ورقه إلخ .. (١).

هذا غيظ من فيض، مما قيل و يقال حول ما جرى حين بدء الوحي، و كلفيته و ملابساته، من روايات، و أقاويل متضاربه و متناقضه.

و لننتقل الآن إلى الإشارة الى بعض ما لنا من مناقشات في تلك الأراجيف المتقدمه، متوخين الإيجار و الإختصار مهما أمكن فنقول:

مناقشه روايات بدء الوحي:

إننا في مجال بيان ما في تلك الروايات من خلل و خطل، لا نستطيع أن نستوعب كل ما فيها من نقاط ضعف؛ لأن استيعاب ذلك - كما يبدو - يحتاج إلى وقت طويل، بل إلى مؤلف مستقل .. و لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، لأننا نريد أن نسهم بدورنا في الذب عن مقام النبوه الأقدس، و لو بشكل محدود و مقتضب، و ما نريد أن نشير إليه هنا هو:

أولاً: من حيث السند. و حيث إن العمده في ذلك هو ما ورد في الصحيحين و غيرهما، عن الزهري، عن عروه بن الزبير، عن عائشه، فنحن نكتفي بالإشاره الاجماليه إلى حال هؤلاء، فنقول:

١- الزهري: كان من أعوان الظالمين، و من الذين يركنون لهم (٢)، و كان عاملاً لبني أميه (٣) و يقول المحقق التستري: إنه كان كاتباً لهشام بن ٧.

١- البدايه و النهايه ٣ ص ١٣.

٢- راجع: سفينه البحار ج ١ ص ٥٧٢ و ٥٧٣ و معجم رجال الحديث ج ١٦ ص ١٨٢ عن ابن شهر اشوب.

٣- كشف الغمه ج ٢ ص ٣١٧.

عبد الملك، و معلما لأولاده (١).

وعده الثقفى من فقهاء الكوفه الذين خرجوا عن طاعه على (عليه السلام)، و كانوا أهل عداوه له و بغض، و خذلوا عنه (٢).

و جلس هو و عروه فى مسجد المدينه فنا لا من على (عليه السلام)، فبلغ ذلك السجاد (عليه السلام)، فجاء حتى وقف عليهما؛ فقال: أما أنت يا عروه، فإن أبى حاكم أباك، فحكم لأبى على أيبك و أما أنت يا زهرى؛ فلو كنت أنا و أنت بمكه لأريتك كنّ (٣) أيبك (٤).

و نحن لا نستطيع أن نتق بأعوان الظلمه، و بمبغضى على (عليه السلام)، كيف و قد قال صلى الله عليه و آله وسلم: (من سب عليا فقد سبنى (٥)؟).

٢- عروه بن الزبير. عن عروه قال: أتيت عبد الله بن عمر بن الخطاب (رض)؛ فقلت له: يا أبا عبد الرحمان، إنا نجلس إلى ائمتنا هؤلاء، فيتكلمون بالكلام، نعلم أن الحق غيره؛ فنصدقهم، و يقضون بالجور، فنقويهم، و نحسنه لهم؛ فكيف ترى فى ذلك؟ فقال: يا ابن أخى، كنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم نعد هذا النفاق؛ فلا أدري كيف هو عندكم (٦). ص

١- راجع ترجمه الزهرى فى قاموس الرجال ج ٦.

٢- الغارات للثقفى ح ٢ ص ٥٥٨-٥٦٠ و راجع: سفينه البحار ج ١ ص ٥٧٢.

٣- الكن: البيت.

٤- شرح النهج للمعتزلى ج ٤ ص ١٠٢، و الغارات للثقفى ج ٢ ص ٥٧٨، و البحار ج ٤٦ ص ١٤٣ و راجع: سفينه البحار ج ١ ص ٥٧٢.

٥- مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢١ و صححه الذهبى فى تلخيص المستدرك هامش نفس الصفحه.

٦- سنن البيهقى ج ٨ ص ١٦٥، و قريب منه ما فى ص ١٦٤ من دون ذكر اسم (عروه) و مثله الترغيب و الترهيب ج ٤ ص ٣٨٢ عن البخارى و إحياء علوم الدين ج ٣ ص

فعروه يعتبر أئمة الجور أئمتهم، و ابن عمر يحكم عليه بالنفاق.

وعده الاسكافي من التابعين، الذين كانوا يضعون أخبارا قبيحه في علي (عليه السلام) (١). و كان يتألف الناس علي روايته (٢).

و روى عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروه، عن عائشه في علي (عليه السلام)، فسألته عنهما يوما، فقال: ما تصنع بهما و بحديثهما؟ إني لأتهدمهما في بني هاشم (٣).

و كان عروه إذا ذكر عليا نال منه (٤)، و يصيبه الزرع؛ فيسبه، و يضرب إحدى يديه علي الأخرى إلخ (٥).

و بعد ذلك كله؛ فإنه لم يثبت سماع الزهري عنه. و لكن أهل الحديث اتفقوا علي ذلك (٦)،

٣- أما عائشه: التي حاربت عليا و عادته، و التي يتهدمها الزهري بأنها لا تؤمن في بني هاشم؛ فقد أرسلت هذه الروايه، و لم تبين لنا عن روتها، فإنهم يقولون: إنها قد ولدت بعد البعته، و إن كنا نحن نناقش في ذلك (٧).

و أخيرا، فإن لنا كلاما طويلا في بقيه الاسانيد في الصحاح و غيرهاه.

١- شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٣.

٢- صفه الصفوه ج ٢ ص ٨٥ و تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٨٢.

٣- شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٤، و قاموس الرجال ج ٦ ص ٢٩٩.

٤- الغارات ج ٢ ص ٥٧٦، و شرح النهج ج ٤ ص ١٠٢.

٥- قاموس الرجال ج ٦ ص ٣٠٠.

٦- تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٥٠.

٧- سيأتي ذلك إن شاء الله في فصل: حتى يبعه العقبه.

لا مجال له هنا. و نكتفى بهذا القدر، لنشير الى بقيه ما فى الروايه من هنات.

و ثانيا: تناقض الروايات الظاهر لدى كل أحد، و يظهر ذلك بالملاحظه و المقارنه، و نكل ذلك الى القارى ء نفسه. و لو أن الاختلاف كان بالزيادة و النقيصه لا مكن قبوله؛ على اعتبار أن أحدهما حفظ دون الآخر، أو تعلق غرضه بهذا النحو من النقل، و ذاك بنحو آخر. و كذا لو كان التناقض فى مورد واحد مثلا، فلربما يمكن الاعتذار عن ذلك بأن من الممكن وقوع الإشتباه غير العمدى من أحد النقله.

و لكن الأمر هنا أبعد من ذلك؛ فإن التناقض و الإختلاف إن لم يكن فى كل ما تضمنته تلك الروايات من نقاط، ففى جملها مما يعنى أن ثمة تعمدا للوضع و الجعل. و قديما قيل: (لا حافظه لكذوب).

هذا كله، مع غض النظر عن المناقضه بين هذه الروايات و بين الروايه التى يذكرها البخارى نفسه فى أول كتابه بعد هذه الروايه مباشره من أن أول ما نزل عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) هو سوره المدثر.

و يلاحظ انه ليس فى تلك الروايه ذكر لأى شى ء من تلك الأمور الغريبه و العجيبه التى تضمنتها روايه عائشه السابقه عليها؛ فإن عدم ذكرها لشى ء من ذلك يورث الشك و الريب، و يشير أكثر من سؤال عن السبب فى إهمال التعرض لذلك.

و ثالثا: إن روايه الصحاح، بل و سائر الروايات تذكر: أن جبرئيل قد أخذ النبى صلى الله عليه و آله وسلم فغطه، أى عصره و حبس نفسه او خنقه حتى بلغ منه الجهد، أو حتى ظن أنه الموت، ثم أرسله، و أمره بالقراءه؛ فأخبره النبى صلى الله عليه و آله وسلم: أنه لا يعرفها، فلم يقنع منه، بل عاد فغطه، ثم أرسله، و هكذا ثلاث مرات.

و لنا على هذا الكلام العديد من الأسئلة.

فإننا لا نعرف ما هو المبرر لذلك كله؟ وكيف جاز لجبرئيل أن يروع النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن يؤذيه بالعصر والخنق، إلى حد أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يظن أنه الموت، يفعل به ذلك، وهو يراه عاجزا عن القيام بما يأمره به ولا يرحمه، ولا يلين له!!

ولماذا يفعل به ذلك ثلاث مرات، لا أكثر ولا أقل؟!.

ولماذا صدقه في الثالثة، ولا يصدقه في المره الأولى؟ أو الثانية؟! وإذا كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد كذب عليه أولا، فكيف بقى أهلا للنبوه؟! وإذا كان قد صدقه فلماذا لم يقتنع جبرئيل بكلامه، وعاد فخنقه حتى ليظن أنه الموت؟!.

و أيضا، هل جاء جبرئيل اليه بكتاب ليقرأه؛ إذ أن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما أنا بقارىء) إنما يصح لو كان (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فهم أن جبرئيل يأمره بالقراءة نفسها- لا بتعلم القراءة- كما ذكره السندي (١).

و إذا كان المراد: القراءة بمعنى التلاوه؛ فلماذا يطلب منه جبرائيل ذلك، قبل أن يتلو عليه شيئا؟. ثم لماذا يعاند هو و يرفض ذلك؟!.

و بعد هذا كله، لماذا يستسلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لجبرائيل ليعذبه على هذا النحو الذى لا مبرر له؟

ثم لماذا يرجع مرعوبا خائفا؟! ألم يكن باستطاعته أن يلطمه لطمه يقلع بها عينه؟ كما فعل موسى بملك الموت من قبل؟! حيث إنه لما جاء ليقبض روحه، لطمه على عينه فقلعها، كما نص عليه البخارى، و كثير من المصادر الأخرى (٢)!! اه

١- حاشيه السندي على البخارى بهامشه ج ١ ص ٣ ط سنه ١٣٠٩.

٢- البخارى ط سنه ١٣٠٩ ج ١ ص ١٥٢، أبواب الجنائز، و ج ٢ ص ١٥٩ باب وفاه

أم يعقل: أنه كان- و العياذ بالله- جباناً إلى هذا الحد؟! و كانت الشجاعه من مختصات نبى الله موسى وحده؟!

و أخيراً، كيف يخاف نبينا هنا، و الله تعالى يقول: يا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١).

قد ورد ان زراره بن أعين سأل الإمام الصادق (عليه السلام): كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما ينزع به الشيطان؟ فقال: ان الله إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينه و الوقار، فكان الذى يأتيه من قبل الله مثل الذى يراه بعينه (٢).

إشاره:

هذا، و من المضحك المبكى هنا: أن نجد البعض يحاول أن يستدل بهذه الروايه على رأى يكذبه العقل و النقل، و بالذات يكذبه نص القرآن الكريم؛ فنراه يجعل ذلك دليلا على جواز التكليف بما لا يطاق (٣)- كما هو مذهبهم- الأمر الذى يصادم العقل و الفطره، و يخالف القرآن، كما فى قوله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (٤)، و قوله: وَ ما جَعَلَ ٦.

١- النمل / ١٠.

٢- تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٠١ و البحار ج ١٨ ص ٢٦٢.

٣- فتح البارى ج ٨ ص ٥٥١، و إرشاد السارى ج ١ ص ٦٣.

٤- البقره: ٢٨٦.

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (١)، و قوله: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ، وَ لَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ (٢) و غير ذلك كثير.

رابعاً: حول ما يذكر من خوفه (صلى الله عليه وآله وسلم)، و دور زوجته و ورقه و غيرهما فى بعث الطمأنينه فى نفسه نذكر:

ألف: كيف يجوز إرسال نبي يجهل نبوه نفسه، و يحتاج فى تحقيقها الى الاستعانه بإمرأه، أو نصرانى؟ ألم تكن هى فضلا عن ذلك النصرانى اجدر بمقام النبوه من ذلك الخائف المرعوب الشاك؟

و حتى لو قبلنا ذلك، فمن أين علم: أن تلك المرأه و ذلك الرجل قد صدقاه، و قالا الحقيقه؟

و لماذا لم يستطع هو أن يدرك ما ادركته تلك المرأه، و ذلك النصرانى؟! أم يعقل أن يكون كلاهما أكبر عقلا و أكثر معرفه بالله و تفضلاته منه؟! - نعوذ بالله من الزلل فى القول و العمل.

و إذا جاز أن يرتاب هو مع معايته لما يأتیه من ربه، فكيف ينكر على من ارتاب من سائر الناس، مع عدم معايتهم لشيء من ذلك؟!.

قال السندى: (مقتضى جواب خديجه، و الذهاب الى ورقه: أن هذا كان منه على وجه الشك. و هو مشكل بأنه لما تم الوحي صار نبيا، فلا- يمكن أن يكون شاكاً بعد فى نبوته، و فى كون الجائى عنده ملكاً من الله، و كون المنزل عليه كلام رب العالمين)!!

ثم حاول السندى توجيه ذلك بأنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد اختبار خديجه، و أن يمهد لاعلامها بالامر (٣). ٣.

١- الحج: ٧٨.

٢- البقره: ١٨٥.

٣- حاشيه السندى بهامش البخارى ط سنه ١٣٠٩ هـ ج ١ ص ٣.

و هو توجيه عجيب، فإننا لم نعهد منه صلى الله عليه وآله وسلم إتباع مثل هذه الأساليب الملتويه فى الوصول الى مقاصده و نحن نجله صلى الله عليه وآله وسلم عن نسبة الكذب اليه على خديجه- معاذ الله، ثم معاذ الله!!.. ثم .. كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقى نفسه من شواهد الجبال، و غير ذلك مما تقدم مما ذكرته روايات الوحي؟!

و أيضا، كيف يبعث الله رجلا، قبل أن يربيه تربيه صالحه و يعده إعدادا تاما، بحيث يستطيع أن يكون فى مستوى الحدث العظيم الذى ينتظره؟! نعم، كيف أهمله هكذا، حتى إنه حين بعثته لبيدو مذعورا خائفا، طانا بنفسه الجنون، يريد أن يلقى بنفسه من شواهد الجبال، حتى كأنه طفل تائه، يملأ قلبه الهم، يحتاج إلى من يطمئنه، و يهديه، و يأخذ بيده، و لو امرأه أو أى انسان عادى آخر؟! هذا كله عدا عن أن ذلك يدل و العياذ بالله على ضعف إرادته، و ضآله شخصيته.

و أين ذهب عن ذاكرته تلك الكرامات التى كان يواجهها، دون كل أحد، كتسليم الشجر و الحجارة عليه (١). و الرؤيا الصادقه، و غير ذلك مما ذكره المؤلفون و المؤرخون!؟.

ب: قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) (٢).

و قال تعالى: (قُلْ: نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ؛ لِنُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَ هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (٣).

و قال: (إِنِّي عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي) (٤) و قال تعالى: (قُلْ: هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنْ اتَّبَعَنِي) (٥). ٨.

١- سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٣٤ / ٢٣٥.

٢- الفرقان: ٣٢.

٣- النحل: ١٠٢.

٤- الأنعام: ٥٧.

٥- يوسف: ١٠٨.

إذن، فالنبوه، و تنزيل القرآن، ليس إلا لتثبيت المؤمنين، و لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، و هذا يتنافى مع قولهم: إن نفسه الشريفه قد سكنت اعتمادا على قول نصرانى، أو امرأه.

كما أن من الواضح: أنه لا حجه بينه فى قول ورقه، أو خديجه، فكيف صح أن يقول: قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيره أنا و من اتبعنى.

و خامسا: لا بد من الاشاره إلى بعض الكلام حول ورقه، و نسطور، و عداس، و بحيرا و غيرهم، ممن ذكرت اسمائهم فيما تقدم، و عمدته الروايات تتجه نحو ورقه، و تركز عليه. لا سيما و أنه هو الذى نص عليه البخارى، و غيره من المصادر الموثوقه لدى غير الشيعه.

١- أما نسطور، و بحيرا، فهما الراهبان اللذان تنسب اليهما القضيه التى جرت للنبي صلى الله عليه و آله وسلم فى صغره، حينما سافر مع أبى طالب إلى الشام، و بصرى حيث بشر نسطور أو بحيرا بنبوه النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، و أمر بإعادته صلى الله عليه و آله وسلم إلى مكه كما تقدم.

و إذا كان بحيرا أو نسطور فى بصرى- و هى قصبه كوره حوران فى الشام من اعمال دمشق- فيرد السؤال: كيف سافرت خديجه من مكه إلى الشام هذه السفره الطويله؟، أو متى كتبت إليه فاجابها. مع أنهم يقولون:

إنه صلى الله عليه و آله وسلم بعث فى أول يوم، فأسلم على و خديجه (عليها السلام) فى اليوم الثانى، و صليا معه مسلمين مؤمنين بنبوته (١).٧.

١- مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٢ و تلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحه و فرائد السمطين ج ١ ص ٢٤٣. و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٣ ص ٣٢ و المناقب للخوارزمى ص ٢١ و الجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٤٠ و تفسير الوصول ج ٢ ص ١٤٧.

و هل كان فى ذلك الزمان طائرات؟، أو أنها سافرت على بساط الريح، أو طويت لها الأرض؟! و لا ندرى، فلعلهم قد انتقلوا ليسكنوا قرب مكة، لتتمكن خديجه من استشارتهم فى الوقت المناسب، ثم لا يعود يسمع لهما ذكر أصلا، لأن مهمتهما قد انتهت (!!!).

٢- و عداس، اليس هو الذى اسلم على يد النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى الطائف بعد عشر سنين من البعثه أى بعد وفاه أبى طالب (عليه السلام).

و تروى القصة بنحو يدل أن عداسا لم يكن يعرف النبى صلى الله عليه و آله وسلم قبل ذلك (١) و لا سمع به.

كما أن الروايات تنص على أن جوابه هو نفس جواب ورقه، و على أنه كان- كورقه- راهبا، كبير السن، قد وقع حاجباه على عينيه، و قد ثقل سمعه إلخ ... و هذه الأوصاف يشاركه فيها غيره ممن سألتهم خديجه ما عدا ثقل السمع، الذى عوض عنه ورقه المسكين بالعمى ...

و احتمال أن يكون عداس هذا غير ذاك، ليس له ما يؤيده، أو يشير اليه.

و يبقى هنا سؤال أخير، و هو: أنه كيف لم يسمع باسلام هؤلاء:

بحيرا، و عداس، و نسطور، من حين بعثته صلى الله عليه و آله وسلم ، مع معرفتهم بان النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد بعث، و مع أن سند نبوته قد تلقاه صلى الله عليه و آله وسلم منهم، حسب نص الروايات المتقدمه؟ ...

كما أن روايه عداس تقول: إنه لما عادت خديجه من عند عداس، اذا بجبرئيل يقرى ء النبى صلى الله عليه و آله وسلم سوره القلم. و هذا مخالف لما يذكره المفسرون: من أن هذه السوره إنما نزلت حينما وصف المشركون النبى صلى الله عليه و آله وسلم بأنه مجنون (٢)، و واضح: أن هذا لم يحصل إلا بعد انتهاء ٤.

١- سيأتى ذلك فى الجزء الثالث من هذا الكتاب فى فصل: الهجره إلى الطائف.

٢- الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠، و السيره الحلييه ج ١ ص ٢٤٤.

فتره الدعوه السريه، و حينما صدع بما يؤمر به، كما هو معلوم.

٣- أما ورقه: فانهم بالاضافه إلى ما ينسبونه اليه من دور هام في تثبيت نبوه نبينا الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، نجدهم يذكرون: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد قال عن ورقه كلاما يدل على أنه فى الجنة، و لكنهم اختلفوا فى نص ذلك الكلام.

ففى روايه انه صلى الله عليه و آله وسلم قال: (لا- تسبوا ورقه فانى رأيت له جنه، أو جنتين ...) أو (رأيتاه فى ثياب بيض) و فى أخرى: (لقد رأيت القس- يعنى ورقه- فى الجنة عليه ثياب الحرير.) و فى ثالثه: (أبصرته فى بطنان الجنة و عليه ثياب السندس). و فى رابعه: (قد رأيتاه فرأيت عليه ثيابا بيضا، و أحسبه لو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض) (١).

و عداه ابن منده فى الصحابه، و عدّه الزين العراقى على: أنه أول من أسلم، و مال إليه البلقينى (٢).

و تقدم فى الروايات حول بدء الوحي، التى هى موضع المناقشه:

أنه صدق النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و عرّفه أنه نبى، و وعداه النصر، ثم لم ينشب أن توفى.

هذا ما قيل عنه، و لكننا نجد فى مقابل ذلك:

١- ان ابن عساكر يقول: (لا أعرف أحدا قال: إنه اسلم) (٣).

٢- و ابن الجوزى يقول انه: (آخر من مات فى الفتره، و دفن فى ٣).

١- راجع تلکم النصوص فى مستدرک الحاكم ح ٢ ص ٦٠٩ و تلخيصه للذهبي هامش نفسه الصفحه، و صححاه على شرط الشيخين، و سيره مغطای ص ١٥ عن الحاكم، و المصنف ج ٥ ص ٣٢٤، و نسب قريش لمصعب الزبيرى ص ٢٠٧، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٩، و الروض الأنف ج ١ ص ٢٧٥، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥٠، و أسد الغابه ج ٥ ص ٨٩، و الإصابه ج ٣ ص ٦٣٥، و غير ذلك.

٢- شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٧٤، و إرشاد السارى ج ١ ص ٦٧.

٣- الإصابه ج ٣ ص ٦٣٣.

الحجون، فلم يكن مسلماً.) و كذا قال غيره (١).

٣- و ابن عباس يقول: (مات على نصرانيته) (٢).

٤- لقد مات على نصرانيته، مع أنه عاش بعد البعثة عدة سنوات، فكيف يدخل الجنة إذن. و يدل على أنه عاش بعد البعثة عدة سنوات، ما رواه غير واحد، من أنه كان يمر ببلاط و هو يعذب، و نهاهم عنه فلم ينتهوا؛ فقال: و الله، لئن قتلتموه لأتخذن قبره حناناً (٣) و تعذيب بلال إنما كان بعد الاعلان بالدعوه كما هو معروف.

و كيف يصح قول البعض: إنه مات بعد النبوه و قبل الرساله (٤)؟!.

و قد اسلم على و خديجه، و صلوا ثانياً يوم البعثة، بدعوه منه صلى الله عليه و آله وسلم، فلماذا بقى ورقه على نصرانيته هذه السنين المتعدده.

هذا، عدا عن أن البعض قد استنتج مما رواه البخارى و غيره، من أن سوره المدثر كانت أول ما نزل عليه صلى الله عليه و آله وسلم، و بالذات من قوله: (قم فأندر) - استنتج -: أن البعثة كانت مقترنه بالنبوه (٥).

٥- قال فى الامتاع و غيره: إن ورقه قد توفى فى السنه الرابعه ١.

١- الإصابه ج ٣ ص ٦٣٤، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٣ / ٨٤ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥٠.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥٠، و الإصابه ج ٣ ص ٦٣٤.

٣- حليه الأولياء ج ١ ص ١٤٨، و نسب قريش لمصعب ص ٢٠٨، و إرشاد السارى، ج ١ ص ٦٧، و فتح البارى ج ١ ص ٢٦، عن

ابن إسحاق، و ج ٨ ص ٥٥٤، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٤ و ١٢٥، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥٢، و الإصابه ج ٣ ص

٦٣٤، و ليراجع نهايه ابن الأثير ج ١ ص ٢٦٦، و السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٤٩٢.

٤- السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٤ و غيره.

٥- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥١.

للمبعث أو بعد تتابع الوحي (١).

٦- نقل عن الواقدي: أنه توفى بعد الأمر بالقتال (٢)- و كان ذلك بعد الهجره.

و عليه فكيف يكون ورقه فى الجنه عليه ثياب السندس أو الحرير؟!- و كيف يكون هو فى الجنه، و أبو طالب حامى الاسلام و الدين فى ضحضاح من نار؟!.

و بعد ذلك كله، فاننا لم نفهم سبب تردد النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى أن يكون له جنه او جنتان، و لا نفهم أيضا، لماذا قال: و أحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض. أم لعله نسى أنه قد قال: إنه رآه فى الجنه عليه ثياب السندس أو الحرير؟! أو أن النبى نفسه صلى الله عليه و آله وسلم قد ترقى و تدرج فى التعرف على مالورقه من مقام؟! أم أن ورقه نفسه قد ترقى فى مدارج القرب و الزلفى؟!.

و أخيرا، فاننا لا ندرى بعد ورود تلك الأقوال فيه لماذا لم يحكم المسلمون جميعا بأنه أول من أسلم، لا على و لا خديجه، و لا غيرها؟! و لماذا لا يعدونه من جمله الصحابه؟!.

و كيف يقولون: إنه توفى و هو على نصرانته، ثم كيف يدخل هذا النصرانى الجنه؟!.

كانت تلك بعض الاسئله التى تحتاج إلى جواب. و أنى؟!.

وتمه أسئله أخرى:

هذا غيض من فيض مما يرد على تلك الروايات، و بقى فيها الكثير ٧.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥٠ و ٢٥٢ عن كتاب الخميس عن الصحيحين، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٤.

٢- إرشاد السارى ج ١ ص ٦٧.

من الاسئله، التي تحتاج إلى جواب:

فمثلا: حول ذهاب الملك حينما كشفت خديجه قناعها، و أدخلته صلى الله عليه و آله وسلم بين درعها و جلدتها.

يرد سؤال: إنه هل كان الحجاب فى ذلك الوقت مفروضا تلتزم به النساء؟، و كيف؟ و هم يقولون: إن الحجاب قد فرض فى المدينه بعد الهجره؟ و بعد وفاه خديجه (عليها السلام)؟! فكيف إذن أدركت خديجه أن الملك يذهب إذا كانت بلا قناع؟!

و أيضا هل الملك مكلف بعدم النظر إلى نساء البشر؟! و هل للملك شهوه كشهوه الانسان لابد من الاحتراس منها؟ و من أين عرفت خديجه كل ذلك.

إلى غير ذلك من الاسئله الكثيره التى لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع و المفيد.

و من الطعن فى النبوه أيضا:

و بالمناسبه، فان كل ما تقدم لم يفهم، بل زادوا عليه قولهم: إنه قد كان للنبي صلى الله عليه و آله وسلم عدو من شياطين الجن يسمى الابيض، كان يأتيه فى صوره جبرئيل، و لعله هو الشيطان الذى أعانه الله عليه فاسلم - كما يقولون (١).

و شيطانه هذا الذى اسلم كان يجرى منه مجرى الدم (٢).

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٥٣، و راجع: إحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧١ و فى هامشه عن مسلم، و الغدير ج ١١ ص ٩١ عنه، و المواهب اللدنيه ج ١ ص ٢٠٢، و مشكل الآثار ج ١ ص ٣٠، و راجع حياه الصحابه ج ٢ ص ٧١٢ عن مسلم و عن المشكاه ص ٢٨٠ و راجع: المحجه البيضاء ج ٥ ص ٣٠٢ / ٣٠٣.

٢- مشكل الآثار ج ١ ص ٣٠.

و كان يدعو الله بأن يخسأ شيطانه؛ فلما اسلم ذلك الشيطان ترك ذلك (١).

و رووا انه عرض للنبي صلى الله عليه و آله وسلم فى صلاته قال: فأخذت بحلقه فخنقته فانى لأجد برد لسانه على ظهر كفى (٢).
و يروون أيضا: أنه صلى الله عليه و آله وسلم قد صلى بهم الفجر، فجعل يهوى بيديه قدامه، و هو فى الصلاة؛ و ذلك لأن الشيطان كان يلقي عليه النار؛ ليفتنه عن الصلاة (٣).

و نقول:

و نحن لا نشك فى أن هذا كله من وضع أعداء الدين؛ بهدف فسح المجال أمام التشكيك فى النبوه، و فى الدين الحق. و قد أخذه بعض المسلمين - لربما - بسلامه نيه، و حسن طويته، و بلا تدبير أو تأمل، سامحهم الله، و عفا عنهم.
و الغريب فى الأمر: اننا نجدهم فى مقابل ذلك يروون عنه صلى الله عليه و آله وسلم قوله لعمر: (و الذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجاء، إلا سلك فجاء غير فجك (٤))، و قوله له: (إن الشيطان ليخاف او ليفرق منك يا ٤).

١- المصدر السابق.

- ٢- مسند أبى يعلى ج ١ ص ٥٠٦ و ٣٦٠ و مسند أبى عوانه ج ٢ ص ١٤٣ و السنن الكبرى ج ٢ ص ٢٦٤ و مسند أحمد ج ٢ ص ٢٩٨ و أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه، و ثمة مصادر كثيره أخرى و راجع الغدير ج ٨ ص ٩٥.
٣- المصنف ج ٢ ص ٢٤، و راجع: البخارى ط سنه ١٣٠٩ هـ ج ١ ص ١٣٧، و ج ٢ ص ١٤٣.
٤- صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٥، و البخارى ط سنه ١٣٠٩ هـ ج ٢ ص ١٤٤ و ١٨٨، و مسند أحمد ج ١ ص ١٧١ و ١٨٢ و ١٨٧. و الرياض النضره ج ٢ ص ٢٩٩ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٢ ص ١٧٨ و الغدير ج ٨ ص ٩٤.

عمر (١) وقوله: (إن الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم إلا- خر لوجهه (٢)) و عن مجاهد: كنا نتحدث، أو نحدث: ان الشياطين كانت مصفده في اماره عمر، فلما أصيب بئت (٣).

و صار عمر الشيطان مرات، و في كل مره يصرعه عمر (٤).

هذا عمر! و هذه حاله الشيطان معه! و ذلك هو نبي الاسلام الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، و تلك هي حالته مع الشيطان، عند هؤلاء، الذين تروق لهم مثل هذه الترهات، و يتقبلونها من اعداء الاسلام، و المتاجرين به بسذاجه هي إلى الغباء أقرب.

و لربما يكون الدافع لدى بعضهم أن يجد لأبى بكر الذى قال حين أصبح خليفه: إن له شيطانا يعتريه أن يجد له نظيرا، و لكن من مستوى لا يدانى و لا يجارى؛ فوقع اختياره على النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، ليكون هو ذلك النظير؛ فانا لله و إنا إليه راجعون.

ما هو الصحيح فى قضيه بدء الوحي:

و الذى نطمئن إليه هو أنه قد أوحى إلى النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، و هو فى غار حراء فرجع إلى أهله مستبشرا مسرورا بما اكرمه الله به، مطمئنا إلى ١.

١- صحيح الترمذى كتاب ٤٦ باب ١٧ و فيض القدير عنه و عن أحمد و ابن حبان. و راجع تاريخ عمر ص ٣٥. و الغدير ج ٨ ص ٩٦.

٢- عن فيض القدير ج ٢ ص ٣٥٢ عن الطبرانى و ابن منده، و أبى نعيم، و الإصابه ج ٤ ص ٣٢٦ عنهم.

٣- منتخب كنز العمال، هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٣٨٥ / ٣٨٦، عن ابن عساكر و حياه الصحابه ج ٣ ص ٦٤٧ عن المنتخب.

٤- حياه الصحابه ج ٣ ص ٦٤٦ عن مجمع الزوائد ج ٧ ص ٧١ عن الطبرانى و صحح بعض طرقه، و عن أبى نعيم فى الدلائل ص ١٣١.

المهمه التى أوكلت إليه - كما يرويه ابن اسحاق، و اشارت إليه الروايه الأخيره التى تقدمت عند ذكر نصوص الروايات - و ان كان قد زيد فيها مالا يصح - فشاركه أهله فى السرور، و اسلموا، و قد روى هذا المعنى عن أهل البيت (عليهم السلام).

فعن زراره أنه سال الامام الصادق (عليه السلام): كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فيما يأتيه من قبل الله: أن يكون مما ينزع به الشيطان؟.

فقال: إن الله إذا اتخذ عبدا رسولا، أنزل عليه السكينه و الوقار، فكان الذى يأتيه من قبل الله، مثل الذى يراه بعينه (١).

و سئل (عليه السلام): كيف علمت الرسل انها رسل؟ قال: كشف عنهم الغطاء (٢).

و قال الطبرسى: (إن الله لا- يوحى إلى رسوله إلا- بالبراهين النيره، و الآيات البينه، الداله على ان ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى؛ فلا يحتاج إلى شىء سواها، و لا يفزع و لا يفزع، و لا يفرق (٣)).

و قال عياض: (لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صوره الملك، و يلبس عليه الامر، لا فى أول الرساله و لا بعدها. و الاعتماد فى ذلك على دليل المعجزه. بل لا يشك النبى ان ما ياتيه من الله هو الملك، و رسوله الحقيقى، إما بعلم ضرورى يخلقه الله له، أو ببرهان جلى يظهره الله لديه؛ لتتم كلمه ربك صدقا و عدلا، لا مبدل لكلمات الله (٤)).

١- التمهيد فى علوم القرآن ج ١ ص ٤٩ عن العياشى ج ٢ ص ٢٠١، و البحار ج ١٨ ص ٢٦٢.

٢- التمهيد ج ١ ص ٥٠، و البحار ج ١١ ص ٥٦.

٣- مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٤، و التمهيد ج ١ ص ٥٠ عنه.

٤- التمهيد ج ١ ص ٥٠ عن رساله الشفاء ص ١١٢.

لماذا الكذب و الافعال إذن؟!

و بعد كل ما تقدم؛ فإننا نرى أن افتعال تلك الاكاذيب يعود لأسباب، أهمها:

١- إن حديث الوحي هو من أهم الأمور التي يعتمد عليها الاعتقاد بحقائق الدين و تعاليمه. و له أهمية قصوى في اقناع الانسان بضروره الاعتماد في التشريع، و السلوك، و الاعتقاد، و الاخبارات الغيبية، و كل المعارف و المفاهيم عن الكون، و عن الحياه، على الرسل و الانبياء، و الائمة و الاوصياء، و له أهمية كبرى في اقناعه بعصمه ذلك الرسول، و صحه كل مواقفه و سلوكه، و اقواله و افعاله.

فاذا أمكن أن يتطرق الشك في نفسه الى الوحي، على اعتبار أنه إذا لم يستطع النبي صلى الله عليه و آله وسلم نفسه أن يفرق بين الملاك و الشيطان، و الوسوسة، و الحقيقه، و هو يعاين و يشاهد؛ فان غيره و هو لا يتيسر له الاطلاع الحسى على شىء من ذلك يكون أولى بالشك، و عدم الاعتماد.

و قد نقل الحجه البلاغى ان بعض أهل الكتاب قد نقض على المسلمين بذلك فقال: (الشيطان قرين محمد، و تشبث بنقله عن بعض المفسرين قولهم: إنه كان لرسول الله عدو من شياطين الجن، كان يأتيه بصوره جبرئيل. و انه يسمى الابيض (١)).

و بعد هذا، فإننا نستطيع أن نعرف سر محاولات أعداء الاسلام الدائبه للتشكيك في اتصال نبينا الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم بالله تعالى، فافتعلوا الكثير مما رأوه مناسبا لذلك، من الوقائع و الأحداث التي رافقت الوحي في مراحلها الأولى، أو حرفوه و حوروه حسب أهوائهم، و خططهم، و مذاهبهم، ٥.

١- الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٦٩ عن كتاب الهدايه في الرد على إظهار الحق، و السيف الحميدى ج ٣ ص ٥.

على اعتبار أنها فتره بعيدة نسبياً عن تناول الأيدي عاده، فلما فشلوا في ذلك حاولوا ادعاء أن ما جاء به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كان نتيجة عبقريته ونبوغه، وعمق تفكيره، ومعرفته بطرق استغلال الظروف، وانتهاز الفرص. وليس لأجل اتصاله بالمبدأ الأعلى تبارك وتعالى.

وهكذا، فإننا نستطيع أن نتهم يد أهل الكتاب في موضوع الأحداث غير المعقولة، التي تنسب زورا وبهتانا إلى مقام نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثته، ولا أقل من تشجيعهم لمثل هذه الترهات.

٢- كما أنه لا بد أن يحتاج نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إليهم لإمضاء صك نبوته، وتصديق وحيه، ويكون مدينا لهم، وعلى كل مسلم أن يعترف بفضلهم، وعمق وسعه اطلاعهم، ومعرفتهم بأمور لا يمكن أن تعرف إلا من قبلهم؛ فكان اختراع هذا الدور لورقه، وعداس، وبحيرا، وناصح، ونسطور، وكلهم من أهل الكتاب!!

٣- واما سؤال: لماذا اختص نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بكل تلك المصاعب والأهوال، وبهذه المعاملة السيئة من جبرائيل، حتى لقد صرح البعض: بأنه لم ينقل عن أي من الأنبياء السابقين: أنه تعرض لمثل ذلك عند ابتداء الوحي، حتى عد ذلك من خصائص نبينا صلى الله عليه وآله وسلم (١).

إن هذا السؤال لا يبقى له وقع، إذا لا حظنا: أن بعض الأمور والأحوال غير المعقولة، قد تسربت إلى بعض المسلمين من قبل أهل الكتاب، حتى أصبحت جزءاً من التاريخ، والفقهاء والعقائد والخ. وذلك من أجل أن يكون لنبي المسلمين نفس الحالات التي تذكر لغيره من الأنبياء في كتب أهل الكتاب. ٢.

١- بهجة المحافل ج ١ ص ٦٢، وفتح الباري ج ٨ ص ٥٥٢، وإرشاد الساري ج ١ ص ٦٣، والسيره الحلبيه ج ١ ص ٢٤٢.

و إذن، فليس غريباً أن نجد ملامح هذه القصة موجوده فى العهدين، فقد جاء فى الكتابين الذين يطلق عليهما اسما التوراه و الانجيل: أن دانيال خاف و خر على وجهه، و زكريا اضطرب، و وقع عليه الخوف، و يوحنا سقط فى رؤياه كميته، و عيسى تغيرت هيئته و وجهه، و بطرس حصلت له غيبوبه و اغماء، و هكذا الحال بالنسبه ليعقوب و ابراهيم و غيرهم (١).

و لكن ذلك لا يعنى: أننا ننكر ثقل الوحي عليه صلى الله عليه و آله وسلم: فان ذلك بحث آخر (٢). و لكننا ننكر اضطرابه و خوفه صلى الله عليه و آله وسلم، حتى أراد أن يتردى من شواهد الجبال، و خاف على نفسه الجنون. و ننكر ما فعله به جبرئيل، حسب ما ذكرته الروايات المتقدمه، فان الظاهر ان ذلك قد تسرب من قبل أهل الكتاب إلى المحدثين الاتقياء. أو فقل: الاغبياء! الاشقياء، كما هو الحال فى كثير من نظائر المقام، حسبما يظهر للناقد البصير، و المتتبع الخبير.

٤- انك تجد فى العهدين أن الشيطان يتصرف بالانبياء و غيرهم حتى بابن الاله بزعمهم فيقولون: إن الروح أصدع المسيح إلى البريه أربعين يوماً ليحرب من قبل ابليس، فأصدعه الشيطان الى جبل عال، و أراه جميع ممالك المسكونه فى لحظه من الزمان، و قال له: أعطيك هذا السلطان كله و اسجد لى إلخ (٣).

و قال فى موضع آخر: و لما اكمل ابليس كل تجربه (أى معه).

١- راجع فى ذلك كله: الهدى إلى دين المصطفى، للحجه البلاغى ج ١ ص ١٤.

٢- و قوله تعالى: (إِنَّا سَيَّلْنَا قَوْلًا ثَقِيلًا) يرى المحقق السيد مهدي الروحانى أن معناه: أن مهمه دعوه الناس إلى الحق، و ترك عاداتهم و ما هم عليه حتى يزيكهم، من أثقل الأمور و أصعبها.

٣- إنجيل متى الإصحاح ٤ الفقره ٣-١٣ و الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٧٠ عنه.

المسيح) فارقه إلى حين (١).

و يقول بولس الرسول: و لئلا أرتفع بفراط الاعلانات اعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليظمني؛ لئلا أرتفع؛ من جهة هذا
تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني (٢).

و في موضع آخر: لذلك أردنا أن نأتي أنا و بولس مره و مرتين، و إنما عاقنا الشيطان (٣).

كما أن الانجيل يذكر: أن المسيح قد عبر عن بطرس بأنه شيطان (٤).

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه (٥).

٥- و عدا عن ذلك كله. فاننا لا نستبعد: أن يكون الهدف من جعل تلك الترهات، هو الحط من كرامه النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم ، و الطعن في قدسيته و مقامه في نفوس الناس، و تصويره لهم على أنه رجل عادى مبتذل، و لا أدل على ذلك من إحتياجه الى أبسط الناس حتى النساء ليرشده إلى طريق الهدى، و يدلّه على الحق؛ مما يدل على أنه قاصر محتاج باستمرار الى مساعده الآخرين؛ الذين هم أحسن تصرفا و أكثر تعقلا منه.

و قد أشرنا في تمهيد الكتاب إلى بعض ما يمكن أن يقال في ذلك، ٣.

١- الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٧١ عن إنجيل لوقا ١٣.

٢- كورنتوش الثانية الإصحاح ١٢ فقره ٧-٩.

٣- تسالونيكي الأولى الإصحاح الثاني فقره ١٨. و الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٧٢ عنه.

٤- إنجيل متى الإصحاح ١٦ فقره ٢٣، و الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٧١.

٥- راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٦٩-١٧٣.

و قلنا: إن الظاهر هو أن تلك خطه السياسيين، الذين يريدون أن يرغموا أنوف بنى هاشم، و يبزّونهم سياسيا، من أمثال: معاوية الذى أقسم على أن يدفن ذكر النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و مع معاوية سائر الامويين و اعوانهم.

و من أمثال عبد الله بن الزبير، الذى قطع الصلاه على النبى صلى الله عليه و آله وسلم مدته طويله؛ لأن له أهيل سوء إذا ذكر شمخت آنافهم (١).

٦- لقد كان الزبيريون يواجهون و ينافسون الامويين، و يعادون الهاشميين، و يحسدونهم على مالهم من شرف و سؤدد.

و اذا لا حظنا نصوص الروايه المتقدمه لقضيه ورقه بن نوفل، فإن عمدته رواتها هم من الزبيريين و حزبهم،

كعروه بن الزبير، الذى اصطنعه معاويه ليضع أخبارا قبيحه فى على.

و كإسماعيل بن حكيم- مولى آل الزبير.

و كذلك وهب بن كيسان.

ثم أم المؤمنين عائشه خاله عبد الله بن الزبير.

ثم لا حظنا فى المقابل: أن خديجه هى بنت خويلد بن أسد، و ورقه هو ابن نوفل بن أسد، و الزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد. فتكون النسبه بين الجميع واضحه المعالم (٢)- إذا لا- حظنا ذلك كله- فإننا نستطيع أن نعرف: أنه كان لابد و أن يكون لأقارب عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، و من ثم للزبيريين بشكل عام، دور حاسم فى انبعاث الإسلام، إذ لولاهم لقتل النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه، أو على الأقل لمه.

١- تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على حلف الفضول فراجع.

٢- لكن من الواضح: أن كون ورقه هو ابن عم خديجه؛ يبعد كون ورقه شيخا كبيرا، قد وقع حاجباه على عينيه، كما تزعم النصوص المتقدمه.

يستطع أن يكتشف نبوه نفسه.

و إذا كان للزبيريين هذا التاريخ المجيد، فليس للأمويين أن يفخروا عليهم بخلافه عثمان، و ليس للهاشميين أن يفخروا بمواقف أبي طالب، و ولده على أمير المؤمنين (عليه السلام).

و إذن، فلا بد من دعوى: أن ورقه قد تنصر، و أنه كان يكتب من الإنجيل بالعبرانيه ماشاء، إلى آخر ما قيل و يقال فى ذلك.

النتيجه:

و هكذا فإن النتيجه تكون هى: أن الأمويين يستفيدون من افتعال القصبه على هذا النحو، و يحققون أعز أهدافهم و أغلاها، كما أن الزبيريين أيضا يستفيدون منها، أما أهل الكتاب فيكون لهم منها حصه الأسد.

و بذلك ينعقد الإجماع من قبل مسلمه أهل الكتاب، الذين لم يسلموا و لكنهم إستسلموا، إلى جانب منافقى هذه الأمه و طلقائها، و طلاب الدنيا، فأدخلوا فى الإسلام من إسرائيليات أولئك، و ترهات هؤلاء كل غريبه؛ و نسبوا إلى نبي الإسلام كل عجيبه، بعد أن نجحوا فى إبعاد أهل البيت (عليهم السلام) عن موقعهم الذى جعله الله سبحانه لهم، ليحتل القصاصون و أذئاب الحكام محلهم، و كانت هذه الجريمه النكراء حينما التقت المصالح و الأهواء، و اجتمعت على هذا الأمر، فلماذا لا يدلى كل بدلوه؟ أو كيف لا تشجع أمثال هذه الترهات و الأباطيل.

عصمنا الله من الزلل، فى القول و العمل.

ص: ٣١٦

الفصل الثالث: الدعوه فى مراحلها الاولى

اشاره

أول من أسلم:

إن أول من أسلم، و اتبع و صدق، و آزر و ناصر، هو أمير المؤمنين، و إمام المتقين، علي بن أبي طالب صلوات الله و سلامه عليه و علي أبنائه الأئمة الطاهرين.

و أورد العلامة الأميني في كتابه القيم (١): أقولا عن العشرات من كبار الصحابه، و التابعين، و غيرهم من الأعلام، و عن العشرات من المصادر غير الشيعيه، تؤيد و تؤكد علي ان أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول الأئمه اسلاما.

و من هؤلاء الأعلام: ١- علي (عليه السلام) نفسه، ٢- الإمام الحسن (عليه السلام)، ٣- الإمام الباقر (عليه السلام)، ٤- عمر بن الخطاب، ٥- سلمان الفارسي، ٦- أنس بن مالك، ٧- إبن عباس، ٨- أبوذر، ٩- المقداد بن عمرو، ١٠- خباب بن الارت، ١١- جابر بن عبد الله الأنصاري، ١٢- أبو سعيد الخدري، ١٣- حذيفه بن اليمان، ٩.

١- راجع: الغدير ج ٣ ص ٩٥ و ٩٦ و ٩٩ و ٢٢٤-٢٣٦ و ج ١٠ ص ١٥٦ و ١٥٨ و ١٦٤ و ١٦٨ و ٢٩٠ و ٣٢٢ و ج ٩ ص ١١٥ و ١٢٢ و راجع دلائل الصدق، و الأوائل للطبراني ص ٧٨ / ٧٩.

١٤- عبد الله بن مسعود، ١٥- أبو أيوب الأنصاري، ١٦- خزيمه بن ثابت (ذو الشهادتين)، ١٧- عمرو بن العاص، ١٨- سعد بن أبي وقاص، ١٩- زيد بن أرقم، ٢٠- محمد بن أبي بكر، ٢١- جرير بن عبد الله البجلي، ٢٢- بريده الأسلمي، ٢٣- عفيف الكندي، ٢٤- أبو رافع، ٢٥- أبو مرزم، ٢٦- هاشم المرقال، ٢٧- عبد الله بن حجل، ٢٨- ابو عمره (بشير بن محصن)، ٢٩- عبد الله بن خباب بن الارت، ٣٠- عبد الله بن بريده، ٣١- مالك الأشتر، ٣٢- عدى بن حاتم، ٣٣- محمد بن الحنفية، ٣٤- طارق بن شهاب الأحمسي، ٣٥- عبد الله بن هاشم المرقال، ٣٦- عمرو بن الحمق، ٣٧- سعيد بن قيس الهمداني، ٣٨- عبد الله بن أبي سفيان، ٣٩- كعب بن زهير، ٤٠- ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، ٤١- الفضل بن أبي لهب، ٤٢- أبو الأسود الدؤلي، ٤٣- جندب بن زهير، ٤٤- مالك بن عباده، ٤٥- زفر بن يزيد بن حذيفه الأسدي، ٤٦- النجاشي بن الحارث بن كعب، ٤٧- عبد الله بن حكيم، ٤٨- عبد الرحمن بن حنبل، ٤٩- عامر الشعبي، ٥٠- الحسن البصري، ٥١- قتامة، ٥٢- ابن شهاب الزهري، ٥٣- محمد بن المكندر، ٥٤- أبو حازم سلمه بن دينار، ٥٥- ربيعة بن عبد الرحمن، ٥٦- محمد بن السائب الكلبي، ٥٧- جنيد بن عبد الرحمن، ٥٨- محمد بن إسحاق، ٥٩- الوليد بن جابر، و زاد العسقلاني: ٦٠- عبد الله بن فضاله المزني، ٦١- عمر بن مره الجهني (١).

بعض ما جاء في سبق على الإسلام:

هذا كله، عدا عن الكثير من الروايات الواردة عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، و كلمات أمير المؤمنين نفسه، و
عدا.

عن كلمات الصحابه و التابعين و أشعارهم، بل لقد ادعى البعض الإجماع عليه (١).

و لعل حصر ذلك متعذر على أى باحث و متتبع، و لذا فلا محيص لنا عن الإكتفاء بأمثله قصيره لتكون عنوانا و إشارة لغيرها من الكثير الطيب الذى لم نذكره. و نحيل القارىء الى ما كتبه العلامة الأمينى (٢) فليراجعه إن أراد.

فإنهم يقولون:

لقد بعث النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يوم الإثنين، و أسلم على (عليه السلام) يوم الثلاثاء (٣).

و مما ورد عن النبى الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) بسند صحيح قوله: أولكم ورودا على الحوض، أولكم إسلاما على بن أبى طالب (٤).

و عنه (صلى الله عليه و آله و سلم): إنه لأول أصحابى إسلاما، أو أقدم أمتى سلما (٥).ن،

١- راجع: الصواعق المحرقة الفصل الأول، الباب التاسع، و معرفه علوم الحديث للحاكم ص ٢٢.

٢- راجع: الغدير ج ٣ ص ٢٢٠-٢٤٣ و ج ١٠ ص ١٥٨-١٦٢.

٣- راجع: الأوائل ج ١ ص ١٩٥.

٤- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٣٦ و صححه، و تاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ٨١، و الاستيعاب هامش الإصابه ج ٣ ص ٢٨ و شرح النهج للمعتزلى و السيره الحلبيه، و السيره النبويه لدحلان، و مناقب الخوارزمى، و الغدير ج ٣ ص ٢٢٠ عنهم فراجعهم، و الآحاد و المثنائى، مخطوط فى مكتبه كوپر لى رقم ٢٣٥.

٥- الغدير ج ٣ ص ٩٥/٩٦ عن: مسند أحمد ج ٥/٢٦ و الاستيعاب ج ٣ ص ٣٦، و الرياض النضرة، و مجمع الزوائد، و المرقاه، و كنز العمال، و السيره النبويه لدحلان،

و عنه أنه أخذ بيد علي (عليه السلام)، فقال: هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصفحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر (١).

و عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): هذا أول من آمن بي، و صدقني، و صلى معي (٢).

و عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): إن أول من صلى معي على (٣).

تصريحات أمير المؤمنين «عليه السلام» في ذلك:

و علي (٤) نفسه يصرح في كثير من المناسبات بذلك؛ فيقول عن نفسه: إنه لم يسبقه أحد في الصلاة مع رسول الله، و أنه أول من أسلم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و أنه الصديق الأكبر (عليه السلام)، و أنه لا يعرف أحدا في هذه الأمة عبد الله قبله غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). و أنه صلى قبل أن يصلى الناس سبع سنين (٥).

و لعل المراد التعبد مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل البعثة بسنتين، أو خمس سنين؛ حيث بدأت إرهاصات النبوه، ثم يضم إليها.

١- الغدير ج ٢ ص ٣١٣ عن الطبراني و البيهقي، و العدني، و مجمع الزوائد و كفايه الطالب و إكمال كنز العمال و لسوف يأتي

في حديث الغار حين الكلام عن تلقيب أبي بكر بالصديق المزيد من المصادر لهذا الحديث، و فرائد السمطين ج ١ ص ٣٩.

٢- شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٥.

٣- الغدير ج ٣ ص ٢٢٠ عن فرائد السمطين باب ٤٧ بأربعة طرق.

٤- الغدير ج ٢ ص ٣١٣ عن الطبراني و البيهقي، و العدني، و مجمع الزوائد و كفايه الطالب و إكمال كنز العمال و لسوف يأتي

في حديث الغار حين الكلام عن تلقيب أبي بكر بالصديق المزيد من المصادر لهذا الحديث، و فرائد السمطين ج ١ ص ٣٩.

٥- مصادر ذلك ستأتي بعد الهامش التالي.

ثلاث أو خمس سنين فتره الدعوه الإختياريه غير المفروضه بعد البعثه.

أو لعله عبد الله حقا مع رسول الله قبل البعثه سبع سنين إذا كان قد أسلم (ع) و هو ابن إثني عشر سنه أو حتى عشر سنين. حيث كان الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) يتعبد قبل البعثه و كان (صلى الله عليه و آله و سلم) على دين الحنيفيه، فكان على (عليه السلام) يعبد الله معه (صلى الله عليه و آله و سلم).

إلّا أن يكون الصحيح في الروايه هو ما ذكره ابن بطريق أنه قال:

صلت الملائكه عليّ و على علي سبع سنين (١).

و مهما يكن من أمر فإن الكلمات الداله على هذا الأمر كثيره، كما أنه، (عليه السلام) قد كتب هو نفسه بهذا الأمر الى معاويه، و رده في كلماته الكثيره المتضافره (٢).

دليل آخر:

و إن إحتجاجه (عليه السلام) بأنه أول من أسلم، و إحتجاج أصحابه.

- ١- كشف الغمه للإربلي ج ١ ص ٣٣٤.
- ٢- راجع هذه النصوص كلها عن أمير المؤمنين في الغدير ج ٣ ص ٢١٣ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ج ١٠ ص ١٥٨-١٦٤ و ج ٢ ص ٢٥-٣٠ و ٣١٤ عن: شرح النهج ج ١ ص ٥٠٣ و ٤٠٤ و ٢٨٣ و ج ٢ ص ١٠٢ و أبي داود بإسناد صحيح، و تاريخ بغداد للخطيب ج ٤ ص ٢٢٤، و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢ عن أبي يعلى، و أحمد، و البزار و الطبراني في الأوسط، و فرائد السمطين باب ٤٨، و الأوائل ج ١ ص ١٩٥ و وقعه صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٥٥ و ٣٦٠ و ١٣٢ و ١٠٠ و ١٦٨ و جمهره الخطب ج ١ ص ١٧٨ و ٥٤٢ و ٤٢٨ و جمهره الرسائل ج ١ ص ٥٤٢، و مروج الذهب ج ٢ ص ٥٩، و تذكره سبط ابن الجوزي ص ١١٥، و مطالب السؤل ص ١١، و المحاسن و المساوي ج ١ ص ٣٦ و تاريخ القرمانى هامش الكامل ج ١ ص ٢١٨. و ثمه مصادر أخرى في الغدير ج ١٠ ص ٣٢٢ فراجع.

من الصحابه و التابعين بهذه الكثره العجيبه على خصومهم، فى صفين و غيرها و اهتمامهم الواضح بهذا الأمر ليدل على ذلك دلاله واضحه.

و لم نجد أحدا من أعدائه (عليه السلام) حاول إنكار ذلك، أو التشكيك فيه، أو طرح إسم رجل آخر على أنه هو صاحب هذه الفضيله دونه، رغم توفر الدواعى لذلك، و رغم أن الطرف المقابل لا يتورع حتى عن الإختلاق و الكذب على الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، بل على الله سبحانه و تعالى. فلو أنهم عرفوا: أن كذبتهم هذه تجوز على أحد لكانوا لها من المبادرين. و لكن التسالم على هذا الأمر كان بحيث لا يمكنهم معه التوسل بأيه حيله، فكل ذلك يدل على أن ذلك قد كان أمرا مسلما به و مجمعا عليه، و لا يمكن إنكاره لأحد.

و كشاهد على هذا التسالم نذكر هنا حادثه واحده فقط، جرت لسعد بن أبى و قاص، الذى كان منحرفا عن على (عليه السلام)،- كما سيأتى فى معركه أحد إن شاء الله تعالى- و نترك ما عداها و هو كثير جدا.

و هذه الحادثه هى أنه:

سمع رجلا يشتم عليا، فوقف عليه و قرره بقوله: يا هذا، علاماتشتم على بن أبى طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟ ألم يكن أعلم الناس؟ إلخ (١).

كما أن المقداد كان يتعجب من قريش لدفعها هذا الأمر عن أول المؤمنين إسلاما، يعنى عليا (٢).٠

١- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٠٠، و صححه هو و الذهبى فى تلخيصه هامش نفس الصفحه، و حياه الصحابه ج ٢ ص ٥١٤/

٥١٥. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ٢ ٣٢٢ دليل آخر: ص : ٣٢١

٢- الغدير ج ٩ ص ١١٥ عن يعقوبى ج ٢ ص ١٤٠.

خاتمه المطاف:

و أظن أن ما ذكرناه كاف و واف في هذا المجال، و من أراد المزيد فعليه بالمراجعة إلى الكتب المعده لذلك.

و بعد هذا، فلا يصغى لقول النواصب و الحاقدين، الذين يهتمون في طمس فضائله (عليه السلام) بكل وسيله، و لو عن طريق الدجل و التزوير، و منهم ابن كثير، الذي قال: (و قد ورد في أنه أول من أسلم أحاديث كثيره، لا يصح منها شىء (١)).

لا يا ابن كثير: لقد تجنيت على الحقيقه و على التاريخ كل التجنى، و لم تستطع أن تكتم ما يعتلج في صدرك من إحن - فجرّك ذلك إلى المكابره، و إلى إنكار ما يكاد يلحق بالضروريات. فإن الروايات الصحيحه و الصريحه الداله على هذا الامر كثيره و كثيره جدا، كما يعلم بالمراجعه (٢).

القول بأن خديجه أول من أسلم:

و نجد في مقابل ذلك قولاً آخر مفاده: أن خديجه كانت هي السباقة إلى الإسلام و انها أول مخلوق آمن به. بل لقد ادعى البعض الإجماع على هذا القول (٣).

و لكنه قول مردود، لأن العديد من الروايات عن النبي (صلى الله .

١- البدايه و النهايه ج ٧ ص ٣٣٥.

٢- راجع الغدير ج ٣ و إحقاق الحق، قسم الملحقات، و غير ذلك.

٣- راجع: السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٦٧، و في تهذيب الأسماء و اللغات ج ٢ ص ١٨٢ نقل عن الثعلبي الاتفاق عليه. و قال ابن الأثير: إنها أول خلق الله إسلاما بإجماع المسلمين. راجع السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٩٠. و إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٤٨ و الأوائل للطبراني ص ٨٠.

عليه وآله وسلم)، و عن علي (عليه السلام)، و عن الصحابه و التابعين تعبر بأن عليا أول من صلى، أو أول من آمن، أو أول الأمم أو الناس إسلاما (١)، و لا يمكن أن يكون المقصود بالأمه أو الناس خصوص الرجال بناء على هذا القول، و لا خصوص الصبيان، بناء على قول آخر يأتي.

أبو بكر، و سبقه إلى الإسلام:

و بعد كل ما تقدم نعرف: أن ادعاء سبق غير أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الإسلام قد جاء متأخرا عن عهد الخلفاء الأربعة، و وضع بعد وفاه أمير المؤمنين (عليه السلام)، و لربما يكون قد حصل ذلك حينما كتب معاويه إلى الأقطار يأمرهم أن لا يدعوا فضيله لعلى إلا و يأتوه بمثلها لغيره من الصحابه (٢).

و من هنا، فإننا نعتقد: بأن القول بأوليه إسلام أبي بكر، و المروى عن: ١- ابن عباس ٢- الشعبي ٣- أبي ذر ٤- عمرو بن عبسه ٥- ابراهيم النخعي ٦- حسان بن ثابت، الذى يروى عنه قوله:

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقها ذكر أخاك أبا بكر و ما فعلا

خير البريه أتقاها و أعدلها إلا النبى و أوفاهها بما حصلا

و الثانى الصادق المحمود مشهده و أول الناس منهم صدق الرسلا

عاش حميدا، لأمر الله متعباهدى صاحبه الماضى و ما انتقلا (٣).

١- راجع: السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٩١، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٦٨ و ٢٧٥ و مناقب المغازلى، و مناقب الخوارزمى، ص ١٨- ٢٠ و الغدير ج ٣ ص ٢٢٠- ٢٣٦ و ج ١٠ ص ١٦٨ و ٢٩٠ و ٣٢٢ و ج ٩ ص ٣٩٢ تجد الكثير من التصريحات بذلك و كذا فى تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٣٣ و حليه الأولياء ج ١ ص ٦٦ و تهذيب تاريخ دمشق ج ٣ ص ٤٠٧.

٢- راجع: النصائح الكافيه لمن يتولى معاويه من ٧٢ حتى ص ٧٤.

٣- ديوان حسان ص ٢٩ ط أوروبا.

نعم، إننا نعتقد: أن ذلك كله موضوع في وقت متأخر، تزلفاً للأمويين، كما أن شعر حسان هذا لا يبعد أن يكون منحولاً، إذ لا يمكن أن يبادر إلى مخالفه ما كان متسالماً عليه بين الأمه، ولا سيما الصحابه منهم.

كما أننا نلاحظ: أن البيتين الأخيرين، فيهما حشو ظاهر، وليس لهما صياغه منسجمه (١).

و لربما يقال: إنهما بعيدان عن نفس حسان، و عن شاعريته، و عن سبكه، و طريقتة

و مما يدل على عدم صحه ذلك بالإضافه الى ما تقدم:

أولاً: إنه قد تقدم: أن ابن عباس، و الشعبي، و أبا ذر الذين روى عنهم القول بأوليه أبي بكر هم أنفسهم يقولون: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من أسلم. و يقول الإسكافي (٢): إن حديثهم في على أقوى سنداً، و أشهر من الحديث الآخر المنسوب إليهم في أبي بكر.

و أما روايه أبي ذر، و عمر بن عبسه؛ فهي مضطربه، لأنها تذكر: أن أبا ذر، و عمرو بن عبسه كلاهما ربح الإسلام، و أن بلالا أسلم قبل أبي بكر، و لا تذكر عليا (عليه السلام)، و لا خديجه، و هذا يعنى: أن بلالا قد أسلم قبل خديجه و على؛ مع أن العكس هو الصحيح، فإذا كانت خديجه رحمها الله و على (عليه السلام) و بلال، و عمرو بن عبسه قد أسلموا أولاً؛ فأين يكون إسلام أبي بكر بعد هذا؟!!

و ثانياً: إن عائشه نفسها تعترف بأن أباهما كان رابعاً في الإسلام، و قد.

١- فليلاحظ مثلاً: كلمه منهم في البيت الثالث. و قوله في الرابع: (متبعاً بهدى) و قوله: و ما انتقلنا- إلى غير ذلك من وجوه الضعف في السبك و الصياغه.

٢- راجع، الغدير، و شرح النهج للمعتزلى ج ١٣، و آخر كتاب العثمانيه.

سبقه إلى ذلك خديجه، و زيد بن حارثه، و علي (عليه السلام) (١).

و ثالثا: قد تقدم: أننا لم نجد أحدا يعترض على الصحابه، و لا- على التابعين، و لا- على أمير المؤمنين (عليه السلام) في احتجاجاتهم المتعدده على معاويه و غيره بأن عليا هو أول الأمة إسلاما- لم نجد أحدا يعترض، و يقول: بل أبو بكر هو الأول.

و ما روى من ذلك من أن أبا بكر قد احتج به، فقد فُتد العلامه الأمينى فى الغدير و اثبت أنه غير صحيح فليراجع (٢).

فإلى متى يدخرون هذه الحجج؟! و لماذا يدخرونها!؟

بل إننا لم نجد أبا بكر، و لا أحدا من أنصاره و محبيه يحتج له بأنه أول من أسلم، رغم احتجاجاتهم الشديده إلى ذلك، و لا سيما فى السقيفه؛ حيث لم يجدوا ما يحتجون به من فضائله إلا كونه كبير السن، و صاحب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى الغار- كما احتج به صاحبه عمر، و غيره ثمه (٣)- و ستأتى الإشارة إلى احتجاجاتهم تلك حين الحديث على قضيه الغار إن شاء الله تعالى.

هذا كله، عدا عن تصريح البعض بأن أبا بكر كان رابع أو خامس من أسلم (٤).٦.

١- راجع: الأوائل ج ١ ص ٢٠٢ و راجع ص ٢٠٦.

٢- راجع: الغدير ج ٧ ص ٩١-٩٤ و ٢٢٤ فما بعدها.

٣- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٦٦، و سنن البيهقى ج ٨ ص ١٥٣ و الغدير ج ٥ ص ٣٦٩ و ج ٧ ص ٩٢ و ج ١٠ ص ٧ و ١٣ عن عدد كبير من المصادر، و كنز العمال ج ٨ ص ١٣٩ عن ابن أبى شيبه، و عن الكنز أيضا ج ٣ ص ١٤٠. و لسوف نذكر طائفه من المصادر حين الكلام عن قضيه الغار.

٤- راجع: سير اعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٦.

و عدا عن قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام): أنا الصديق الأكبر، أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر (١).

و عدا عن الروايه التي تقول: إن العباس قد أخبر عفيفا بأنه لم يسلم سوى خديجه و علي، فلو أن عفيفا أسلم حينئذ كان في الإسلام ثانيا (٢).

و رابعا: إننا نقول: إن إسلام أبي بكر قد تأخر عن البعثة عده سنوات و يدل على ذلك- و نحن نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم- الأمور التاليه:

١- ما قالوه من أنه لما أسلم سماه النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) صديقا (٣) مع أن تسميته هذه- كما يدعون- إنما كانت بعد الإسراء حين صدقه أبو بكر و كذبه قريش (٤).

أو حين الهجره في الغار (و كلاهما لا يصح أيضا كما سيأتي في حديث الغار إن شاء الله تعالى). و هم يدعون: أن الإسراء كان بعد البعثة بإثنتي عشره سنه و إن كنا نحن نعتقد بخلاف ذلك. و أنه كان في السنه الثانيه أو الثالثه، كما سيأتي في الفصل الآتي.

٢- يروى البعض: أنه أسلم و آمن بعد الإسراء و المعراج فسمى يومئذ ب (الصديق) (٥) مع قولهم: أن الإسراء و المعراج كان قبل الهجره بقليل- كما سنرى-ر.

١- ستأتي مصادر ذلك في أواخر الجزء الثاني من هذا الكتاب.

٢- راجع: لسان الميزان ج ١ ص ٣٩٥ و غير ذلك.

٣- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٧٣، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨.

٤- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٧٣.

٥- مجمع الزوائد ج ١ ص ٧٦ عن الطبراني في الكبير.

٣- لقد روى الطبرى - بسند صحيح كما يقول الأمينى (١) - عن محمد بن سعيد، قال: قلت لأبى: أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال:

لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين (٢).

و هذا يعنى: أنه قد أسلم بعد انتهاء الفتره الإختياريه للدعوه، و بعد خروجه (صلى الله عليه و آله و سلم) من دار الأرقم، لأنهم قد خرجوا بعد أن تكاملوا أربعين رجلاً، كما يقولون. و سيأتى ذلك إن شاء الله تعالى.

حين الكلام حول إسلام عمر بن الخطاب.

٤- و لسوف نذكر إن شاء الله فى أواخر حديث الغار: أن أبا قحافه يذكر: أن ابن مسعود قد أسلم هو و جماعه قبل إسلام أبى بكر، و ابن مسعود قد أسلم قبل إسلام عمر كما ذكره النووى فى تهذيب الأسماء و اللغات.

٥- لقد ورد: أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) قد بعث و أبو بكر غائب فى اليمن، قال أبو بكر، فقدمت مكه، و قد بعث النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فجاءنى صناديد قريش. إلى أن قال: (فقالوا: يا أبا بكر، أعظم الخطب، و أجل النوائب، يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى. و لولا أنت - أو: و لولا انتظارك ما انتظرنا به؛ فإذا قد جئت فأنت الغايه و الكفايه (٣)).

و الذى عند أبى هلال، عن الشعبى، عن أشياخه، منهم جرير، فى خبر طويل هو: (قال أبو بكر: فلما قدمت مكه استبشروا، و ظنوا أنه فتح عليهم بقدمى فتح، و اجتمعوا إلى، و شكوا أبا طالب، و قالوا: لولا ٧).

١- الغدير ج ٣ ص ٢٤٠.

٢- تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٠ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٨ و التعجب للكراچكى ص ٣٤.

٣- الصواعق المحرقة ص ١٤٨ ط سنه ١٣٢٤ هـ. و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٧٥، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٨٩، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٧.

تعرّضه دونه لما انتظرنا به. قلت: و من تبعه على مخالفه دينكم؟ قالوا:

بنى أبى طالب (١).

و لكن لنا تحفظ على هذا النص الذى يعطى لأبى بكر منزله كبيره فى قريش، و هى منزله لا يؤيد التأريخ أن أبا بكر كان قد بلغها أصلا، كما سنشير اليه فى موضعه.

٦- و عن ابن اسحاق، قال: إن أبا بكر لقي رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد، من تركك آلهتنا، و تسفهيك عقولنا، و تكفيرك آباءنا إلخ. ثم ذكر إسلام أبى بكر (٢).

و ان كنا نشك فى صحه هذا النص الأخير، إذ أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يعبد تلك الآلهه قط، فما معنى سؤاله عن ذلك؟! إلا إذا قلنا إنه لم يكن يتجاهر برفضها، فصحّ أن يسأله عن ذلك.

و يؤيد ذلك مارواه المقدسى، قال: (إسلام أبى بكر- زعم بعض الرواه: أنه كان فى تجاره له بالشام، فأخبره راهب بوقت خروج النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) من مكه، و أمره باتباعه، فلما رجع سمع رسول الله يدعو الى الله، فجاء و أسلم (٣)).

و يؤيد ذلك أيضا قولهم: إن أبا بكر قال للنبى (صلى الله عليه و آله و سلم): فقدت من مجالس قومك، و اتهموك بالعيب لآبائها و أمهاتها.

فدعاه (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى الإسلام فأسلم (٤). ٩.

١- الأوائل للعسكرى ج ١ ص ١٩٤.

٢- دلائل النبوه للبيهقى ج ١ ص ٤١٦/٤١٧. و السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٤٣٢/٤٣٣. و سيره ابن إسحاق ص ١٣٩.

٣- البدء و التاريخ ج ٥ ص ٧٧.

٤- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٩/٣٠ و السيره النبويه لابن كثير ج ١ ص ٤٣٩.

فكل ذلك يدل على أن إسلام أبي بكر كان بعد الفتره السريه و بتعبير أدق بعد (فتره الدعوه الإختياريه، و غير المفروضه) التى استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

و بعد أن أنذر عشيرته الأقربين، و بعد أن أمر بالصدع بالأمر، و دعوه الناس عامه.

و بعد تكفيره للآباء و الأمهات.

و بعد عرض قريش على أبي طالب أن يقنع ولده بالعدول عن هذا الأمر.

و بعد عرضهم عليه ولدا آخر على أن يخلى بينه و بينهم.

و بعد وقوع المواجهه بين قريش و بينه، ثم قيام أبي طالب دونه، و لو لا انتظارهم لأبى بكر ما انتظروا به. و كل ذلك يدل على أن إسلامه قد تأخر إلى السنه الرابعه أو الخامسه إن لم يكن بعد ذلك أيضا؛ فقد قال أبو القاسم الكوفى: إن أبا بكر قد أسلم بعد سبع سنين من البعته (١).

و لربما يكون ذلك صحيحا أو قريبا من الصحيح، إذا أخذنا بالروايات المتقدمه الداله على أنه قد أسلم بعد اشتداد المواجهه بين الرسول و بين المشركين، و قيام أبي طالب دونه، و بعد أكثر من خمسين رجلا، فلربما يكون المراد بالخمسين هو خصوص من أسلم بعد الإعلان بالدعوه. أو بعد الهجره الى الحبشه.

و هكذا يتضح أن القول بأن أبا بكر هو أول من أسلم لا- يمكن إلا- أن يكون من القول الجراف، و الدعوى الفارغه، و من المختلقات التى افتعلت فى وقت متأخر. ١.

طريق جمع فاشل:

وقال البعض: الأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، و من الصبيان علي، و من النساء خديجه، و من الموالى زيد بن حارثه، و من العبيد بلال (١).

و هو كلام فارغ، بعد أن ثبتت أوليه علي (عليه السلام) على كل احد.

و قولهم: إنه أول من أسلم من الصبيان عجيب، و ذلك لما يلي:

١- إنه قد جاء عنه (عليه السلام)، و عن غيره القول: بأنه أول رجل أسلم (٢)، مما يعنى أنه كان حينئذ رجلا بالغا. و قد قلنا: إنه قد أسلم و عمره عشر سنوات أو إثنتا عشره سنه و من الواضح: أن الرجوليه و البلوغ لا ينحصر بالسن، فإن عمرو بن العاص - كما يقولون - كان يكبر ولده عبد الله ياثنتى عشره سنه فقط (٣). و الراشد بالله قد وطأ جاريه و هو ابن تسع سنين، فحملت منه كما يدعون (٤).

كما أن ثمة أقوالا كثيره فى سن علي (عليه السلام) حين إسلامه، و قد راينا الحافظ عبد الرزاق، و ابن ابى شيبه، و الكليني، و الحسن البصرى، و الاسكافى و غيرهم كثير، يذكرون فى سن علي رقما يتراوح ما بين ١٢ سنه الى ١٦ سنه، و بعضهم يتجاوز ذلك ايضا، كما تقدم بيانه فى ٩.

١- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٧٥، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٩٠ و نزهه المجالس ج ٢ ص ١٤٧ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ١٧ و ٢٦ و ٢٩.

٢- و فى سيره ابن إسحاق ص ١٣٨: أول الرجال إسلاما. و فى مصادر أخرى: أول أصحابى إسلاما: راجع السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٦٨.

٣- المعارف لابن قتيبه ص ١٢٥ ط دار إحياء التراث العربى سنه ١٣٩٠ هـ.

٤- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٦٩.

مبحث ولادته عليه السلام.

٢- قد ذكر غير واحد: ان البلوغ قد حدد بعد الهجره، اى فى غزوه الخندق، فى قضيه ردّ ابن عمر و قبوله فى الغزو. اما قبل ذلك فقد كان المعتمد هو التمييز و الإدراك (١)، و عليه يدور مدار التكليف، و الدعوه الى الاسلام و الايمان و عدمه.

و لو لا ان امير المؤمنين عليه السلام كان فى مستوى الاسلام و الايمان، لم يقدم النبى الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) على دعوته الى الاسلام، ثم قبوله منه. و الا- لكان ذلك سفها، و لا يمكن صدور السفه من الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله و سلم).

٣- بل اننا نستطيع ان نستفيد من دعوته الى الاسلام و هو صبى امتيازا له خاصا، يؤهله لأن يكون هو الوصى له (صلى الله عليه و آله و سلم)، او ليس قد تكلم عيسى فى المهد صبيا. و يحيى ايضا قد اوتى الحكم صبيا كما نص عليه القرآن؟

٤- و أيضا، لو كان الأمر كما ذكره؛ فلا يبقى معنى لقول النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) عنه: إنه أول من أسلم، أو: أولكم إسلاما؛ فإن معنى ذلك هو أن أوليته بالنسبة إلى النساء و الرجال و العبيد و الأحرار على حد سواء.

٥- و أخيرا، فإن هذا الورع المصطنع لم يوجد إلا عند هؤلاء المتأخرين، و لم نجد أحدا واجه احتجاج أمير المؤمنين و الصحابه و التابعين بحجه من هذا القبيل، و لعله لم يكن لديهم ورع يبلغ ورع هؤلاء الغيارى على أبى بكر و على فضائله!!.

١- راجع إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٤٩ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٦٩. و الكنز المدفون ص ٢٥٦ / ٢٥٧ عن البيهقى.

هدف الورعين من الجمع بين الروايات.

و نستطيع أن نرجح: أن هدف أولئك الورعين من هذا الجمع بين الروايات هو إظهار: أن إسلام غير علي (ع) كان أفضل من إسلامه، لأن إسلام ذلك الغير كان عن تدبر و تعقل، و نظر و تبصر. أما أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد كان إسلامه عن طيش و تقليد، كما هو شأن الصبيان كما ذكره الجاحظ (١).

و لا نريد أن نفيض في الرد على هذه المزعمه، فإن إسلام علي (عليه السلام) كان عن تدبر و تعقل، و عن تفكير و تأمل و قد أسلم استنادا الى فكره و رأيه، و لم يستشر حتى أباه رضوان الله تعالى عليه (٢).

و قد أجاب الإسكافي و ابن طاووس عن كلام الجاحظ بما فيه الكفايه، فليراجع (٣).

تنبيه:

و بالمناسبه فإن من الملاحظ: أن عمر بن الخطاب كان يعتبر البلوغ بالشبر؛ فمن بلغ سته أشبار أجرى عليه الأحكام، و من نقص عنها و لو أنمله تركه. و كذلك كان رأى ابن الزبير أيضا (٤).

و على ذلك جرى العباسيون من بعد، فقد أمر ابراهيم الإمامط.

١- راجع: العثمانيه ص ٦ و ٧.

٢- الفصول المختاره ص ٢٢٧.

٣- راجع شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ حينما يورد كلام الإسكافي و راجع أيضا: بناء مقاله الفاطميه، الصفحات الأولى من الكتاب، و البحار ج ٣٨ ص ٢٨٦.

٤- المصنف ج ١٠ ص ١٧٨ و عن خصوص عمر راجع: الغدير ج ٦ ص ١٧١ عن كثر العمال ج ٣ ص ١١٦ عن ابن أبي شيبه و عبد الرزاق، و مسدد، و ابن المنذر فى الأوسط.

العباسى أبا مسلم الخرسانى: أن يقتل فى خراسان كل من يتهمه، إذا كان قد بلغ خمسه أشبار (١).

و نحن لا نريد التعليق على هذا، و نكل ذلك إلى القارىء نفسه؛ ليحكم حسبما يقتضيه ضميره و وجدانه.

مقارنه، و هدف:

و جدير بالملاحظه هنا: أن البعض يذكر: أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قال لعلى: (أدعوك إلى ترك (أو الكفر ب) اللات و العزى (٢)).

و نحن نجزم بعدم صحه هذا القول عنه (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ إذ لم يسبق لعلى (عليه السلام) إيمان بها، ليدعوه (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى تركها (٣). كيف و قد تربي فى حجر الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، و تلقى التوحيد، و كل المكارم و الفضائل عنه (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لنقارن بين هذا و بين ما يذكره البعض عن أبى بكر من أنه لم يسجد لصنم قط (٤)، رغم أنه كان حين أسلم قد بلغ الأربعين أو تجاوزها؟!

فأبو بكر إذن قد ضارع النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى عدم ٢.

١- راجع حياه الإمام الرضا للمؤلف ص ١٢٢ عن: الطبرى ط ليدن ج ٩ ص ١٩٧٤ و ج ١٠ ص ٢٥، و الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٩٥، و البدايه و النهايه ج ١٠ ص ٢٨ و ٦٤ و الإمامه و السياسه ج ٢ ص ١١٤، و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ٤٥، و العقد الفريد ط دار الكتاب ج ٤ ص ٤٧٩، و شرح النهج للمعتزلى ج ٣ ص ٢٦٧ و ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٢.

٢- السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٦٨، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٩١.

٣- الامتاع للمقريزى ص ١٦.

٤- السيره النبويه لدحلان ط دار المعرفه ج ١ ص ٣٩ و ٩٢.

السجود للأصنام.

و لكننا لا ندرى لماذا ترك دين قومه؟، و كيف لم يشتهر هذا الأمر عنه، فى زمن الصحابه و التابعين؟ و بقى هكذا مخفيا الى زمان متأخر جدا، حتى اكتشفه هؤلاء؟

و كيف غفل عنه الصحابه و منافسوه منهم، و غفل عنه هو نفسه و أنصاره يوم السقيفه، فلم يحتج و لا احتجوا به على استحقاقه للخلافه، رغم أنهم احتجوا بكبر سنه، و ما شاكل ذلك، مما لا يجدى و لا يسمن و لا يغنى من جوع؟!.

من أسلم بدعايه أبى بكر:

و يذكرون أن عددا من كبار الصحابه قد أسلموا على يد أبى بكر، و استجاب له دعوته، منهم: (طلحه، و الزبير، و سعد بن أبى و قاص، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو عبيده الجراح، و خالد بن سعيد بن العاص، و أبوذر، و عثمان بن عفان، و أبو سلمه بن عبد الأسد، و الأرقم بن أبى الأرقم (١)).

قال الجاحظ: (و قالت أسماء بنت أبى بكر: ما عرفت أبى إلا و هو يدين بالدين. و لقد رجع الينا يوم أسلم فدعانا إلى الإسلام، فما دمنا حتى أسلمنا، و أسلم أكثر جلسائه (٢)).

و لكن ذلك كله محل شك و ريب و ذلك للأمور التاليه: ١.

-
- ١- راجع: البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٩، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٩٤- و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٧٦ و تهذيب الأسماء و اللغات ج ٢ ص ١٨٢، و تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٧٨.
 - ٢- شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٧٠ و عثمانيه الجاحظ ص ٣١.

١- إنه قد تقدم ما يدل على أن إسلام أبي بكر قد كان بعد الخروج من دار الأرقم، و بعد اشتداد الأمر بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و قريش، و قيام أبي طالب دونه ينافح عنه و يكافح. و هؤلاء قد أسلم أكثرهم قبل ذلك، و ذلك لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل نزول قوله تعالى:

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ لَمْ يَكُنْ مَأْمُورًا بِدَعْوِهِ أَحَدًا. بل كان من يسلم إنما يسلم باختياره. ثم أمر (صلى الله عليه وآله وسلم) بدعوه عشيرته، ثم أمر بإنذار أم القرى و من حولها، حتى انتهى الأمر بإنذار كافة الناس.

و لكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أسلم معه من أسلم و خشى حصول الصدامات لهم مع قريش اختار دار الأرقم ليصلى أصحابه فيها، و بعد شهر اعلن بالأمر، فلم تكن هناك سرّيه في دار الأرقم بالمعنى الدقيق للكلمه.

و أما الذين أسلموا قبل المواجهه مع قريش، فنذكر منهم:

زيد بن حارثه الذى أسلم ثانيا، و فى نفس الوقت أسلم خالد بن سعيد بن العاص، و سعد بن أبى وقاص، و عمرو بن عبسه، و عتبه بن غزوان، و مصعب بن عمير (١) أما الأرقم ابن أبى الأرقم فكان سابعاً (٢)، و قصه إسلام أبى ذر معروفه، و كان إسلامه على يد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه، و على هو الواسطه، و سيأتى ذلك بعد صفحات يسيره.

و من الأولين أيضاً: جعفر بن أبى طالب، و بلال، و خباب بن الأرت، و الزبير بن العوام، و كل هؤلاء اسلم قبل أبى بكر- على حد تعبير الإسكافى فى نقض العثمانيه (٣)، و يرى المقدسى: أن الزبير أسلم رابعاً، ١.

١- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٣٢ و سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٦٤ و غير ذلك.

٢- الإصابه، ترجمه الأرقم ج ١ ص ٢٨.

٣- شرح النهج ج ١٣ ص ٢٢٤، و العثمانيه فى أواخرها حيث ينقل كلام الإسكافى ص ٢٨٦ و الغدير ج ٣ ص ٢٤١.

٢- و عدا عما تقدم، فان ابا اليقظان خالد بن سعيد بن العاص، كان هو نفسه يزعم: أنه أسلم قبل أبي بكر (١).

و عليه فلا- يصغى لما حكاه البيهقي من أنه رأى في منامه النار، ثم لقي أبا بكر فأخذه الى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، فأسلم (٢) فان أبا اليقظان نفسه يكذب ذلك و ينكره. و هو أعرف بنفسه من كل أحد.

و أما عثمان فقد اشترط لإسلامه أن يزوجه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) رقيه، ففعل، فأسلم (٣) فأين هي دعوته أبي بكر له، و الحال هذه؟!.

و يروى المدائني عن عمر بن عثمان: أن عثمان قال: إنه دخل على خالته أروى بنت عبد المطلب يعودها، فدخل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، فجعل ينظر إليه، و قد ظهر من شأنه يومئذ شيء؛ فجرى له معه (صلى الله عليه و آله و سلم)، حديث، و قرأ عليه (صلى الله عليه و آله و سلم) بعض الآيات، ثم قام (صلى الله عليه و آله و سلم) فخرج. قال عثمان: فخرجت خلفه فأدرسته، و أسلمت (٤). فإذا أخذنا بهذه الرواية أيضا لم يكن لأبي بكر في اسلام عثمان يد و لا نصيب.

و أما سعد بن أبي وقاص ف (كان سبب اسلامه: أنه رأى في المنام قال: كأنى فى ظلام، فأضاء قمر، فاتبعته، فإذا أنا بزويد و على قد سبقانى ٥).

١- البدء و التاريخ ج ٥ ص ٩٦.

٢- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٢٤٨، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٣٢ و طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٦٧ / ٦٨ و الاستيعاب ج ١ ص ٤٠١ / ٤٤٢ و الإصابه ج ١ ص ٤٠٦ و مع ذلك فإن الروايه لا تدل على أنه أسلم بدعوته أبي بكر بل هي فى ضد ذلك أظهر.

٣- مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٢.

٤- الاستيعاب ج ٤ ص ٢٢٥.

إليه، و روى: فاذا أنا بزيد و أبى بكر، قال: ثم بلغنى: أن رسول الله يدعو الى الاسلام مستخفيا، فلقيته بأجياد، فأسلمت، و رجعت الى أمى إلخ (١).

و عن اسلام طلحه يقولون: انه كان فى بصرى، فسمع خبر خروج نبى اسمه أحمد فى ذلك الشهر من راهب، فلما قدم مكه سمع الناس يقولون: تنبى محمد بن عبد الله، فأتى إلى أبى بكر، فسأله فأخبره، ثم أدخله على رسول الله فأسلم، فأخذهما نوفل بن خويلد و قرنهما بحبل، فسميا القرينين (٢).

و لكن هذه الروايه كما ترى، لا تدل على أنه اسلم بدعوه ابى بكر إياه، بل هى فى خلاف ذلك أظهر كما هو واضح، كما أنهم يذكرون روايه أخرى مفادها: أن طلحه ذهب بنفسه إلى رسول الله فأسلم (٣). و أما أن أبى بكر و طلحه قد سميا القرينين فسيأتى أنه لا يصح أيضا، و ذلك ضعف آخر فى هذه الروايه.

بل لقد كذب على (عليه السلام) أن يكون أحد من قريش قد عذب كما سنرى فكيف يكون طلحه و ابو بكر قد عذبا، و قرن احدهما الى الآخر؟!

٣- يقول الاسكافى هنا ما ملخصه: إن أبى بكر قد عجز عن إدخال أبيه، مع أنه معه فى بيت واحد، و ابنه الوحيد عبد الرحمن فى الاسلام، و بقيا على شركهما إلى عام الفتح، و كذا الحال فى أخته أم فروه، و زوجته نمله- أو قتيله- بنت عبد العزى، التى فارقتها حين نزل قوله تعالى: و لا ٢.

١- البدء و التاريخ ج ٥ ص ٨٤ / ٨٥.

٢- مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٦٩، و البدء و التاريخ ج ٥ ص ٨٢ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٩ و دلائل النبوه للبيهقى ج ١ ص ٤١٩.

٣- البدء و التاريخ ج ٥ ص ٨٢.

تمسكوا بعصم الكوافر، بعد الهجره بعده سنين.

و يمضى الاسكافى هنا فيقول: كيف استطاع أبو بكر أن يهيمن على سعد، و الزبير، و طلحه، و عبد الرحمن و غيرهم و هم ليسوا من أتراه، و لا من جلسائه، و لا كان له معهم صداقه أو موده، و لم يستطع أن يقنع عتبه و شبيهه ابني ربيعه، و هما من جلسائه، بل و اكبر منه سنا، و يأنسان إلى حديثه و طرائفه- كما يزعم أنصاره-؟! و ماله لم يدخل جبير بن مطعم في الاسلام، و هو الذى أدبه و علمه، و عرفه أنساب العرب، و قریش و طرائفها و أخبارها كما يدعون؟!.

و كيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب الدخول في الاسلام في تلك الفتره، و كان صديقه و أقرب الناس شبها به، و بحالاته. و لئن رجعت إلى الانصاف لتعلمن بأن اسلام هؤلاء لم يكن إلا بدعاء النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و على يديه (١).

٤- و أما ما تقدم نقله عن اسماء، فهو يقتضى أن تكون اسماء و أهل بيت أبي بكر أسبق الناس إلى الاسلام، و قد عد ابن هشام ممن اسلم في الفتره الأولى من الدعوه بحيث يعد من السابقين الأول اسماء و عائشه ابنتى أبي بكر (٢)، و عند النووى و غيره: أن عائشه قد اسلمت بعد ثمانيه عشر إنسانا و أختها أسماء أسلمت بعد سبعة عشر (٣). ط.

١- شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٧١ عن الإسكافى. و لا يردّ على الإسكافى بامرأه نوح و ولده؛ حيث لم يكونا مؤمنين، فإن الإسكافى يريد أن يقول: إن المستفاد من القران العامه هو أن أبا بكر لم يكن يملك المؤهلات و الكفاءات التى تعطيه القدره على أن يقنع أحدا بالدخول في الإسلام.

٢- سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٧١.

٣- تهذيب الأسماء و اللغات ج ٢ ص ٣٢٩ و ٣٥١ عن ابن أبي خيثمه في تاريخه عن ابن إسحاق، و الإصابه ج ٤ ص ٢٢٩ بالنسبه لأسماء فقط.

و لكن قد فات هؤلاء: أن كل ما تقدم يكذب هذا الذى ذكروه هنا.

أضف الى ذلك: أن عمر اسماء كان حين البعثه أربع سنين على أبعد التقادير. أما عمر عائشه فنحن نقول: إنها أيضا كان عمرها قريبا من هذا (١). و لكن نفس اولئك يقولون: إنها قد ولدت بعد البعثه بخمس سنين (٢)، فكيف تكونان قد اسلمتا بعد ثمانيه عشر انسانا؟ مع أن الفتره السريه أو فقل الدعوه الاختياريه، و عدم الاعلان، قد انتهت باسلام اربعين؟! و أما جلساؤه و أهل بيته فقد تكلمنا عنهم، و لم يبق الا ولده محمد، و هو إنما ولد بعد مبعث النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بثلاث و عشرين سنه، أى قبل وفاته (صلى الله عليه و آله و سلم) بقليل.

سر التأكيد على دور أبى بكر:

و أما سر التأكيد على دور أبى بكر فقد أوضحه لنا الجاحظ، حين قال: (و لذلك قالوا: إن من اسلم بدعاء أبى بكر اكثر ممن اسلموا بالسيف. و لم يذهبوا فى ذلك إلى العدد، بل عنوا الكثره فى القدر، لأنه اسلم على يديه خمسه من أهل الشورى، كلهم يصلح للخلافه، و هم اكفاء على (عليه السلام) و منازعوه فى الرياسه و الامامه، فهؤلاء اكثر من جميع الناس (٣)).

نعم يا جاحظ: لقد تجاوز أبو بكر كل التوقعات، حتى لقد بز النبى نفسه، و لم يستطع و هو الرسول الاعظم أن يجاريه فى تلك الفضائل ١.

١- و عد المقدسى عائشه مع الذين أسلموا فى السنوات الأولى من البعثه فى الفتره السريه قبل أن يدخل صلى الله عليه و آله و سلم دار الأرقم و قال: انها كانت صغيره فراجع البدء و التاريخ ج ٤ ص ١٤٦.

٢- سيأتى بعض الكلام فى ذلك، فى فصل: حتى بيعه العقبه.

٣- العثمانيه للجاحظ ص ٣١ / ٣٢ و شرح النهج ج ١٣ ص ٢٧٠ / ٢٧١.

المجعوله- كما قدمنا- و لا ندرى لماذا غلط جبرئيل و نزل عليه دونه!

و حسبنا هنا ما ذكرناه حول هذا الموضوع؛ فان استقصاء الكلام فيه يحتاج إلى جهد مضمّن و وقت طويل.

هل عمير بن أبي و قاص من السابقين؟!

و يذكر ابن هشام هنا: أن عمير بن أبي و قاص كان من جملة السابقين إلى الاسلام (١).

و لكن ذلك لا يصح؛ لأنهم يقولون: إن عميرا قد قتل في بدر، و له ستة عشر عاما. فيكون عمره حين البعثة سنة واحده (٢)؛ فكيف يكون من السابقين إذن؟!

اسلام أبي قحافة:

و في روايه: أنه لما تبىء رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و هو ابن أربعين سنة، صدّقه أبو بكر و هو ابن ثمانيه و ثلاثين سنة، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، قال: (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي انعمت علي و علي والدي (٣)). و استجاب الله له فاسلم والداه و أولاده كلهم.

و لكن هذه الروايه لا تصح، و ذلك ٢.

١- سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٧٢.

٢- تهذيب الأسماء و اللغات ج ٢ ص ٣٩ و الإصابه ج ٣ ص ٣٦.

٣- فتح القدير ج ٥ ص ١١٨ و الغدير ج ٧ ص ٣٢٧ عنه و عن الكشاف ج ٣ ص ٩٩، و تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٩٣/١٩٤ و الرياض النضرة ج ١ ص ٤٧، و مرقاه الأصول ص ١٢١، و تفسير الخازن ج ٤ ص ١٣٢، و تفسير النسفي بهامشه ج ٤ ص ١٣٢.

أولاً: لما تقدم من أن أبا بكر إنما اسلم بعد عدة سنوات من البعثة.

و كان عمره حينئذ حوالي خمس و أربعين سنه.

و ثانياً: إن أبا قحافه إنما اسلم سنه ثمان عام الفتح (١) و أم أبى بكر أسلمت - كما قالوا - سنه ست من البعثة (٢)، و أولاد أبى بكر حالهم معلوم، حتى إن احدهم قد طلب مبارزه أبىه - أبى بكر - يوم أحد أو بدر، كما سيأتى، فكيف يقول: انه قد أنعم الله عليه و على والديه بعد النبوه بستتين، و يطلب من الله أن يوفقه لشكر هذه النعمه؟!.

و ثالثاً: إن الآية المذكوره هى التى فى سوره الاحقاف رقم ١٥، لأنها هى التى ذكرت الأربعين سنه، دون الآية التى فى سوره النمل رقم ١٩.

و على هذا نقول: الأحقاف قد نزلت فى المدينه، لا فى مكه.

و اسلام ابى بكر كان فى مكه قبل عدة سنوات.

الدعوه فى مراحلها، التى اجتازتها:

و يرى البعض: أن الدعوه قد مرت بمراحل أربع:

الأولى: المرحله السريه، و استمرت ثلاث أو خمس سنوات.

الثانيه: الإعلان بالدعوه إلى الله بالقول فقط، دون اللجوء إلى العنف، و استمرت حتى الهجره.

الثالثه: مرحله الدفاع عن الدعوه بالسيف. و استمرت إلى صلح الحديبيه.٤.

١- أسد الغابه ج ٥ ص ٢٧٥ و الاستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٤ ص ١٦٢ و قاموس الرجال ج ١٠ ص ١٦٦ عن المعارف لابن قتيبه.

٢- راجع الغدير ج ٧ ص ٣٢٤.

الرابعه: قتال كل من وقف فى سبيل الإسلام، من الوثنيين و المشركين، و غيرهم، و هو ما استقر عليه أمر الدعوه و حكم الجهاد (١).

المرحله السريه:

و لكننا لا نوافق على إستعمال مصطلح (الفترة السريه) هنا إذ أن الظاهر هو أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يكن حينما بعث مأمورا بدعوه عموم الناس كما قدمنا، و لكنه كان يعرض هذا الدين بصورة طوعيه و عفويه، و بدون أن يوجه الأنظار الى ذلك. فكان هناك أفراد يسلمون تباعا.

و قد كان هذا الأسلوب فى تلك الفترة ضروريا من أجل الحفاظ على مستقبل الدعوه، حتى لا تتعرض لعمل مسلح يقضى عليها فى مهدها، حيث لا بد من إيجاد ثله من المؤمنين، و من مختلف القبائل يحملون هذه العقيدته و يدافعون عنها، حتى لا يبقى مجال لتصفيتهم السريعه و الحاسمه من قبل أعدائهم الأشرار.

كما أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) أراد أن لا تهدر الطاقات، و تذهب الجهود سدى، و ينتهى الأمر الى تمزق، و توزع فى الثله المؤمنه، ثم الى ضياع مدمر.

و أيضا، فقد كانت هذه الفترة بمثابة إعداد نفسى، و تربيته عقيدته و روحيه لتلك الصفوه المؤمنه بربها، و برسالة نبيه الأكرم (صلى الله عليه و آله و سلم)، تمكنهم من الصمود فى وجه التحديات التى تنتظرهم.

و إذا كان (صلى الله عليه و آله و سلم) يريد: أن يقود عمليه تغيير شامله، فلا بد له من إتاحة الفرصه لتهيئه و إعداد القوى، التى تستطيع أن تحقق هدفا كبيرا كهذا، و تتمكن من الحفاظ و الإحتفاظ بالوجود الفعال ١.

و المؤثر فى بقاء ذلك الهدف.

دخول النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» دار الأرقم:

قال المؤرخون: و لما صار عدد المسلمين ثلاثين رجلا- كما قيل- و صار بعض المسلمين يخرجون الى الشعاب و الجبال خارج مكة لأداء الفرائض، و إقامة الشعائر، و صار بعض المشركين يترصدونهم، و يتعمدون إيدائهم، و حصلت صدامات فرديه لهم معهم، و منها أنه كما يقولون:

خرج جماعه من المسلمين الى شعاب مكة للصلاه، فظهر عليهم نفر من قريش كانوا يرصدونهم، و يتبعون آثارهم، و هم يصلون؛ فناكروهم، و عابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم، فضرب سعد ابن أبى وقاص- و العهده على الراوى- يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير، فشجه، فكان أول دم اهريق فى الإسلام (١).

و لكن قد قال الزبير (أى ابن بكار): و طليب أول من دمى مشركا فى الإسلام؛ بسبب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه سمع عوف بن صبره السهمى يشتم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخذ له لحى جمل، فضربه فشجه الخ (٢).

و مره أخرى تعقب مشركان مسلمين، خرجا للصلاه فى أحد الشعاب، فباطشاهما (٣).

فهذه الحوادث الجزئيه- على ما يظهر- قد دفعت بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم).

١- تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٢ و سيره ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢، و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٣٧، و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٨٣، و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٩٩.

٢- الإصابه ج ٢ ص ٢٣٣.

٣- أنساب الأشراف للبلاذرى ج ١ ص ١١٧.

عليه وآله وسلم) الى اختيار دار الأرقم (١)، الواقعه على الصفا ليجعلها مركزا لدعوته، و محلا لاجتماع أصحابه به، ثم الإبتعاد عن أنظار المشركين فى عبادتهم و شعائرهم، بدلا من الخروج الى الشعاب من أجل الصلاة.

فكانت هذه الدار هى مركز حركته و نشاطاته و بقى فيها شهرا (٢) و لم يخرج منها حتى تكامل المسلمون أربعين رجلا كما قيل (٣). و قيل: أكثر.

و قيل: أقل. و حينئذ خرج (صلى الله عليه وآله وسلم) ليعلن دعوته، و ليبدأ مرحله جديده هى أصعب مرحله، و أخطرها، و أكثر عنفا، و أشد بلاء.

هَذَا، و لكن بعض المحققين (٤)، يحتمل أن يكون (صلى الله عليه وآله وسلم) قد دخل دار الأرقم مره أو مرات، و لكن يد السياسة قد طوّرت هذا الأمر؛ لتكون دار الأرقم فى مقابل شعب أبى طالب، بل يدعون: أنها دعيت دار الإسلام (٥).

لكننا فى المقابل لا نرى أن دار الأرقم كانت لها هذه الأهميه، و لا هذا الدور، و لذلك تجد ابن اسحاق و هو من نعرف - لا يشير إلى دار الأرقم لا من قريب و لا من بعيد- كما أن البلاذرى يذكرها بصورة عابره، دون أية أهميه. ٨.

١- أسلم سابع سبعة، أو بعد عشره كما فى الإصابه ج ١ ص ٢٨ و الاستيعاب هامش الإصابه ج ١ ص ١٠٧.

٢- و قيل: أربع سنين. راجع السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٨٣ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٩٩.

٣- الإصابه ج ١ ص ٢٨ و السيره الحلبيه ج ١ ص ٢٨٥ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٩٩ و الاستيعاب هامش الإصابه ج ١ ص ١٠٨.

٤- هو العلامه السيد مهدي الروحاني حفظه الله.

٥- التراتيب الإداريه ج ١ ص ٤٠٨.

و الذى يهتم بدار الأرقم و يبرزها على انها مفصل تاريخى هو الواقدى بالدرجه الأولى. فلعل المسلمين ترددوا على هذه الدار مرات، فعظمت السياسه ذلك و طورته، حتى دعيت هذه الدار دار الإسلام، للتعظيم على شعب أبى طالب حسبما تقدم، و ذلك عن منطق السياسه الذى عرفناه و ألفناه غير بعيد.

قريش لا تهتم لمرحله ما قبل الإعلان:

كان المشركون قد عرفوا بتنبؤ النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) من أول الأمر، و لكنهم لم يهتموا كثيرا بالأمر- بادى ء ذى بدء- ربما لأنهم اعتبروا أن القضية ليست بذات أهميه كبيره؛ إلّا من وجهه قلبيه بالدرجه الاولى، و لكنهم ظلوا يتنسمون الاخبار، و يستطلعونها و كانوا يقولون: ان فتى عبد المطلب ليكلم من السماء.

اسلام ابى ذر رحمه الله:

و فى هذه الفتره كان اسلام ابى ذر (رحمه الله) الذى كان رابع، او خامس من اسلم (١)، حيث انه سمع بمبعث النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فارسل اخاه ليستقصى له الخبر، فرجع اليه، و لم يشف له غليلا.

فذهب هو بنفسه الى مكه؛ فكره ان يسأل عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) علانيه و رآه على (عليه السلام) مضطجعا فى ناحية المسجد ٣.

١- دلائل النبوه للبيهقى ج ١ ص ٤٥٨، طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦٤، و حليه الأولياء ج ١ ص ١٥٧. و مستدرک الحاکم ج ٣ ص ٣٤٢، و الاستيعاب هامش الإصابه ج ١ ص ٣١٣، و الإصابه ج ٤ ص ٦٣، و أسد الغابه ج ٥ ص ١٨٦، و الغدير ج ٨ ص ٣٠٨-٣٠٩ عن بعض من تقدم و عن شرح الجامع الصغير للمناوى ج ٥ ص ٤٢٣.

الحرام، فعرف انه غريب، فاستضافه ثلاثه ايام لا يسأله عن شىء، ثم سأله ابوذر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاخذه اليه بصورة سريره؛ حيث امره ان يتبعه، فان رأى ما يخاف منه عطف كأنه يريد أن يقضى حاجه، او يصلح نعله.

و بعد ان أسلم أبوذر خرج الى المسجد الحرام؛ فنادى باعلى صوته: أشهد ان لا إله إلا الله، و ان محمدا رسول الله، فقام اليه المشركون فضربوه حتى اضجعوه، فأتى العباس؛ فاكب عليه، و قال:

و يحكم، الستم تعلمون: أنه من غفار، و ان طريق تجارتكم الى الشام؛ فتركوه، و لكنه عاد فى اليوم الثانى الى مثل ذلك، فخلصه العباس (١).

و ثمة نصوص اخرى لا مجال لذكرها هنا.

و لما ضرب أبوذر جاء الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

يا رسول الله، اما قریش فلا ادعهم حتى أثار منهم، ضربونى.

فخرج حتى اقام بعسفان، و كلما اقبلت غير لقریش، يحملون الطعام، ينفر بهم على ثنيه غزال؛ فتلقى احمالها؛ فجمعوا الحنط، و يقول ابوذر لقومه: لا يمسن احد حبه حتى تقولوا: لا إله إلا الله. فيقولون: لا إله إلا الله، و يأخذون الغرائر (٢).

و حسب نص آخر: كان ابوذر رجلا شجاعا يتفرد وحده بقطع الطريق، و يغير على الصرم فى عمايه الصبح على ظهر فرسه، أو على ٤.

١- هذا ملخص ما فى البخارى ج ٢ ص ٢٠٦-٢٠٧ ط سنة ١٣٠٩. و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٣٤، و حليه الأولياء ج ١ ص ١٥٩، و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٣٩، و الغدير ج ٨ ص ٣٠٩-٣١٠ عن بعض من تقدم و صحيح مسلم ج ٧ ص ١٥٦ و الاستيعاب هامش الإصابه ج ٤ ص ٦٣ دلائل النبوه لأبى نعیم ج ٢ ص ٨٦ و طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦١-١٦٢ و ١٦٤-١٦٥ و الإصابه ج ٤ ص ٦٣.

٢- طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦٤.

قدميه كانه السبع ... إلى أن قال: (فكان يعترض لعيرات قريش، فيقطعها، فيقول: لا أرد اليكم منها شيئا، حتى تشهدوا: أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله: فكان على ذلك حتى هاجر رسول الله، و مضى بدر، و أحد، ثم قدم فأقام بالمدينه (١)).

و اسلم على يده نصف قبيلته غفار، و وعده الباقون بأن يسلموا إذا قدم النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) المدينه.

و كان أبوذر يتأله فى الجاهليه، و يقول: لا إله إلا الله، و لا يعبد الاصنام، و يقال: إنه صلى قبل مبعث النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) عدّه سنوات (٢).

ما يستفاد من حديث اسلام أبي ذر:

أولاً: إن عدم عباده أبي ذر للاصنام، ليس إلا من أجل منافرتها لحكم العقل، و للفطره السليمه، حين لا تطغى على الانسان أى من العوامل الخارجيه التى تجعل على قلبه و بصره غشاوه.

و يلاحظ: أن القرآن ما زاد فى مقاومته لعباده الاصنام، و التوجيه إلى الله تعالى على أن نبه العقل، و أثاره، و ارشد إلى ما تقتضيه الفطره السليمه فى هذا المجال. و كل من يستعرض الآيات القرآنيه يرى كيف أن القرآن يهتم فى الارجاع إلى الفطره، و حكم العقل، و يعتبر أن، لهما وحدهما الحق فى الحكم فى هذا المجال.

و ثانياً: إن اسلوب على (عليه السلام) فى المحافظه على عنصر ٧.

-
- ١- و (٢) طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ١٦٣، و راجع تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٠.
 - ٢- طبقات ابن سعد ج ٤ ق ١ ص ١٦٣. و لا- بأس بمراجعته ما كتبناه حول أبي ذر فى مقال لنا فى كتاب: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام. و حليه الأولياء ج ١ ص ١٥٧.

السريه، حتى لا يلتفت المشركون إلى طبيعه تحركاته و أهدافه، و اسلوبه فى ايصاله أباذر إلى الرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)- و هو لم يبلغ الحلم بعد- إن دل على شىء؛ فانما يدل على درايه و رويه، و تبصر و تدبر بالأمور، مما يؤكد امتيازه عليه السلام على غيره، ممن عاش و مارس الامور.

كما أن اتكال ابى ذر رجل الحكمه و التبصر على دعوه على (صلى الله عليه و آله و سلم) له، و استجابته لدعوته و نزوله ضيفا عليه، يدل على أنه كان يرى فى على من الحكمه و الرويه ما لا يراه فى غيره. مهما كان فارق السن بينه و بين ذلك الغير كبيرا.

و لقد كان (عليه السلام) يهدف الى الحفاظ على أبى ذر من جهه، و على ان لا يلفت نظر المشركين الى أنه يقوم بنشاط من أجل إدخال الناس فى هذا الدين الجديد من جهه اخرى. و هذا الثانى هو الاهم بالنسبه اليه.

فانه لا يمكن أن يتخلى عن الدعوه فى سبيل الشخص، و لكن الشخص هو الذى يضحي بنفسه و بكل ما لديه فى سبيل الحفاظ على الدعوه و بقائها. و لكن هذه التضحيه لا بد أن تكون فى وقت الحاجه إليها، و حين يكون لا بد منها و لا غنى عنها. و إلا فلربما يكون ضررها اكثر من نفعها، أو على الأقل يكون هدرًا لطاقات، و اتلافا لقدرات ربما تكون الدعوه فى يوم ما بامس الحاجه إليها.

ثالثا: ما فعلته قريش بأبى ذر لم يكن بسبب أن المواجهه كانت قد وقعت بينها و بين النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)؛ فان هذه المواجهه لم تكن حصلت حينئذ، و إنما رأت فى تصرف أبى ذر هذا تحديا لها، و اعتداء على شرفها، و كبريائها، و لا يقصد منه إلا- تحقيرها و إذلالها، من دون مبرر ظاهر تراه و تتعقله لتصرف كهذا سواه. و لعلها أرادت من بطشها بهذا الرجل الغريب و الوحيد ردع الآخرين، و ارهابهم، و منعهم من الإقبال على الدخول فى الإسلام، أو من التظاهر به.

رابعاً: انتقام أبي ذر من قريش على ذلك النحو قد أثر فيها نفسياً، وروحياً إلى حد بعيد، و عرفها: أنها لا يمكن أن تتعامل مع الآخرين، كما يحلو لها، و على حسب ما تشتهي، لأن الآخرين يملكون من الوسائل الفعاله للضغط عليها مالا تجد معه حيله، و لا تستطيع سبيلاً.

خامساً: إن نجاح أبي ذر فى دعوته قومه من قبيلتي غفار و أسلم، حتى إنه يستغل تشوقهم للحصول على غرائر الحنطة لطرح الخيار النهائي عليهم- إن نجاحه هذا- ليدل على أنه كان بعيد الهمه و النظر عاقلاً لبيبا أريباً، يدرك أهداف الرساله السماويه الحقه التى اعتنقها خير إدراك، و يدرك واجباته تجاهها، ثم هو ينفذ مهمته، و يقوم بواجباته على النحو الاكمل و الامثل.

سادساً: إن محاولات أبي ذر الجاده للتعرف على صدق النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فى دعواه، و ارساله أخاه أولاً، ثم ذهابه هو بنفسه، و بقاءه ثلاثه أيام يبحث عن النبي الاكرم (صلى الله عليه و آله و سلم)، إنما كانت بدافع ذاتى ينبع من داخله، يدفعه إلى البحث عن الحق، و العمل من أجله، و فى سبيله.

و هذا يؤيد القول بأن العقل هو الذى يحكم و يدفع إلى تعلم ما ينفع، و ما يضر، للالتزام بذاك، و الابتعاد عن هذا. بل هو امر فطرى مغروس فى فطره الانسان و طبيعته و سجيته، حتى انك تجد الطفل الذى يحس بألم النار ليس فقط لا يحاول بعد ذلك الاقتراب منها، و انما هو يجهد بكل ما أوتى من قوه و حول فى الابتعاد عنها.

سابعاً: ان موقف على (عليه السلام) من أبي ذر ليعكس لنا: أن هذا الشاب الذى ربما لم يكن قد بلغ الحلم آنذاك؛ لأنه إنما أسلم و عمره عشر أو اثنا عشره سنه- إن هذا الشاب- الناشئ ء كان يعتز بنفسه، و يثق بها، فيدعو أباذر ليكون ضيفه ثلاثه أيام، ثم هو يساعده على الوصول إلى

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشكل ذكى وحذر. ثم هو يتركه ثلاثه أيام لا يسأله عن أمره حتى لا يشعر هذا الضيف بأن مضيفه ربما يكون قد ضاق به ذرعا، أو ملّ وجوده؛ و ليكون قد أتاح له الفرصه ليستأنس فى هذا البلد الذى يراه غريبا عليه، و يألفه، و يرتاح إليه نفسيا، كما ارتاح جسديا؛ و ليكون أنفذ بصيره، و اكثر اطمينا فى بيان حاجته التى جاء من أجلها.

و ثامنا: ان جهر أبى ذر باسلامه، و تعريضه نفسه للضرب و الالهانه من قبل المشركين، إنما يعكس لنا مدى اعتزاز أبى ذر باسلامه هذا، و مدى استعدادده للتضحيه فى سبيله. ثم هو يعكس مدى حنق قريش و رعونتها فى مواجهه الدعوه إلى الله تعالى، حتى إنها تنسى: أن من تبطش به ربما يكون فى المستقبل سببا فى عرقله تجاراتها إلى الشام، و مضايقتها اقتصاديا. نعم، تنسى ذلك، و تهجم عليه لتضربه، ثم ترتد عنه لا بدافع انساني، و لا عن قناعه فكريه، و إنما لدوافع اقتصاديه دنيويه، تعكس أنانيته، و مستوى تفكيرها أولا و أخيرا. و لا شىء أخطر على الانسان من الانانيه التى ربما تضع على عينيه غشاوه؛ فلا يبصر الحق الابلىج، و لا يهتدى سواء السبيل.

و تاسعا: لعل أباذر قد اراد كسر شوكة اعداء الاسلام، و فتح ثغره فى هذا الجبوت. ثم كسر حاجز الخوف لدى المسلمين، ليتشجعوا على مواجهه الأخطار، و ضرب المثل الحى لهم فى مجال التضحية من اجل الدين و الحق، كما أن ذلك لسوف يؤثر على من يميلون الى هذا الدين و يتعاطفون مع المسلمين، و يثير إعجابهم بصورة كبيره.

و أخيرا، فلسوف نرى: أن ثمة محاولات لنسبه موقف أبى ذر الشجاع و الجرىء، و الفذ هذا تجاه قريش إلى غيره من الصحابه، كابى بكر تاره، و عمر أخرى.

و لكن كل ذلك لا يمكن أن يصح، كما سندكره حين الحديث عن إسلام عمر، و هجره ابى بكر.

ص: ٣٥٤

الفهارس

اشاره

الدليل الاجمالي للكتاب:

القسم الأول: ما قبل البعثة ١١

الفصل الأول: ما قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٣ - ٦٠

الفصل الثاني: عهد الفطولة ٦١ - ١٠٢

الفصل الثالث: خديجه في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٣ - ١٣٤

الفصل الرابع: حتى البعثة ١٣٥ - ١٨١

الفصل الخامس: بحوث تسبق السير ١٨٣ - ٢٣٦

القسم الثاني: من البعثة إلى الهجرة ٢٣٩

الباب الأول: من البعثة إلى الاعلان بالدعوه ٢٣٩

الفصل الأول: البعثة و المعجزه ٢٤١ - ٢٨٤

الفصل الثاني: روايات بدء الوحي ٢٨٥ - ٣١٤

الفصل الثالث: الدعوه في مراحلها الأولى ٣١٥ - ٣٥١

الفهارس ٣٥٣ - ٣٦٦

الدليل التفصيلي للكتاب:

إيضاحات ضروريه ٥

القسم الأول: ما قبل البعثه ١١

الفصل الأول: ما قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٣- ٦٠

البدايه الطبيعيه ١٥

الوضع الجغرافى لشبه جزيره العرب ١٥

الحضر فى شبه جزيره العرب ١٧

الحاله الاجتماعيه عند العرب ١٧

المرأه فى الجاهليه ١٩

شواهد عن حاله العرب فى الجاهليه ٢٠

علوم العرب ٢١

ميزات و خصائص ٢٤

من امتيازات العرب ٢٥

الاسلام و تلك الصفات ٢٨

متى كان بناء مكه ٣١

أ- بناء الكعبه ٣١

ب- دعاء ابراهيم ٣٣

ج- تقديس الكعبه ٣٣

ص: ٣٥٨

الأصنام و الكعبه ٣٦

ولايه الكعبه ٣٨

مكانه قريش ٤٠

أنا ابن الذبيحين ٤٢

من هو الذبيح ٤٣

خلاصه و بيان ٤٦

أهل الكتاب هم الداء الدوى ٤٧

ملاحظات هامه ٤٨

النسخ فى قصه ابراهيم ٥٤

البداء عند الشيعة ٥٥

التوضيح و التطبيق ٥٧

إشكال و جوابه ٥٨

اليهود و البداء ٦٠

الفصل الثانى: عهد الطفوله ٦١-١٠٢

نسب النبى صلى الله عليه و آله وسلم ٦٣

مولد النبى صلى الله عليه و آله وسلم ٦٤

تعقيب هام و ضرورى ٦٥

قصه كاذبه ٦٦

مصير الدار التى ولد فيها النبى صلى الله عليه و آله وسلم ٦٨

رضاعه صلى الله عليه وآله وسلم ٦٨

لماذا الرضاع فى الباديه ٦٩

أخوات النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعه ٧١

إرضاع ثويبه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يصح ٧١

مع أبى عمر فى ترجيحه للقول الثانى ٧٤

توجيه غير وجهه ٧٥

مناقشه غير موفقه ٧٦

عدد أولاد عبد المطلب ٧٨

أبو لهب و عتق ثويبه ٧٨

شرك أبي لهب ٨١

تنازع الظئر في رضاعه صلى الله عليه و آله وسلم ٨٢

حديث شق الصدر ٨٣

توجيه غير وجيه ٨٤

رأينا في الروايه ٨٥

المسيحيون و حديث شق الصدر ٨٨

أصل الروايه جاهلي ٨٩

فقد النبي صلى الله عليه و آله وسلم لأبويه ٩٠

كفيل النبي صلى الله عليه و آله وسلم ٩١

الرحله الأولى إلى الشام و بحيرا ٩٣

روايه مكذوبه ٩٣

سر الوضع و الاختلاق ٩٥

إشارات خاطفه في قصه بحيرا ٩٦

رعيه صلى الله عليه و آله وسلم الغنم ٩٧

ملاحظه

السفر الثاني إلى الشام ١٠٥

زواجه صلى الله عليه وآله وسلم بخديجه ١٠٧

خطبه أبي طالب ١١٠

نظرة في كلمات أبي طالب ١١٠

و دين شائع ١١١

مهر خديجه ١١٢

عمر خديجه حين الزواج ١١٤

يتيم قريش: أكذوبه مفضوحه ١١٧

هل تزوج صلى الله عليه وآله وسلم خديجه طمعا فى مالها ١١٩

خديجه مثل أعلى ١٢٠

خديجه بين نساء قريش ١٢١

هل تزوجت خديجه بأحد قبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ١٢١

زوجتا عثمان هل هما بنات النبى صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٦

هل زينب بنت الرسول أم ريبيته؟! ١٢٩

منافسون لعلى ١٣١

خؤوله هند بن أبى هاله للحسن (ع) ١٣٢

الفصل الرابع: حتى البعته ١٣٥ - ١٨١

حضور النبى صلى الله عليه وآله وسلم حرب الفجار ١٣٧

سر التلاعب فى الروايات هنا ١٣٩

حلف الفضول ١٤٠

سبب هذا الحلف ١٤١

بنو أميه و حلف الفضول ١٤٢

ملاحظه ١٤٥

ملاحظات هامه على حلف الفضول ١٤٦

تاريخ ولاده أمير المؤمنين (ع) ١٥٦

أول هاشمى ولد من هاشميين ١٥٨

ولاده أمير المؤمنين (ع) فى الكعبة ١٥٩

لماذا حكيم بن حزام ١٦١

تجديد بناء الكعبة أعزها الله تعالى ١٦٢

وضع الحجر الأسود ١٦٤

ملاحظات هامه ١٦٥

ص: ٣٦١

خرافه انحلال الازار ١٦٧

طريق جمع فاشل ١٦٩

ثوبى حجر ١٧٢

حياء عثمان ١٧٤

أهل الكتاب و تعرى الأنبياء ١٧٦

ولاده فاطمه بنت الرسول صلى الله عليه و آله وسلم ١٧٧

القول الحق ١٧٨

الفصل الخامس: بحوث تسبق السيره ١٨٣

البحث الأول: إيمان آباء النبي صلى الله عليه و آله وسلم إلى آدم (ع) ١٨٥

بعض الأدله على إيمانهم ١٨٧

استغفار ابراهيم لايه ١٨٩

إن أبى و أباك فى النار ١٩١

غريبه ١٩٤

ملاحظه ١٩٤

البحث الثانى: بماذا كان يدين النبي صلى الله عليه و آله وسلم قبل البعته ١٩٥

مله أبيكم ابراهيم ١٩٨

و وجدك ضالا فهدى ٢٠٠

أولوا العزم ٢٠٠

من الأساطير ٢٠١

استلام الأصنام ٢٠٤

البحث الثالث: شروط النهضه ٢٠٥

البحث الرابع: العوامل المساعده على انتصار الاسلام و انتشاره ٢١٠

١- منطلق الدعوه مكه ٢١٠

٢- خصائص شخصيه الرسول صلى الله عليه و آله وسلم ٢١١

٣- الحاله الاجتماعيه ٢١٦

٤- نوع معجزته صلى الله عليه وآله وسلم ٢١٧

٥- بشائر اليهود و النصارى به صلى الله عليه وآله وسلم ٢١٩

مناطق سكنى أهل الكتاب ٢٢٢

أهل الكتاب و هيمنتهم العلميه على العرب ٢٢٢

٦- الفراغ العقائدى و السياسى ٢٢٥

٧- الحياه الصعبه و التضحيه بالنفس ٢٢٩

٨- بقايا الحنيفيه فى العرب ٢٣٠

٩- الخصائص و العادات العربيه ٢٣١

١٠- دور أبى طالب و على و أموال خديجه ٢٣٣

تنبيه هام و ضرورى ٢٣٥

القسم الثانى: من البعثه إلى الهجره ٢٣٧

الباب الأول: من البعثه إلى الإعلان بالدعوه ٢٣٩

الفصل الأول: البعثه و المعجزه ٢٤١-٢٨٤

عمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين البعثه ٢٤٣

تاريخ البعثه و كيفيه نزول القرآن ٢٤٤

بدء الوحي و أول ما أنزل ٢٥١

اعجاز القرآن ٢٥٣

لماذا الأخير فقط ٢٥٥

بلاغه القرآن ٢٥٧

الاعجاز بالبلاغه كيف و لماذا ٢٥٨

التوضيح و التطبيق ٢٥٩

ترجمه القرآن و تفسيره ٢٦٦

للقرآن ظهر و بطن ٢٦٦

التقوى تعين على فهم القرآن ٢٦٩

ص: ٣٦٣

المحكم و المتشابه ٢٧٠

لا بد من وجود المتشابه فى القرآن ٢٧١

التأويل ٢٧٢

الحروف المقطعه فى القرآن ٢٧٥

آخر ما نقوله حول الحروف المقطعه ٢٨٤

الفصل الثانى: روايات بدء الوحي ٢٨٥-٣١٤

ما روى فى بدء الوحي ٢٨٧

مناقشه روايات بدء الوحي ٢٩٢

إشاره ٢٩٧

و ثمه أسئله أخرى ٣٠٤

و من الطعن فى النبوه أيضا ٣٠٥

ما هو الصحيح فى قضيه بدء الوحي ٣٠٧

لماذا الكذب و الافتعال إذن ٣٠٩

الفصل الثالث: الدعوه فى مراحلها الأولى ٣١٥-٣٥١

أول من أسلم ٣١٧

بعض ما جاء فى سبق على (ع) إلى الإسلام ٣١٨

تصريحات أمير المؤمنين (ع) فى ذلك ٣٢٠

دليل آخر ٣٢١

خاتمه المطاف ٣٢٣

القول بأن خديجه أول من أسلم ٣٢٣

أبو بكر و سبقه إلى الإسلام ٣٢٤

طريق جمع فاشل ٣٣١

هدف الورعين من الجمع بين الروايات ٣٣٣

تنبيه ٣٣٣

مقارنه و هدف ٣٣٤

ص: ٣٦٤

من أسلم بدعايه أبى بكر ٣٣٥

سر التأكيد على دور أبى بكر ٣٤٠

هل عمير بن أبى وقاص من السابقين ٣٤١

إسلام أبى قحافه ٣٤١

الدعوه فى مراحلها التى اجتازتها ٣٤٢

المرحله السريه ٣٤٣

دخول النبى صلى الله عليه و آله وسلم دار الأرقم ٣٤٤

قريش لا تهتم لمرحله ما قبل الاعلان ٣٤٤

إسلام أبى ذر ٣٤٤

ما يستفاد من حديث إسلام أبى ذر ٣٤٨

الفهارس ٣٥٢-٣٤٤

١- الدليل الاجمالى للكتاب ٣٥٥

٢- الدليل التفصيلى للكتاب ٣٥٧

و الحمد لله و الصلاه و السلام على محمد و آله و سلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

